

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لَمَّا أُخْرِجَتْ طَلَبُ الرِّضَا فِي رُبْعِ جَدِّهِ

الرِّضَا الحُسَيْنِي

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الحُسَيْنِيَّةِ وَأَفْقَاهَا الفِكرِيَّةِ

تَصَدَّرَ عَنْ

مَوْسَمِ سَنَةِ وَادِّشَا الأَنْبِيَاءِ لِلدَّائِمَاتِ التَّحْصِينِ مِنَ النُّهْضَةِ الحُسَيْنِيَّةِ

العَنْبِيَّةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

العدد الثامن والثلاثون

السنة العاشرة (١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م)

الإصلاح الحسيني

*.....: الإشراف العام:

سماحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

*.....: التنسيق العام:

السيد صالح التنكابي

السيد مالك البطاط

السيد حسن محمد رضا الحكيم

*.....: إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدسة)

*.....: معاونية المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدسة)

*.....: التصميم والإخراج الفني:

الشيخ حسين المالكي

السيد صادق الحيدري

عبد الزهرة الطائي

*.....: رئيس التحرير:

الدكتور حاتم كاظم موسى البخاتي

*.....: مدير التحرير:

الدكتور عدنان جاسم كريم الطائي

*.....: هيئة التحرير:

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلطان

د. الشيخ رعدان المنصوري

د. الشيخ حيدر خماس الساعدي

*.....: التدقيق اللغوي:

عصام بدران العلي

*.....: معتمد الترجمة الإنجليزية:

الشيخ حيدر نجم البهادلي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978 ISSN:

السياسة العامة لمجلة الإصلاح الحسيني

مَجَلَّةُ (الإصلاح الحسيني) مَجَلَّةٌ علميةٌ تختصُّ بالنهضة الحسينية، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، التابعة للعتبة الحسينية المقدسة.

تُعنى المَجَلَّةُ بنشر كلِّ ما يمتُّ بصلةٍ إلى النهضة الحسينية، وآفاقها المتعددة، من خلال تسليط الضوء على: تاريخها، وتراثها، وفلسفتها، وإبراز جوانبها: الإنسانية، والاجتماعية، والفقهية، والأدبية، وغيرها من الحقول المعرفية.

تتطلَّع المَجَلَّةُ لاستيعاب جميع المجالات المهمة والحساسة في دراسة النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات المقدمة موافقة لأصول البحث العلمي، وأخلاقيات النشر المتبعة في الأوساط العلمية والبحثية.

وعلى هذا الأساس؛ تستقبل المَجَلَّةُ من الكتاب والباحثين الكرام كلَّ بحث له صلة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل أن تلاحظ سياسة المَجَلَّةُ المدرجة ضمن النقاط الآتية:

١ . أن تكون البحوث منسجمة مع اختصاص المَجَلَّةُ، وسياستها العامة،

وضوابطها المعتمدة في النشر.

٢ . يخضع البحث المقدم للنشر لعملية تقييم علمي من قِبَل لجنة مختصة من

المحكِّمين العلميين.

٣ . بعد عملية التقييم العلمي، وتأييد صلاحية البحث للنشر، يخضع البحث

للتحرير من قِبَل هيئة التحرير.

٤ . إطلاع الباحث على قبول نشر بحثه أو عدمه في مدَّة أقصاها شهران من تاريخ

استلام البحث.

- ٥ . بعد الموافقة على نشر البحث يُعتبر البحث ملكاً للمجلة، فلا يحقّ للباحث تقديمه للنشر، أو المشاركة به في أيّ نشاط علمي آخر.
- ٦ . لا يحقّ للباحث سحب بحثه بعد تقييمه من قبل المحكمين العلميين، وتأييد صلاحية نشره من قبل رئاسة التحرير.
- ٧ . للمجلة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب مستقلّ، أو ضمن كتاب، مع الحفاظ على نصّه الأصلي، وحقوق الكاتب المعنوية.
- ٨ . ليست المجلة ملزمة ببيان أسباب الرفض فيما لو لم يحصل البحث على درجة القبول المطلوبة.
- ٩ . لا ترى المجلة نفسها ملزمة بإعادة البحث إلى الباحث، سواء نُشر في المجلة، أم لم يُنشر.
- ١٠ . تستقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغات الأخرى غير العربية، وستعمل على نشرها بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.
- ١١ . قد تعتمد المجلة إلى ترجمة البحوث المنشورة بلغات أخرى إلى اللغة العربية، ونشرها في المجلة، بعد إعلام الباحث بذلك.
- ١٢ . تحتفظ هيئة التحرير بحقّ تعديل أو حذف ما لا تراه منسجماً مع سياسة المجلة، وأهدافها العامّة، وما يُخالف السلامة الفكرية، والثوابت الدينية.
- ١٣ . يخضع ترتيب البحوث المقدّمة للنشر لاعتبارات فنية تقتضي التقديم أو التأخير أحياناً.
- ١٤ . تُراعى في أسبقية النشر الأبحاث المشاركة في المؤتمرات أو الندوات أو الملتقيات الفكرية التي تُقيمها مؤسّسة وارث الأنبياء، وذلك بعد تأييد صلاحيتها للنشر من قبل اللجنة المعنية بذلك.
- ١٥ . جميع الأفكار والآراء المطروحة في المجلة تعكس وجهة نظر أصحابها، ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

ضوابط النشر في مجلة الإصلاح الحسيني

- ١ . أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلة، منسجماً مع أهدافها وسياساتها العامة.
- ٢ . أن يكون البحث مبتكراً، أو يتضمّن نوعاً من التجديد والإبداع، وأن يحتوي على تطبيقات ونتائج ذات أهميّة على الصعيد العلمي.
- ٣ . ألا يكون البحث منشوراً في مجلة أخرى، أو أيّ وسيلة من وسائل النشر المتنوّعة، أو مقدّماً للنشر فيها.
- ٤ . أن يراعي الباحث أصول البحث العلمي وأخلاقياته، وأن يلتزم بمنهجياته وخطواته المتعارفة على المستوى العالمي.
- ٥ . أن يحتوي البحث على العناصر الأساسية الآتية: ملخّص، مع كلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدّمة، ومحتوى، وخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع.
- ٦ . ألا يكون البحث المقدم للنشر مستلاً من كتاب، أو رسالة، أو أطروحة لغرض الترقية العلمية، وأن يوقع الباحث تعهداً خطياً خاصاً بذلك.
- ٧ . ألا يكون موضوع البحث مستهلكاً من الناحية العلمية، أو تجميعياً إلى درجة يغيب فيها الحضور العلمي للباحث.
- ٨ . اعتماد اللغة العلمية الرصينة، والتحليّ بالموضوعية والدقّة المطلوبة في عرض المعلومات.
- ٩ . ألا يقلّ عدد صفحات البحث عن (١٥) صفحة، ولا يزيد على (٣٠) صفحة، بمعدّل (٢٥٠) كلمة في الصفحة الواحدة.

دليل المؤلفين

تخضع عملية التأليف وكتابة البحوث للمعايير الأخلاقية للبحث والنشر العلمي (COPE)، من حيث الأسلوب، والمنهجية، والمضمون، ولا ينبغي تجاوز هذه المعايير لأي سبب من الأسباب؛ فإنّ تجاوزها ينعكس سلباً على المستوى الفكري والمعرفي للبحث؛ الأمر الذي يُعرّض الباحث إلى المساءلة العلمية، والقانونية أيضاً.

ومن جملة هذه المعايير ما يأتي:

١ . على المؤلف تقديم بحث أصيل ومبتكر قدر الإمكان مطابق لمواصفات البحوث المحكمة.

٢ . بيان النتائج والمخرجات بشكل صحيح، وذلك عن طريق عرض المقدمات بشكل منطقي متسق.

٣ . تجنّب عرض المعلومات أو النصوص أو النظريات المقتبسة من مفكرين آخرين، أو ترجمة أعمالهم بطريقة توحى إلى كونها من إبداعات الباحث وابتكاراته (السرقة الفكرية)، من دون إرجاع إلى مصادر تلك النصوص أو المعلومات المقتبسة.

٤ . تجنّب الخوض في مسائل بعيدة عن الخلق الرفيع، والذوق السليم، أو بيان معلومات مجانية للحقيقة، وعدم استخدام أيّ تعبير يحمل بين طيّاته نزعة طائفية أو عرقية أو قومية.

٥ . لا ينبغي للمؤلف تقديم البحث ذاته إلى أكثر من مجلّة أو فعّالية علمية مشابهة؛ إذ يُعدّ ذلك منافياً لأخلاقيات النشر العالمية، إلّا في حال إجراء تعديلات جوهرية على عنوانه ومضمونه.

٦ . ينبغي للباحث أن يلتزم بتضمين البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها، واعتمدها في البحث، مرتبة في نهاية البحث وفق الصيغة التالية: (عنوان المصدر أو المرجع، اسم المؤلف، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة،

- سنة الطبع)، على أن يكون ترتيب المصادر المثبتة في هامش كل صفحة بالطريقة الآتية: (اللقب، الاسم، عنوان المصدر: الجزء، الصفحة).
٧. الاعتماد على المصادر الأولية المعنية بموضوع البحث قدر الإمكان، دون الرجوع إلى المصادر الثانوية.
٨. على المؤلف إذا اكتشف وجود خطأ أساسي في بحثه، أن يُشعر إدارة المجلة فوراً بذلك؛ كي تتخذ الإدارة الإجراءات اللازمة بحذف الخطأ أو تصويبه.
٩. عدم التعريض والإساءة إلى الأشخاص أو الباحثين، حتى لو كان ذلك في مقام الردّ على شبهاتهم أو إشكالاتهم العلمية.
١٠. الالتزام بقواعد الاقتباس والتوثيق؛ فلا بدّ للباحث من الالتزام بوضع علامات الاقتباس المتعارفة لكل نصّ مقتبس من مصادر أخرى، لكيلا يختلط بنصوص الباحث وأدبياته.
١١. ينبغي للباحث إجراء تعديلات في بحثه وفقاً لمقترحات لجنة المحكمين، وفي حال عدم الموافقة على التعديلات المقترحة، يجب عليه تقديم تبرير منطقي بأسباب الرفض، فإن لم يُقدّم الباحث أسباباً مقنعة تحتفظ المجلة بحقّها في عدم الموافقة على نشر البحث.
١٢. يُكتب عنوان البحث واسم الباحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتُثبت جهات انتساب الباحث (القسم، الكلية، الجامعة أو المؤسسة العلمية والبحثية التي ينتمي إليها، المدينة، البلد).
١٣. كتابة ملخص البحث (*Abstract*) باللغتين العربية والإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية (*Keywords*)، وتتراوح كلمات الملخص ما بين (١٥٠-٢٠٠) كلمة، على أن يضمّ الملخص بيان موضوع البحث، وأهدافه، والمنهج المعتمد، مع ذكر أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث، ولا ينبغي الاستشهاد بمصدر، أو بيان دليل أو شاهد.

- ١٤ . ينبغي تحديد مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وتحليل النتائج وتفسيرها في ضوء المنهج العلمي المتبع.
- ١٥ . إذا كان البحث مشتركاً بين مؤلفين أو أكثر، فلا بد من حصول مقدم البحث للنشر على موافقة جميع المؤلفين المشاركين في إعدادة وتأليفه قبل تقديمه؛ فإن ذلك يُعدّ جزءاً من حقوقهم.
- ١٦ . لو تبين بعد قبول البحث أنه غير مستوفٍ لشروط النشر، فسيُطلع الكاتب على ذلك، وإذا نُشر ثمّ ظهر بعد ذلك عدم اشتغال البحث على أخلاقيات البحث العلمي، يتحمّل الباحث كافة التبعات القانونية.
- ١٧ . يُقدّم البحث مطبوعاً وخالياً من الأخطاء اللغوية والمطبعية قدر المستطاع.
- ١٨ . يُرسل البحث على قرص مدمج، أو على البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة، مرفقاً بالسيرة الذاتية للباحث، وبريده الإلكتروني.
- ١٩ . تُرفع الملاحظات التي يديها المحكّم العلمي إلى الباحث؛ بغية إجراء التعديلات التي تُقرّها لجنة التحكيم، على أن يُسلّم الباحث نسخة معدّلة في مدّة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً من حين إبلاغه بذلك.

دليل المحكمين العلميين

المهمة الأساسية للمحكم العلمي هي قراءة البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بدقة فائقة، والنظر في منهجيته ومنطلقاته الفكرية والمعرفية، والنتائج المترتبة على ذلك، وفق آليات محدّدة متعارف عليها في الوسط العلمي والبحثي؛ وعليه فإنّ المحكم العلمي يساعد هيئة التحرير ورئيسها على اتّخاذ القرار المناسب بشأن البحث، كما يساهم في مساعدة المؤلّف في تطوير بحثه وتحسينه.

بناء على ذلك؛ ينبغي أن يتمتّع المحكمّ باستعداد كامل لتحمل مسؤولية التحكيم من خلال توفير مواصفات متعدّدة:

١ . التخصّص العلمي: لا بدّ من تناسب موضوع البحث المراد تحكيمه مع تخصّص المحكمّ ومجال بحثه واهتمامه العلمي.

٢ . السريّة الكاملة: ينبغي للمحكمّ الالتزام بمعايير السريّة المتعلقة بعملية التحكيم، من خلال المحافظة على سريّة المعلومات الواردة في البحث، فلا يحقّ له الإفصاح عنها، أو مناقشتها مع أيّ طرف، باستثناء المرخص لهم من قبل رئيس التحرير، فيجب عليه معاملة الأبحاث التي تسلّمها للتحكيم بعد إخفاء اسم الباحث عنه كوثائق سريّة؛ وعليه لا بدّ من تسلّم ملاحظات المحكمّ من قبل مدير التحرير مكتوبة على استمارة خاصّة بالتحكيم.

٣ . الموضوعية: على المحكمّ تحري الموضوعية في الأحكام والنتائج الصادرة عن عملية التحكيم، والتجرّد من أيّ آراء سابقة، أو قناعات ذاتية، أو أذواق شخصية، من شأنها أن تُعكّر صفو العملية التحكيمية، ولا بدّ له من التعبير عن رأيه بنزاهة ووضوح، وتدعيم ذلك بالأدلة المقنعة، وعدم التمييز بين المؤلّفين على أساس الجنس، أو الأصول العرقية، أو الاعتقاد الديني، أو المواطنة، أو الانتماء السياسي.

- ٤ . الأمانة: على المحكّم أن ينأى بنفسه عن استخدام المعلومات التي حصل عليها من البحث الذي تمّ تحكيمة لمصلحته الشخصية.
- ٥ . الدقّة الكافية: على المحكّم أن يُجهد نفسه في التحرّي عن المعلومات المعروضة في البحث، والتأكّد من خلوه من الانتحال والسرقة الأدبية أو العلمية، كما يجب عليه أن يدوّن في استمارة التحكيم أيّ تشابه بين البحث الذي تمّ تحكيمة وأعمال أخرى منشورة يعرفها، علماً بأنّ المجلّة تعتمد برامج فحص الاستلال العلمي؛ للتحقّق من أصالة البحث، وعدم نشره سابقاً.
- ٦ . الاستقرار النفسي: لا بدّ للمحكّم الاجتناب عن التحكيم في حال عدم شعوره بالراحة أو الاطمئنان النفسي؛ الأمر الذي يؤثّر سلباً في نتائج التحكيم ومخرجاته، وعليه إعلام مدير التحرير في حال عدم استعداده لتحكيم البحث المقدّم إليه لأيّ سبب من الأسباب.
- ٧ . التقيد بالوقت المحدّد لعملية التحكيم.
- وفي ضوء ما تقدّم؛ فإنّ نتائج التقييم العلمي والتوصيات المرفقة يتمّ اعتمادها بشكل أساسي في قرار قبول البحث للنشر في المجلّة أو عدمه.

معايير التحكيم

- عادةً ما يتّبع المحكّمون العلميّون في تقييم البحوث والدراسات العلمية المقدّمة إلى (مجلّة الإصلاح الحسيني) مجموعة من الضوابط، من جملتها:
- ١ . تناسب العنوان مع العنوان.
 - ٢ . اشتغال البحث على منهجية عرض مكتملة: (ملخص، مع كلمات مفتاحية، مقدّمة، محتوى، خاتمة، قائمة بالمصادر والمراجع).
 - ٣ . تناسب المقدّمة مع المحتوى.
 - ٤ . ارتباط المكتوب بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

- ٥ . الترابط المنطقي بين العناوين.
- ٦ . المستوى اللغوي المطلوب في البحث، والتزام الباحث بقواعد النحو والإملاء.
- ٧ . مراعاة اللغة العصرية في عرض المعلومات.
- ٨ . الالتزام بأصول البحث العلمي.
- ٩ . التجديد، والإبداع، والإثارة العلمية.
- ١٠ . تحديد قيمة المصادر المعتمد عليها.
- ١١ . تحديد نوع البحث بحسب محتواه، وتصنيفه إلى: علمي أصيل بامتياز، أو أصيل نوعاً ما، أو تلفيقي، أو تجميعي.
- ١٢ . تقييم النتائج التي توصل إليها البحث، وبيان قيمتها ودقتها.
- ١٣ . تشخيص ما إذا كان ملخص البحث باللغة العربية والإنجليزية كاشفاً بشكل عام عن مضمون البحث ونتائجه.
- ١٤ . الكشف عن مستوى الاستلال العلمي في البحث، وتحديد نسبة الاقتباس.
- ١٥ . ملاحظة عدد صفحات البحث؛ للتأكد من كونها وفق الضوابط المعتمدة في المجلة.

مراكز النشر

* العراق/ النجف الأشرف: شارع الرسول ﷺ - المعرض الدائم للعتبة الحسينية المقدسة.

* العراق/ كربلاء المقدسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدسة.

* إيران/ قم المقدسة: شارع معلّم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدسة.

المحتويات

أفئدة أئمة العصر

زيارة الإمام الحسين عليه السلام .. قسيمة الوفاء والجفاء

رئيس التحرير ١٧

مؤلف العصر

قرأت وأت فإني زيارة الإمام الحسين عليه السلام (٦)

التوحيد في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام .. دراسة تحليلية

د. الشيخ علي حمود العبادي ٢٥

العوامل الأساسية لحفظ كيان التشيع في ضوء زيارة الإمام الحسين عليه السلام .. العوامل العقدية أ نموذجاً

د. رغدان كركح عبد الزهرة المنصوري ٦٥

معالم الهوية الشيعية في ضوء نصوص الزيارات الحسينية

عمار الجويبراي ١٠٩

آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام في روايات أهل البيت عليهم السلام والإشكالات المثارة حولها

الشيخ ماهر الحكاك ١٣٧

نماذج مختارة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام في كتاب نواذر الحكمة.. دراسة تحليلية (القسم الأول)

الشيخ حيدر ناصر البهادلي ١٧٣

أهمية زيارة الإمام الحسين عليه السلام في روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام

حسن تركاشوند.. ترجمة: الشيخ علي ماجد البدرابي ٢٠٣

زيارات الإمام الحسين عليه السلام.. قراءة في عوامل النهضة وأهدافها

الشيخ ميثم اليعقوبي ٢٢١

وظيفة الفصل والوصل في بناء النصّ.. زيارة عاشوراء مثلاً

م. د. أحمد موفق مهدي ٢٥٩

در أسأت حسيبنة

أسلوب النداء في كلام سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة نحوية دلالية

أ. م. د. هاشم جبار الزرقي ٢٨٩

أَفْتِنَا حَيْثُ الْعَدْلُ

زيارة الإمام الحسين عليه السلام
قسمة الوفاء والجفاء

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

قسيمة الوفاء والجفاء

رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شاءت الإرادة الإلهية أن تكون سنة التمييز والتفاوت والتفاضل بين بني الإنسان على أساس الملكات والصفات والخصائص الذاتية، والسعي في تحصيل تلك الأمور، والامتثال لما أُريد منهم، سارية فيهم منذ بدء الخليقة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١)، بل لعلنا نجد هذه السنة أيضاً في كثير من المخلوقات بناء على بعض البيانات الشرعية؛ من هنا وضع الشارع المقدس معايير وموازن مختلفة لتحقيق هذه السنة، تمثلت في اتباع المرادات الإلهية بشتى أنواعها، كالاقتادات القلبية، والتكاليف العبادية، والتحلّي بالسلوكيات الحميدة والسير في جادة الصواب: ﴿... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)؛ وذلك استناداً لمبدأ العدالة الإلهية، وتطبيقاً لقاعدة الجزاء من الثواب والعقاب، وتحقيقاً لفلسفة الأديان والغاية من الخلق، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

فالتمييز والتصنيف بين الناس ظاهرة إلهية ماثلة للعيان في الدنيا والآخرة على حدّ سواء، قررها القرآن والسنة الشريفة، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا

(١) النجم: الآية ٣٩.

(٢) الأنفال: الآية ٤٢.

(٣) الذاريات: الآية ٥٦.

أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْبَ مِنَ الطَّيِّبِ...»^(١)، وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

هذا؛ ولتجسيد هذه السنّة الإلهية، وإظهارها للملأ تحقيقاً لبعض المصالح، أبرز الباري جلّ وعلا بعضاً من تلك المعايير، وجعلها علامات فارقة يمتاز في ضوئها فريق عن فريق، كما ورد في الصلاة أنّها «قربان كلّ تقي»^(٣).

ولم تقتصر تلك العلامات على الأفعال الاعتقادية أو العبادية أو غيرها، بل ورد أنّ أتباع بعض أولياء الله وتوليّهم - امتثالاً لأمر الله سبحانه - من الفوارق بين المؤمنين وغيرهم أيضاً، نحو ما جاء في حقّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه «لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»^(٤). وقد ورد مثله في إحدى خطب أمير المؤمنين: «ألا وقد جُعِلْتُ محتكم، ببغضي يُعرف المنافقون، وبمحبّتي امتحن الله المؤمنين، هذا عهد النبي الأمي إليّ أنّه لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»^(٥)، وعلى أثر هذه الخصيصة لأمر المؤمنين عليهم السلام وصف بأنّه قسيم الجنّة والنار في بعض الأخبار، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي، أنت قسيم الجنّة والنار، بمحبّتك يُعرف الأبرار من الفجّار، ويميّز بين الأشرار والأخيار، وبين المؤمنين والكفّار»^(٦).

وعلى هذه الشاكلة ورد في حقّ زيارة أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام أنّ ترك المواظبة عليها والتهاون فيها والتكاسل عنها لمن الجفاء لصاحبها والصدود عنه، والجفاء: البعد عن الشيء. يقال: جفاه إذا بعد عنه، وأجفاه إذا أبعدته. والجفاء أيضاً:

(١) آل عمران: الآية ١٧٩.

(٢) آل عمران: الآية ١٤٢.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٢٦٥.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ٣٠٨.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ٦٠.

(٦) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٠١.

ترك الصلوة والبر^(١). وهذا المعنى هو المناسب هنا؛ فعن حنان بن سدير، عن أبيه: «قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سدير، تزور قبر الحسين عليه السلام في كل يوم؟ قلت: جعلت فداك، لا. قال: فما أجفاكم! قال: فتزورونه في كل جمعة؟ قلت: لا. قال: فتزورونه في كل شهر؟ قلت: لا. قال: فتزورونه في كل سنة؟ قلت: قد يكون ذلك. قال: يا سدير، ما أجفاكم للحسين...»^(٢).

وفي هذا المعنى عدد من الروايات، وهي تشمل - بطبيعة الحال - من تسنح له الظروف، وتتهيأ له الأجواء ولم يعقه عائق عن أداء الزيارة، خصوصاً للقائين في أماكن قريبة من قبره الشريف، وهذا ما يدل عليه قول أبي جعفر عليه السلام لبعض أصحابه: «كم بينكم وبين قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: ستة عشر فرسخاً. قال: أو ما تأتونه؟ قلت: لا. قال: ما أجفاكم»^(٣).

وكذلك يشمل أولئك الذين يتهاونون عن زيارته، ويزهدون فيها، ويشهد له ما ورد عن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عجباً لأقوام يزعمون أنهم شيعة لنا، ويقال: إن أحدهم يمرّ به دهره ولا يأتي قبر الحسين، جفاءً منه وتهاوناً وعجزاً وكسلاً! أما والله، لو يعلم ما فيه من الفضل ما تهاون ولا كسل. قلت: جعلت فداك، وما فيه من الفضل؟ قال: فضل وخير كثير؛ أما أول ما يصيبه أن يغفر ما مضى من ذنوبه، ويقال له: استأنف العمل»^(٤).

وأما من نأت به المسافة عن قبره الشريف، أو حالت بينه وبين زيارته الأسباب والظروف، فحتى يخرج عن حيز الجفاء لإمامه، يُعلّمه أهل البيت عليهم السلام طريقة يصبح بها من زائري الإمام الحسين عليه السلام، والموفين لحقه، ألا وهي الزيارة عن بعد، ففي خبر أنه دخل حنان بن سدير الصيرفي على أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من أصحابه، فقال: «يا حنان بن سدير، تزور أبا عبد الله عليه السلام في كل شهر مرة؟ قال: لا. قال: ففي

(١) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٩.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٨٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٨٨-٤٨٩.



كلّ شهرين مرّة؟ قال: لا. قال: ففي كلّ سنة مرّة؟ قال: لا. قال: ما أجفاكم لسيدكم! فقال: يابن رسول الله، قلّة الزاد وبعد المسافة. قال: ألا أدلكم على زيارة مقبولة وإن بعد النائي؟ قال: فكيف أزوره يابن رسول الله؟ قال: اغتسل يوم الجمعة، أو أيّ يوم شئت، والبس أطهر ثيابك، واصعد إلى أعلا موضع في دارك أو الصحراء، واستقبل القبلة بوجهك بعد ما تبين أنّ القبر هناك، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾، ثم تقول...»^(١).

فزيارة الإمام الحسين عليه السلام بهذا المعنى هي قسيمة الوفاء والجفاء، فمن يزوره - سلام الله عليه - ويواظب على ذلك رغم الصعاب والعوائق، كتب من المؤمنين الموفين بعهدهم لأمامهم، فعن الحسن بن علي الوشاء، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء، زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أنتمهم شفعاءهم يوم القيامة»^(٢).

ومن تهاون وتكاسل ولم يؤدّ الزيارة عدّد من المقصّرين الجافين لإمامهم، التاركين للصلة بينهم وبينه، والمحرومين من الخير الوفير، والعطاء الجزيل الذي قدّر لهذه الشعيرة العظيمة. فزيارة الإمام الحسين عليه السلام علامة فارقة ومعيار شاخص يُقاس به المؤمنون، فيمتاز الأوفياء منهم عن غير الأوفياء، فهي - بحق - قسيمة الوفاء والجفاء. إنّ (مجلّة الإصلاح الحسيني) وهي تطلّ على قرآئها الأعزّاء في عددها الثامن والثلاثين، ما زالت تنهل من فيوضات زيارة الإمام الحسين عليه السلام، في الجزء السادس من ملفّ القراءات العلمية والفكرية في هذه الشعيرة المقدّسة التي تناوّلها العلماء والباحثون من جوانب متعدّدة، وزوايا مختلفة، وهي معين لا ينضب، وكنز لا ينفد، نسأل الله أن يوفّقنا لخدمة النهضة الحسينية، وأن يكتبنا من الأوفياء لإمامنا سلام الله عليه، وهي غاية المنى ونهاية المراد، والحمد لله أولاً وآخراً.

(١) المصدر السابق: ص ٤٨٣-٤٨٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٩.

مَلَفُ العَدَدِ

قراءات في زيارة الإمام الحسين (ع)

- ◆ التوحيد في نصوص زيارات الإمام الحسين (ع).. دراسة تحليلية
- ◆ العوامل الأساسية لحفظ كيان التشيع في ضوء زيارة الإمام الحسين (ع)..العوامل العقدية أنموذجاً
- ◆ معالم الهوية الشيعية في ضوء نصوص الزيارات الحسينية
- ◆ آثار زيارة الإمام الحسين (ع) في روايات أهل البيت (ع) والإشكالات المثارة حولها
- ◆ نماذج مختارة من زيارات الإمام الحسين (ع) في كتاب نواذر الحكمة.. دراسة تحليلية.. القسم الأول
- ◆ أهمية زيارة الإمام الحسين (ع) في روايات الأئمة المعصومين (ع)
- ◆ زيارات الإمام الحسين (ع).. قراءة في عوامل النهضة وأهدافها
- ◆ وظيفة الفصل والوصل في بناء النص.. زيارة عاشوراء مثلاً

التوحيد في نصوص زيارات الامام الحسين عليه السلام
دراسة تحليلية

د. الشيخ علي حمود العبادي
دكتوراه في الشريعة والعلوم الإسلامية
مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

**Monotheism in the Ziyara-texts
of Imam al-Husayn (PBUH)
– An Analytical Study**

Dr. Shaykh Ali Hammoud al-Abadi

Doctorate in Sharia and Islamic Sciences

The Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies
on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) – Iraq

ملخص البحث

يدور الحديث في هذا البحث حول دراسة عقيدة التوحيد في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام، ولا يخفى أنّ الضرورة والسبب للخوض في مثل هكذا بحث هو بيان الدور الذي تؤديه النصوص الشريفة - المشار إليها - في بلورة العقيدة الحقّة في مجال توحيد الباري تعالى لدى الزائر، وكذا بيان أقسامه.

وتتضاعف هذه الضرورة بالنظر إلى ما يترتب على هذا البحث من نتائج مهمّة، التي من أبرزها أنّ نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام عرضت عقيدة التوحيد الإلهي بأروع صورها وأخلصها، كما أنّ تلك النصوص دأبت على تناول أقسام التوحيد، كالتوحيد الذاتي بقسميه الواحدي والأحدي، والتوحيد في العبادة وأنّه تعالى لا معبود سواه، والتوحيد في الربوبية وأنّ للكون مدبراً ومتصرّفاً واحداً لا يُشاركه في التدبير شيء.

وقد تمّت الاستفادة من مقتضيات المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على أهمّ الغايات والأهداف التي اكتنزتها هذه النصوص الشريفة، والتي جعلت مفهوم التوحيد يتصدّر المفاهيم الأخرى في أغلب نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: التوحيد، الزيارة، الإمام الحسين عليه السلام، التوحيد الذاتي، التوحيد في الربوبية، التوحيد العبادي.



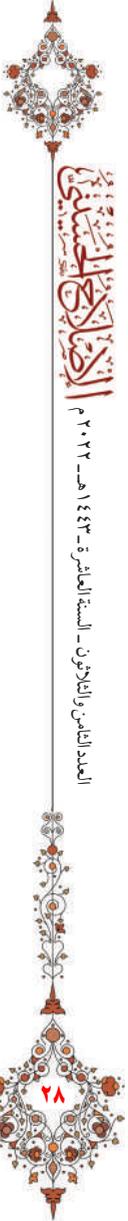
Abstract

This article focuses on the study of the monotheistic doctrine as depicted in the Ziyara-texts of Imam al-Husayn (PBUH), as it is no secret that the rationale for undertaking such a topic is to clarify the role these esteemed mentioned texts serve in firming the true doctrine and its various categories of the Divine's Oneness for the visitor of Imam al-Husayn (PBUH).

The necessity of such a study is further emphasized by its profound results, such as, that the visitation-texts of Imam al-Husayn (PBUH) have portrayed the doctrine of divine monotheism in its most magnificent and untainted form. These texts have also explored the categories of monotheism, including *Tawheed Dhati* (Self-Oneness) in its dual aspects of singularity and uniqueness, and monotheism in worship, affirming that the Almighty is the sole deity deserving of worship, and monotheism in divinity, and lastly that the universe has one overseer and ruler without any aider.

The descriptive-analytical approach has been employed in this study to determine the important goals and objectives embedded within these revered texts making the concept of monotheism overshadow other concepts in the majority of the visitation-texts of Imam al-Husayn (PBUH).

Keywords: Monotheism, Ziyara (visitation), Imam al-Husayn (PBUH), Tawheed Dhati (Self-Oneness), monotheism in Divinity, monotheism in worship.



المقدمة

توافرت الكتب والمجاميع الحديثة على رصد عشرات الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام التي تحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، كما تحدّثت النصوص الصحيحة التي وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الثواب والأجر العظيم الذي يترتب على هذا العمل العبادي الشريف، وأفضليّته على العمرة والحجّ المندوبين.

والذي ينبغي الالتفات إليه هو أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تكرّر التأكيد عليها في مناسبات السنة، وفي مختلف الأوقات، ومن هذه الزيارات: زيارة عاشوراء، وزيارة الأربعين، وزيارة الأول من رجب، وزيارة النصف من رجب في ليلته ويومه، وزيارته عليه السلام والصلاة عليه في يوم مولده الشريف في الثالث من شعبان، وزيارة ليلة النصف من شعبان ويومه، وزيارة ليالي القدر (١٩ و ٢١ و ٢٣) من شهر رمضان، وزيارة ليلتي العيدين الفطر والأضحى، وزيارة يوم عرفة... إلى غير ذلك من الزيارات المطلقة التي لم تُحدّد في وقت خاصّ ومكان معين.

والشيء الذي ينبغي الالتفات إليه هو أنّ هذه الزيارات واردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، ممّا يعني أنّ كلّ مفردة من مفرداتها، أو تسلسل جملها له أبعاد عقديّة منطلقة من حكمة وغاية.

وممّا يعزّز ذلك نجد أنّ هذه الزيارات الشريفة عبارة عن صورة كاملة عن المنظومة العقديّة لدى أهل البيت عليهم السلام، بدءاً بتوحيده عز وجل وانتهاءً بالمعاد، ومروراً بتفاصيل المسائل العقديّة كالتوسّل والشفاعة والابتلاء والقضاء والقدر... نحوها. فالمعصوم عليه السلام يضع الزائر أمام لوحة واضحة لأئمّات مسائل العقيدة، لكي يكون الزائر على علم ودراية بعقيدته حينما يزور الإمام الحسين عليه السلام.

ونطوي هذه الفقرة بمثال لذلك، وهو: أنّ الزائر حينما يقف أمام الحرم الشريف

للإمام الحسين عليه السلام يبدأ بالبُعد التوحيدى، فيكبر الله تعالى بقوله: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق».

وبعد تكبير البارى تعالى وتعظيمه يدخل الزائر فى البُعد النبوى، فيُمجّد النبى صلى الله عليه وآله بالرسالة، حيث يقول: «السلام عليك يا رسول الله...».

ثم يدخل فى البُعد الولائى ومقام الإمامة، قائلاً: «السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا سيّد الوصيين... السلام عليك [ويقصد بذلك الحسين عليه السلام] يا وصى أمير المؤمنين»^(١).

كما يتجلّى البُعد الأخير أيضاً فى زيارة الأربعين الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام، التى ورد فيها قوله عليه السلام: «اللهم إني أشهد أنه وليك وابن وليك، ووصيك وابن صفيك، الفائز بكرامتك، أكرمه بالشهادة، وحبوته بالسعادة، واجتبيه بطيب الولادة، وجعلته سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء»^(٢).

ثم يعقب ذلك بتأكيد امتداد الإمامة، فيقول: «وأشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا...»^(٣)، كما سيأتى تفصيله فى محله.

هذا؛ وقد اكتسبت المقالة الهيكلية التالية:

المبحث الأول: مطالب تمهيدية.

المبحث الثانى: التوحيد فى نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام وأقسامه

ودلالاته.

(١) المقاطع الثلاثة أعلاه واردة فى زيارة وارث. القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٢٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٨٨.

(٣) القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٢٩.

المبحث الأول: مطالب تمهيدية

المطلب الأول: التعريف بألفاظ العنوان

أولاً: الزيارة في اللغة والاصطلاح

الزيارة: مصدر (الزور) بمعنى الميل والرغبة إلى طرف والعدول عن غيره، قال ابن فارس: «الزاء والواو والراء، أصل واحد يدل على الميل والعدول»^(١). ومن هنا؛ جاءت كلمة (الزائر)؛ لأنَّ مَنْ زار أحداً فقد مال إليه وعدل عن غيره. وفي الدعاء: «اللهم اجعلني من زوارك»^(٢)، أي من القاصدين لك، الملتجئين إليك. وبعبارة أخرى: اجعلني ممن يميل ويرغب بالتوجه إليك فقط. وعندما يصبح العبد كذلك، يكون من اللاجئين إلى ساحة قدسه العظيمة، والطالبين عونه دون غيره.

أما الزيارة فقد ورد في تعريفها بأنها: «قصد المزور إكراماً له، وتعظيماً له، واستثناساً به»^(٣).

وفي الاصطلاح: تُطلق الزيارة على معنيين:

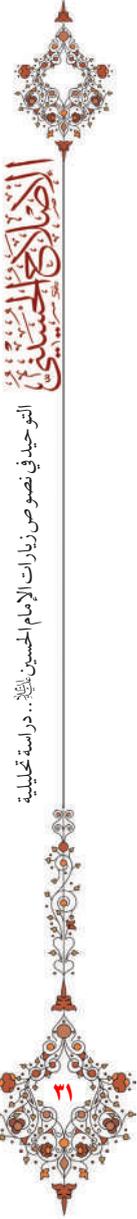
المعنى الأول: الزيارة حضور الزائر عند المزور، وهذا الحضور تارةً يكون بالقلب، وثانيةً بالجسم، وثالثةً بالقلب والجسم، ومن الواضح أن الحضور بالقلب والجسم معاً هو الحضور المفيد المؤثر وإن صدق عند العرف العام عنوان الزيارة على مجرد الحضور بالبدن، سواء كان هناك توجه بالقلب أم لا^(٤).

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٣٦.

(٢) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٠٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أنظر: الفاضل الماندراني، عبد الرسول، شرح زيارة عاشوراء: ص ١٤٦.





ومَّا يُوَكِّدُ ذلك ما ورد في زيارة الرسول الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار عن بُعد^(١)، فلو لا كون الملاك هو الحضور القلبي بالتوجه التام، والعدول والإعراض عن غير المزور ﷺ، لما صدق عنوان الزيارة على ما يُقال في خطاب المزور عن بعد، ولما ترتبت الآثار المطلوبة من الأجر والحالات المعنوية على تلك الزيارة، التي قد لا تحصل لبعض الأشخاص الذين يحضرون عند المزور بالأبدان.

وبهذا يتضح أن المقصود من (الحضور) أولاً وبالذات هو الحضور القلبي عند المزور ﷺ، وكأنَّ الحضور البدني مقدّمة محصّلة لذلك وإن كان للحضور البدني الصّرف أثر بقدره بفضل الله ورحمته وكرمه.

كما أنّ هذا التوجّه والحضور القلبي سيكون مقدّمة لحصول الارتباط المعنوي بالله وأوليائه والقرب منهم؛ ومن هنا تُستحبّ الطهارة الصورية من الوضوء والغسل، والنظافة المعنوية من رفع الحجب القلبية، حتى يتحقّق الحضور الحقيقي والقصد الحقيقي إليه ﷺ.

وبالرغم من كون الحضور القلبي لا يتفاوت تحقّقه بين القريب إلى مشاهدتهم أو البعيد عنها، إلا أنّ الأئمة المعصومين ﷺ قد ندبوا إلى السفر إلى مشاهدتهم وقبورهم المقدّسة، والالتجاء إليهم عند الله تعالى؛ لما فيه من كمال الانقطاع إليهم؛ فإنّها موضع الإجابات وقضاء الحاجات وظهور البركات، ولذا ورد في بعض الزيارات: «وحبّ إليّ مشاهدتهم»^(٢).

المعنى الثاني: تُطلق الزيارة على النصوص التي يقرأها الزائر مادحاً به المزور، وواصفاً إيّاه، ومسلماً عليه.

وهذا - الأخير - هو المعنى المراد في هذه المقالة؛ لأنّ البحث برمته يتمحور حول زيارات الإمام الحسين ﷺ المنصوصة الواردة عن أئمة أهل البيت ﷺ.

(١) أنظر: الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، المزار: ص ٧.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٠٠.

ثانياً: التوحيد في اللغة والاصطلاح

التوحيد لغة: جعل الشيء واحداً، يقال: «وَحَّدَهُ تَوْحِيداً: جعله واحداً»^(١).
التوحيد اصطلاحاً: لا يخرج معنى التوحيد في الاصطلاح عن معناه في اللغة، وهو الاعتقاد بأن الخالق والربّ والمعبود واحد لا ثاني له ولا شريك. والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد^(٢)، من وَحَدَ - الواو والحاء والذال - أصل واحد يدلّ على الانفراد، والواحد: المنفرد^(٣). والواحد: أوّل العدد^(٤).
والواحد والأحد: من أسماء الله تعالى، وهو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وسيأتي في ثنايا البحث - أيضاً - الفرق بين الواحد والأحد^(٥).

المطلب الثاني: السبب والغاية من كثرة زيارات الإمام الحسين عليه السلام

لكي يتّضح السبب في كثرة ووفرة زيارات الإمام الحسين عليه السلام لا بدّ من بيان مقدّمتين باختصار شديد:

المقدمة الأولى: أنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام لا نظير لها في التاريخ البشري؛ لأنّها مظلومية متعدّدة الجوانب والأبعاد، يكاد الإنسان يجد في معالمها جميع الأبعاد المأساوية التي يواجهها في حياته الشخصية أو الاجتماعية؛ ولهذا أصبحت مظلومية الإمام الحسين عليه السلام عنواناً ورمزاً لمظلومية جميع أهل البيت عليه السلام.

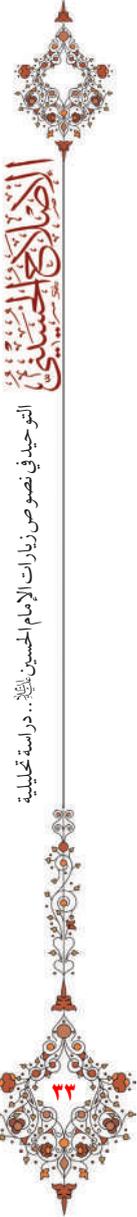
(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ١، ص ٦٤٥.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٣، ص ٢٨١. الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٥، ص ١٩٣.

(٣) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٦، ص ٩٠ - ٩١.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٢، ص ٥٤٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١، ص ٨٢، وج ١٥، ص ٢٣٠.

(٥) أنظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الحدود والحقائق (رسائل الشريف المرتضى): ج ٢، ص ٢٦٦.



المقدمة الثانية: إن مظلومية الإمام الحسين عليه السلام أثرت في إحياء الدين الحقيقي؛ فإنه لا شك في أن الدين الحقيقي هو دين الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله، لكنّ بني أمية أماتوه وحرّفوه في كلّ جوانبه، وأفرغوه من محتواه، وكمثال على ذلك مقام الإمامة الذي حدّد فيه دينُ السماء صفات الحاكم، ومن هذه الصفات أن يكون الحاكم عادلاً، وهذا ما يصرّح به الإمام الحسين عليه السلام حينما يعرف الأمة بالمواصفات التي ينبغي أن تتوفر في الحاكم الشرعي، وذلك في رسالته إلى أهل الكوفة؛ حيث يقول: «فلعمري، ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله»^(١).

لكنّ بني أمية نحتوا مفهوماً آخر للحاكم، وركّزوا على أنّ الحاكم هو ظلّ الله في الأرض حتى وإن كان ظالماً، وأنّ كلّ ما يُقرّره أو يقوله أو يفعله فهو الصواب والحقّ، ولا ينبغي لأحد أن يُناقش أو يُجادل أو يعترض عليه، وأنّ الخروج على هذا الظلّ يُعدّ خروجاً على الله تعالى، الذي ألبسه قميصاً لا يجوز لأحد أن يخلعه عنه، فإذا عُتِبَ في الإسراف وإهدار مال المسلمين - مثلاً - جاء الجواب: بأنّ «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذ من مال الله فهو لي، وما تركته منه كان جائزاً لي»^(٢) على حدّ قول معاوية. أمّا إذا تعالت أصوات بعض الناس للمطالبة بترك الناس وشأنهم، وأنّهم أحرار فيما يُفكّرون ويختارون ويعملون، جاءهم الردّ بحسب تعبير معاوية: «إني لا أحول بين الناس وألستهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا»^(٣).

ولم يقف الأمر على هذه التخوم، بل تعدّاه إلى ما هو أكثر صرامة، وهو النهب والقتل، والذبح والتهجير.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٢. وأنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٥.
 (٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٤٣.
 (٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٤٩.

وبهذا نجد أن بني أمية حوّلوا الخلافة إلى وراثية يتوارثونها، كما هو الحال في الأنظمة الوراثية التي ما زال بعضها مُتسلّطاً على رقاب الناس في بعض البلاد العربية والإسلامية، التي تُمثّل امتداداً للنهج الأموي.

والأكثر من ذلك أنّهم عمدوا إلى شرعنة مبدأ الوصول إلى السلطة بالقوّة، وذلك بعد القضاء على روح المقاومة بالظلم والطغيان والجبروت؛ تمسّكاً بالفاعدة السياسية التي رسم معالمها معاوية بن أبي سفيان عندما خاطب بعض المعارضين للبيعة بالخلافة لولده يزيد، حيث قال: «فأقسم بالله، لئن ردّ عليّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتّى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يُيقن رجل إلّا على نفسه»^(١). وكذلك إلغاء إرادة الأُمّة من خلال إشاعة فكرة: «إنّما هذا السواد بستان لقريش»^(٢). أو قول أحدهم: «لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رُغمت أنوف أقوام»^(٣). وكذا طال تحريف الدين في مجالات متعدّدة كالعقيدة، فابتدعوا عقيدة الجبر، والقضاء والقدر، ونحو ذلك من العقائد الباطلة، وكذلك التحريف في تفسير القرآن، ونحوها من المجالات التي يطول بنا المقام لو توسّعنا في تفاصيلها.

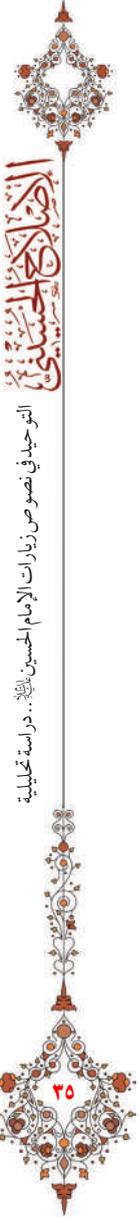
وعلى أساس ذلك؛ قام الإمام الحسين عليه السلام من خلال نهضته المباركة بإسقاط شرعية السلطة الأموية التي اغتصبت الخلافة بغير مشورة ولا رضاً من الأُمّة، والحيلولة دون تحويل الخلافة إلى ملك عضوض يتوارثه الأبناء والأسر رغم أنوف الناس، فقال عليه السلام: «أما بعد، أيّها الناس، فإنّكم إن تتقوا الله، وتعرفوا الحقّ لأهله، يكن أرضى الله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان»^(٤).

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥١٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٦٥.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٥٣٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٣.

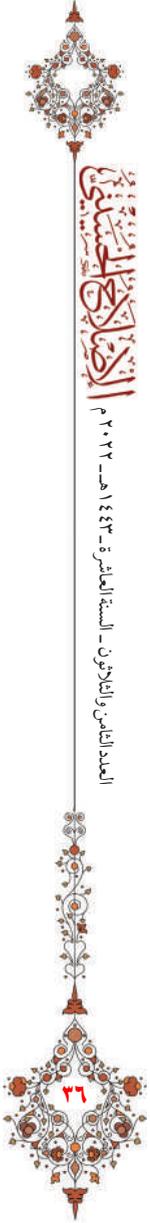


والعامل الأساس في إحياء الدين هو مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، الذي قُتل بتلك الصورة المفجعة، وما تلا ذلك من أحداث مؤلمة لا نظير لها في التاريخ. وهذه المظلومية تُعدّ من أهمّ عوامل جذب الناس إلى الحسين عليه السلام، ومن ثمّ نحو الدين، وكذلك جذبهم إلى الأهداف التي قام الإمام الحسين عليه السلام ونهض من أجلها، والتي من أهمّها إرجاع الناس إلى الدين الحقيقي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله، الذي أراد بنو أمية طمسه كما هو واضح لمن له أدنى اطلاع على التاريخ.

النتيجة: على أساس ما تقدّم من أنّ هدف النهضة الحسينية هو إحياء الدين الحقيقي، وهو التشيع، ومن أبرز سبل هذا الإحياء هو إبراز جانب مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، يتّضح لنا السبب أو الهدف من وجود هذا الحشد الوافر من الروايات التي تحثُّ على ذكر الحسين عليه السلام والبكاء عليه، وإحياء ذكره.

هذا مضافاً إلى كثافة الروايات التي تحثُّ على زيارته عليه السلام، بل نجد الحثُّ على الإتيان بالزيارة حتى لو استلزم الموت والضرر بالرغم من أنّهم عليهم السلام يأمرون شيعتهم بالتقية في موارد احتمال الضرر؛ ولذا تجد أنّ من الآداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في كلّ مناسبة من المناسبات الإسلامية، كالعيدين، وليالي القدر، ويوم عرفة، وغير ذلك من المناسبات، بل توجد زيارة منصوصة للإمام الحسين عليه السلام في بعض المناسبات المرتبطة بأحد الأئمّة عليهم السلام، وذلك من قبيل يوم النصف من شعبان؛ فإنّ من أعماله زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ كلّ ذلك لأجل أن تكون مظلوميّته عليه السلام حاضرة في وجدان المؤمن وأحاسيسه.

ولمّا كانت هذه المظلومية صرخة بوجه كلّ الظلمة المجرمين والمفسدين، صرخة اخترق صداها ضمير الإنسانية في أرجاء المعمورة، صرخة هزّت عروش الطغاة اللصوص، نجد أنّ الطغاة من الحكّام والسلاطين - وعلى مرّ العصور - تفتنوا في منع زيارته عليه السلام، كما أنّه قد تعرّض قبره الشريف ومرقد المبرك إلى اعتداءات متكرّرة، وكذلك أتباع أهل البيت عليهم السلام قد تعرّضوا إلى أبشع أنواع القتل والتعذيب والتنكيل،



إلا أن جميع تلك الممارسات لم تنههم عن مواصلة أداء الزيارة لمرقد الشريف^(١).
فأئمة أهل البيت عليهم السلام أو ثقوا أو اصر علاقة الشيعة بالإمام الحسين عليه السلام بأساليب
وطرق متنوّعة، ويقع في مقدّمها الزيارة التي تُعتبر من العناصر الأساسية التي تزيد
وتقوّي تلك العلاقة معه عليه السلام.

وعلى هذا الأساس أولى علماء الإمامية تحقيق نصوص الزيارات الواردة عن
المعصومين عليهم السلام اهتماماً بالغا، ووثقوها في كتبهم، منها كتاب (كامل الزيارات) لابن
قولويه القمّي، هذا الكتاب الذي يُعدّ من أهمّ الكتب المصنّفة في هذا المجال. ومنها
أيضاً: كتاب (المزار) للشيخ المفيد، و(مصباح المتهجّد) للشيخ الطوسي، و(مهج
الدعوات) للسيد ابن طاووس، و(المزار الكبير) للشيخ محمد بن جعفر المشهدي،
و(تحفة الزائر) للعلامة المجلسي، وكتاب (مفاتيح الجنان) المشهور للشيخ عباس القمّي.

المبحث الثاني: التوحيد في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام وأقسامه ودلالاته

حينما نطالع عنوان البحث - التوحيد في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام -
نجد أنّ هناك سؤالاً يضغظ على العقل، وهو: ما هي الضرورة الملّحة للكتابة في مثل
هكذا بحث؟ وهل تعيش البشرية عامّة والمسلمون خاصّة مشكلة إلهاد؛ لكي تُبرّر
الضرورة والغرض من الخوض في هذا البحث؟

والجواب: كلا؛ لأنّ الإلهاد في العالم المعاصر لا يمثّل مشكلة نظرية لا بالنسبة
إلى المسلمين ولا بالنسبة إلى غيرهم، فبالرغم من كلّ المظالم والمفارقات التي تلفّ
العالم من حولنا، فإنّ الإنسانية تتّجه صوب الإيثار وإن وجد هنا وهناك بعض من
يميل إلى الإلهاد.

لكنّ الحاجة والغرض من الولوج في هذا البحث هو أنّ الإيثار الصحيح يحتاج
إلى قواعد معرفية صحيحة، ليؤتي ثماره العملية الصحيحة والمرضية عند الله تعالى؛

(١) أنظر: أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٣٩٥.



لأنّ رضا البارئ تعالى لا يتحقّق إلّا في ضوء معرفة صحيحة بصيرة؛ ومرّد ذلك هو أنّ «العامل على غير بصيرة، كالسائر على غير طريق، فلا تزيده سرعة السير إلّا بُعداً»^(١). والتوحيد الصحيح والمرضي عند الله تعالى يُعدُّ من الأسس الكفيلة في بناء الإيمان المرضي والمطلوب من قبله عزّ وجلّ.

وهنالك شواهد كثيرة تعكس هذا المعنى، ولا يسعنا - المقام - استعراض الشواهد والأدلة على ذلك، لكن نكتفي بالحديث الذي ينقله الإمام الحسين عليه السلام، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث رُوي بأنّه: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: «ما رأس العلم؟ قال: معرفة الله حقّ معرفته. قال: وما حقّ معرفته؟ قال: أن تعرفه بلا مثال ولا شبيه، وتعرفه إلهاً واحداً، خالقاً قادراً، أوّلاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، لا كفو له، ولا مثل له، وذلك معرفة الله حقّ معرفته»^(٢)، حيث يُشير مضمون الرواية الشريفة إلى توحيده تعالى، وأنّه واحد لا شبيهه ولا كفو له.

وقد لخص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى في تعريفه لمعرفة الله تعالى حينها قال: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته توحيده...»^(٣).

فمن أحكم أساس التوحيد وأوثق عُراه، فقد أحكم كلّ شيء، ولا يحتاج إلى شيء آخر، فالتوحيد أساس كلّ شيء؛ ولذا نجد أنّ نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام جاءت مشفوعة بمعارف عقديّة، في مقدّماتها عقيدة التوحيد التي تحتلّ موقع الصدارة من بين المفاهيم العقديّة التي تناولتها نصوص تلك الزيارات كما سيّضح. ونجد أيضاً أنّ نصوص الزيارات تؤسّس لأمر بالغ الأهميّة على صعيد العلاقة بين التوحيد والنّبوة والإمامة وغيرها من المسائل العقديّة، ولا يسعنا الولوج في بيان ذلك؛ لأنّه لا يناسب دور المقدّمة لهذا المبحث.

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٣٦٢.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، جامع الأخبار: ص ١٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٠.

وهنا سنتناول عقيدة التوحيد في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام من خلال عدد من المطالب:

المطلب الأول: لمحة تصوّرية لنصوص التوحيد الواردة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام

يصعب سوّق جميع نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام التي اهتمت بعقيدة التوحيد، لكن نكتفي بتقديم صورة إجمالية للقارئ الكريم لما تحدّثه من شحنة مكثّفة من الأساس بأهمية هذه العقيدة، مضافاً إلى مساهمتها في انشراح الصدور.

ومن تلك النصوص النصّ الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، قال: «إذا أتيت القبر بدأت فأنتيت على الله عز وجل وصلّيت على النبي صلى الله عليه وآله، واجتهدت في ذلك...»، ثمّ تقول: «الحمد لله الواحد المتوحّد بالأمر كلّها، خالق الخلق فلم يعزب عنه شيء من أمرهم، وعالم كلّ شيء بغير تعليم...»^(١).

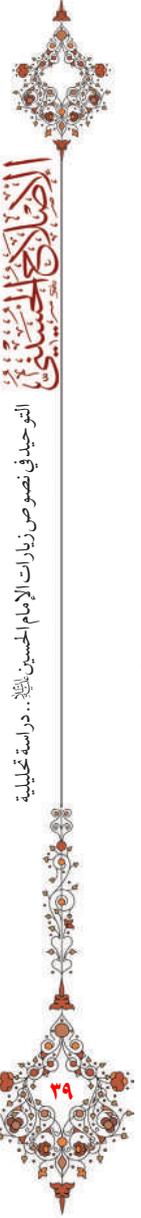
وفي زيارة أخرى نجد أنّ الإمام الصادق عليه السلام يُعلّم الزائر كيفية الزيارة، من قبيل قوله عليه السلام: «ثمّ امشِ عشر خطوات، ثمّ قف وكبّر ثلاثين تكبيرة، وقُل وأنت تمشي: لا إله إلا الله تهليلاً لا يُحصيه غيره قبل كلّ أحد، وبعد كلّ أحد، ومع كلّ أحد، وعدد كلّ أحد... اللهمّ إني أشهدك وكفى بك شهيداً، فاشهد لي أنّي أشهد أنّك حقّ، وأنّ رسولك حقّ، وأنّ قولك حقّ، وأنّ قضاءك حقّ، وأنّ قدرك حقّ، وأنّ فعلك حقّ...»^(٢).

وفي نصّ آخر من الزيارة يقول عليه السلام: «تباركت وتعاليت يا عظيم، ترى عظيم الجرم من عبادك فلا تعجل عليهم، تعاليت يا كريم، أنت شاهد غير غائب، وعالم بما أتى إلى أهل صفوتك وأحبائك من الأمر الذي لا تحمله سماء ولا أرض، ولو شئت لانتقمتم منهم، ولكنك ذو أناة...»^(٣).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٦، زيارة الإمام الحسين المطلقة.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٤١٧-٤١٨.



وفي نص آخر من الزيارة يُعلّم الإمام الصادق عليه السلام الزائر أن يقول: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق... أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله حتى أتاك اليقين»^(١).

ثم يقول عليه السلام في معرض تعليم الزائر ماذا يقول عند الغسل للزيارة وبعد الفراغ منه: «إذا أردت الغسل ندباً فقل: بسم الله وبالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى الأئمة الصادقين، اللهم طهر به قلبي، واشرح به صدري، ونور به بصري، اللهم اجعله لي نوراً وطهوراً وخيراً وشفاءً من كل داء وسقم، وعافني من كل ما أخاف وأحذر... فإذا سلّمت فكبر الله ما استطعت، وقل: الحمد لله الواحد المتوحد في الأمور كلّها، الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق. اللهم لك الحمد حمداً كثيراً دائماً سرمداً، لا ينقطع ولا يفنى، حمداً ترضى به عنا، حمداً يتصل أوله ولا ينفد آخره، حمداً يزيد ولا يبيد، وصلّى الله على محمد وآله وسلّم»^(٢).

ثم يقول عليه السلام في الزيارة ذاتها: «فإذا توجهت إلى الحائر فقل: اللهم إليك قصدت، ولبابك قرعت، وبفنائك نزلت، وبك اعتصمت، ولرحمتك تعرّضت، وبوليك الحسين عليه السلام توسّلت، اللهم صلّ على محمد وآله، واجعل زيارتي مبرورة، ودعائي مقبولاً»^(٣).

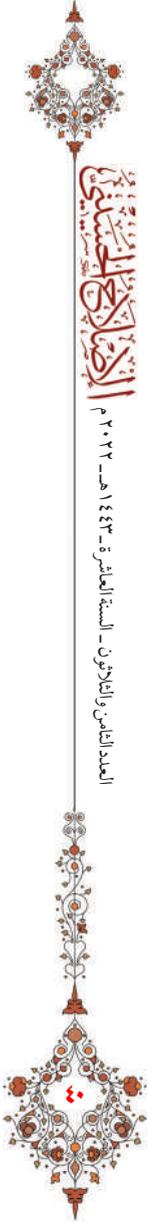
ويستمر عليه السلام بالقول: «ثم أدخل رجلك اليمنى القبّة وأخر اليسرى، وقل: الله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الفرد الأحد الصمد الواحد، المتفضل المتطول الجبار، الذي منّ بطوله، وسهّل زيارة مولاي، ولم يجعلني عن زيارته ممنوعاً، وعن ذمته مدفوعاً، بل تطول ومنح، فله الحمد»^(٤).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٦٢-٦٣، زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٢٨-٤٢٩، زيارة صفوان الجمال.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٢٩.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٣٠.



وورد أيضاً عند ورود كربلاء لزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، وتحديدًا بعد الصلاة ركعتين تحية المشهد ما نصّه: «فإذا فرغت وسبّحت فقل: الحمد لله الواحد في الأمور كلّها، خالق الخلق، لم يعزب عنه شيء من أمورهم، عالم كلّ شيء بغير تعليم، وصلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسوله وجميع خلقه، وسلامه وسلام جميع خلقه على محمد المصطفى وأهل بيته»^(١).

أمّا عند معاينة الجثث والوقوف عليه، فقد ورد: «ثمّ امشِ حتّى تُعَين الجثث، فإذا عاينته فكبرّ أربعاً واستقبل وجهه بوجهك، واجعل القبلة بين كتفيك، وقل: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام، يا ذا الجلال والإكرام... ثمّ استغفر لذنبك وادعُ بما أحببت، فإذا فرغت من الدعاء فاسجد وقل في سجودك: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك، أنّك أنت الله لا إله إلا أنت ربّي، والإسلام ديني، ومحمد نبيّي، وعلي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والخلف الباقي، عليهم أفضل الصلوات أنتمي، بهم أتولّى، ومن عدوّهم أتبرأ»^(٢).

المطلب الثاني: أقسام التوحيد في نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام

دأبت نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام على تناول مفهوم التوحيد وأقسامه، وفيما يلي نتناول أقسام التوحيد التي أشارت إليه تلك النصوص الشريفة.

الأول: التوحيد الذاتي

ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «الله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً،

(١) المصدر السابق: ص ٣٧٢، الباب ١٥، (ورود كربلاء وموضع النزول منها والغسل).

(٢) المصدر السابق: ص ٣٧٤ و٣٨٦، (باب القول عند معاينة الجثث).

والحمد لله الفرد الأحد الصمد الواحد»^(١). وفي نص آخر: «والحمد لله الفرد الصمد الماجد الأحد»^(٢).

ولكي يتّضح التوحيد الذاتي بشكل واضح ينبغي أولاً بيان ما هو المراد من التوحيد الذاتي، وما هي أقسامه.

المراد من التوحيد الذاتي: هو الاعتقاد بأنّ الذات الإلهية واحدة، فهو تعالى لا شريك له، وأنّ ذاته تعالى أحدية، بمعنى أنّها بسيطة غير مركّبة بأيّ نحوٍ من أنحاء التركيب.

وينقسم التوحيد الذاتي إلى نوعين:

الأوّل: التوحيد الواحدي، وهو أنّ الله واحد لا شريك له.

الثاني: التوحيد الأحدي، وهو أنّ الله تعالى بسيط لا جزء له.

وفيما يلي بيان كلا القسمين من خلال نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام:

النوع الأوّل: التوحيد الواحدي في نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام

جاء التوحيد الواحدي في مواضع متعدّدة من نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام، منها: «الحمد لله الواحد في الأمور كلّها، خالق الخلق، لم يعزب عنه شيء من أمورهم»^(٣). وفي نص آخر من الزيارة: «الله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الفرد الأحد الصمد الواحد»^(٤).

ولأجل بيان المراد من التوحيد الواحدي ينبغي بيان معنى الواحد.

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٢١، (زيارته عليه السلام في العيدين).

(٢) الكفعمي، إبراهيم بن علي، المصباح: ص ٤٩٩، (زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة العيدين). ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٢١، (زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العيدين).

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣٧٢، الباب ١٥، (ورود كربلاء وموضع النزول منها والغسل).

(٤) المصدر السابق: ص ٤٢١، (زيارته عليه السلام في العيدين).

إن معنى الواحد في اللغة: ما وضع للشيء الذي ليس باثنين ولا أكثر منها. أما معنى الواحد فيما يرتبط بالله تعالى، فهو يعني تفرده تعالى بالوحدانية، أي: إنه تعالى واحد يستحيل أن يكون له ثاني.

وهذا ما نلمسه واضحاً في القرآن الكريم، ففي عدد وافر من النصوص القرآنية نجد أتمها كلما ذكرت اسم الواحد، أردفته بوصف القهّارية، كما في قوله سبحانه: ﴿... أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١)، وقوله: ﴿... وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣). فهذه النصوص القرآنية تُصريح بأن وحدة الله تعالى قهّارة، تقهر كلّ ثاني.

وهذا بخلاف ما لو كانت وحدته تعالى وحدة عددية؛ إذ الواحد بالعدد يمكن أن يكون له ثاني وثالث وهكذا، فيكون تعالى محدوداً، وهو محال؛ لما ثبت في محله من أنه تعالى واحد لا بحدّ.

فإذا ثبت أنّ الله سبحانه قاهر غير مقهور، وغالب لا يغلبه شيء مطلقاً، فلا يتصور في حقه وحدة عددية، أو كثرة عددية.

وهناك عدد وافر من الروايات التي تُصريح بنفي الوحدة العددية عن الله تعالى، من قبيل ما ورد عنهم عليهم السلام من أنّ الله تعالى: «واحد لا بعدد»^(٤)، و«الأحد لا بتأويل عدد»^(٥) ونحوهما. وقد استدلل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على بطلان الوحدة العددية بقوله: «مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ»^(٦).

(١) يوسف: الآية ٣٩.

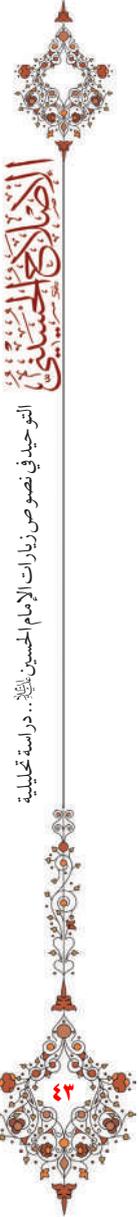
(٢) سورة ص: الآية ٦٥.

(٣) الزمر: الآية ٤.

(٤) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٢، ص ٤٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.



وهذا المعنى تناولته نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فقد ورد فيها ما نصّه: «الحمد لله الواحد في الأمور كلّها»، ونحو ذلك ممّا يشاركه في المضمون، في دلالة واضحة على أنّ الله تعالى واحد لا ثاني له، وهذا هو التوحيد الواحدي.

النوع الثاني: التوحيد الأحدي في نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام

ورد في نصوص الزيارة ما يؤكّد التوحيد الأحدي لله تعالى، من قبيل قوله عليه السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العيدين: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الفرد الصمد، الماجد الأحد، المتفضّل المتّان، المتطوّل الحنّان»^(١).

ولكي يتّضح المراد من التوحيد الأحدي في نصوص زيارة الإمام عليه السلام، ينبغي بيان معنى الأحد في اللغة والاصطلاح:

يُستخدم لفظ (أحد) في لغة العرب في الغالب بعد النفي، فيقال مثلاً: (ما في الدار أحد)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَسْتَ نَكَّاحٌ مِنْ نِكَاحِ نِسَاءِ﴾^(٣). وهذا بخلاف لفظ (واحد)؛ فإنّه يُستخدم بعد الإثبات، كقولنا: (في الدار واحد).

أمّا الفرق بين التوحيد الواحدي والتوحيد الأحدي، فإنّ التوحيد الواحدي يُستعمل في نفي الثاني، والمثل، والشريك.. أمّا التوحيد الأحدي فهو يتحرّك في جهة ثانية، ترتبط ببيان بساطة الذات الإلهية نفسها، وأتمّها غير مُركّبة من أجزاء. فوظيفة التوحيد الأحدي هي إثبات أنّ الله تعالى بسيط، ونفي التركيب عنه سبحانه، بقطع النظر عمّا إذا كان له ثانٍ أو لا.

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، المصباح: ص ٤٩٩، (زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة العيدين). ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٢١، (زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العيدين).

(٢) التوبة: الآية ٨٤.

(٣) الأحزاب: الآية ٣٢.

ويستدلّ على التوحيد الأحدي بنفي التركيب عن الله تعالى، بمعنى ذاته تعالى غير مركّبة، لا على نحو التركيب الخارجي، ولا على نحو التركيب الناتج عن التحليل الذهني والتجزئة العقلية^(١).

ويمكن أن نستلهم البرهان على بطلان التركيب من كلمات الإمام الحسين عليه السلام في هذا المجال من قوله عليه السلام في دعاء عرفة: «إلهي، أنت الغني بذاتك»^(٢). ومعنى ذلك: لو فرض بأن الله تعالى مركّب بأيّ نحوٍ من أنحاء التركيب، فعلى أساس القاعدة العقلية التي تقول: (إنّ كلّ مركّب يحتاج إلى أجزائه)، فلا بدّ أن يكون تعالى محتاجاً إلى أجزائه، والاحتياج علامة الفقر، فيكون الله تعالى فقيراً محتاجاً، وهو ينافي ما أفاده الإمام الحسين عليه السلام من كون الله تعالى غنياً بذاته ولا يحتاج إلى غيره.

وهذا المعنى من التوحيد الأحدي صرّحت به نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام كما ورد في زيارته عليه السلام المروية عن الإمام الصادق عليه السلام: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الفرد الصمد، الماجد الأحد»^(٣). وغير ذلك من النصوص الأخرى التي تحدّثت عن التوحيد الأحدي.

الثاني: التوحيد العبادي

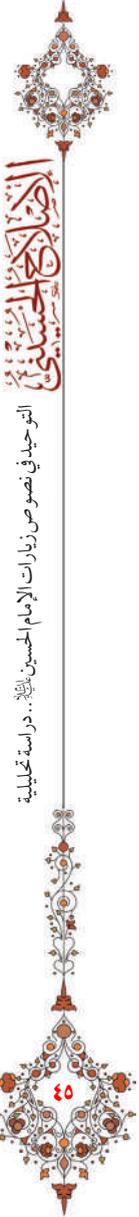
هو الاعتقاد بأنّ العبادة يجب أن تنحصر بالله تعالى، فلا يوجد معبود سواه، ومن عبد غير الله فإنّه فقد التوحيد في العبادة وسقط في الشرك^(٤).

(١) أجاب الإمام الرضا عليه السلام السائل الذي يزعم وجود التشابه بين الله تعالى وبين غيره في الوحدة، حيث قال السائل: الله واحد والإنسان واحد، أليس قد تشابهت الوحدة؟ فأجابه عليه السلام قائلاً: «الإنسان نفسه ليس بواحد؛ لأنّ أعضائه مختلفة، وألوانه مختلفة... فالإنسان واحد في الاسم ولا واحد في المعنى. والله جلّ جلاله واحد لا واحد غيره، لا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا زيادة، ولا نقصان». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١١٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٢٢٦.

(٣) الكفعمي، المصباح (زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة العيدين): ص ٤٩٩. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار (زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العيدين): ٤٢١.

(٤) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات: ص ٢٩٦.



وقد أشارت نصوص الزيارة إلى ذلك، فقد ورد في مقام تعليم الإمام عليه السلام للزائر - بعد قراءة الزيارة وأداء صلاة الزيارة - أن يقول: «اللهم إني لك صليت، ولك ركعت، ولك سجدة، وحدك لا شريك لك؛ لأنه لا تجوز الصلاة والركوع والسجود إلا لك؛ لأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت»^(١)، في إشارة إلى أن المعبود هو الله تعالى وحده لا شريك له.

كما يمكن استيحاء هذا المعنى من نص آخر لإحدى الزيارات، يقول الزائر فيه: «أنا عبد الله ومولاه، وفي طاعتك والوفاد إليك، ألتمس كمال المنزلة عند الله»^(٢). والنصوص المصرحة بذلك كثيرة ومتنوعة، منها ما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام، والتي يقول فيها: «أشهد أنك قد أقمّت الصلاة، وأتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت الملحدين، وعبدت الله حتى أتاك اليقين»^(٣).

وفي نص آخر يبيّن الإمام عليه السلام للزائر أن يكون سفره إلى الزيارة في الحقيقة طاعة لله تعالى؛ لذا تجد في كل فقرة وفي كل موضع يُلفت عليه السلام نظر الزائر؛ ليكون متوجّهاً إلى الله تعالى، ثمّ ينعطف عليه السلام مجدداً ليبيّن للزائر كيفية مواصلة مسير الزيارة، فيقول عليه السلام للزائر: «ثمّ انحرف عن القبر وحوّل وجهك إلى القبلة، وارفع يديك إلى السماء وقل: اللهمّ من تهيأ وتعباً وأعدّ واستعدّ لوفادة إلى مخلوق، رجاء رفته وجائزته، ونوافله وفواضله وعطاياه، فأليك يا ربّ كانت تهيئتي وتعبئتي وإعدادي واستعدادي وسفري، وإلى قبر وليك وفدت، وبزيارته إليك تقربت، رجاء رفدك وجوائزك ونوافلك وعطاياك وفواضلك. اللهمّ وقد رجوت كريم عفوك، وواسع مغفرتك، فلا تردني خائباً؛ فأليك قصدت، وما عندك أردت، وقبر إمامي الذي أوجبت عليّ طاعته زرت، فاجعلني به

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٢٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٥.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٣٦.

عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة، وأعطني به جميع سؤلي، واقض لي به جميع حوائجي، ولا تقطع رجائي، ولا تُحَيِّب دعائي، وارحم ضعفي، وقلة حيلتي، ولا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك»^(١).

وبعد ذلك يُشير الإمام عليه السلام إلى تعليم الزائر في خاتمة زيارته أن يسجد لله تعالى، ويقول في سجوده: «اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك، أنك أنت الله لا إله إلا أنت ربّي...»^(٢).

والنقطة التي نتوخاها هي أن نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام أولت عناية خاصة بالتوحيد العبادي؛ ولذا نجد أن هذه العقيدة قد شغلت مساحة واسعة منها.

الدعاء في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام

شغل الدعاء حيزاً كبيراً في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام؛ لأن الدعاء هو عبادة الله تعالى، بل هو منح العبادة كما في النصوص الروائية^(٣)؛ إذ إن حقيقة العبادة هي التوجه إلى الله تعالى وحده، والدعاء لبّ العبادة وخالصها؛ لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله عما سواه، وذلك حقيقة التوحيد في العبادة.

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٤)، قال عليه السلام: «هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء»^(٥).

وهذا المعنى نجده في مواضع وافرة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام، سواء في نصّ الزيارة، أم في مقام تعليم الإمام الصادق عليه السلام كيفية الزيارة، حيث ورد فيها ضرورة

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢١٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٦.

(٣) أنظر: قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، الدعوات: ص ١٨.

(٤) غافر: الآية ٦٠.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٦٦.

أن يكون الزائر متوجّهاً بالدعاء إلى الله تعالى، وأن يجعل من الإمام المزور عليه السلام واسطة لقبول الدعاء وقضاء حوائجه، وذلك كما في النصّ التالي: «اللهمّ إنّنا نتوسّل إليك بهذا الصّدّيق الإمام، ونسألك بالحقّ الذي جعلته له، ولجده رسولك، ولأبويه علي وفاطمة، أهل بيت الرحمة، إدرار الرزق الذي به قوام حياتنا، وصلاح أحوال عيالتنا، فأنت الكريم الذي تُعطي من سعة، وتمنع من قدرة»^(١).

وفي نصّ آخر يُبيّن الإمام الصادق عليه السلام كيفية توسّل الزائر بالإمام الحسين عليه السلام لكي يكون له منزلة عند الله تعالى، وذلك أن يقول: «أنا عبد الله ومولاه، وفي طاعتك والوفاد إليك، ألتمس كمال المنزلة عند الله وثبات القدم في الهجرة إليك... من أراد الله بدأ بكم»^(٢).

والملفت في هذين النصّين هو الإشارة إلى أنّ الأئمة عليهم السلام هم واسطة الفيض الإلهي.

وفي نصّ ثالث يتوغّل الإمام الصادق عليه السلام في بيان مرتكزات المعنى أكثر وبشكل واضح وصریح؛ حيث يقول عليه السلام: «وبكم فتح الله، وبكم يختم الله، وبكم يمحو الله ما يشاء، وبكم يثبت، وبكم يفكّ الذلّ من رقابنا، وبكم يُدرك الله ترة كلّ مؤمن يطلب، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها وورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث»^(٣).

وربّما أفضل مؤشّر يؤكّد هذا المعنى ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام في النصّ التالي، حيث يُعلّم الزائر بأن يقول: «وقد توجّهت إليك بابن رسولك وحجّتك وأمينك، وقد أتيتك متقرباً به إليك وإلى رسولك، فاجعلني به عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وأعطني بزيارتي أملي، وهب لي مناي، وتفضّل علي بشهوتي ورغبتني، واقض

(١) ابن المشهدي، جعفر بن محمد، المزار: ص ٥١٣.

(٢) ابن قولويه، محمد بن جعفر، كامل الزيارات: ٣٦٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٦٥-٣٦٦.

لي حوائجي، ولا تردني خائباً، ولا تقطع رجائي، ولا تُحَيِّب دعائي، وعرفني الإجابة في جميع ما دعوتك من أمر الدين والدنيا والآخرة»^(١).

وإلى جوار النص السابق، يأتي نص آخر يشهد لهذا المعنى، نأخذه من زيارة الأربعين، حيث يقول: «أنا يا مولاي عبد الله وزائرُك، جئتُك مشتاقاً، فكن لي شافعياً إلى الله، يا سيدي»^(٢).

إذاً؛ هنالك اهتمام واضح في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام في مسألة الدعاء، يبين فيها الأئمة المعصومين عليهم السلام للزائر كيفية التوسل والدعاء لله تعالى بالحضرة المقدسة للإمام الحسين عليه السلام.

الثالث: التوحيد في الربوبية

ولتوضيح هذا المعنى ينبغي بيان معنى الرب في اللغة والاصطلاح. الرب مصدر مُستعار للفاعل، ولا يُقال الرب مُطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: ﴿... بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾^(٣). أما إذا أُضيفت كلمة الرب، فحينئذ يمكن أن تُستعمل في الباري تعالى وفي غيره، فيقال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾^(٤). ويقال: رب الدار، ورب الفرس، ونحو ذلك^(٥).

والمراد من التوحيد في الربوبية في الاصطلاح أن للكون مدبراً ومتصرفاً واحداً لا يُشاركه في التدبير شيء، فهو سبحانه المدبر للعالم، وأن تدبير الملائكة وسائر الأسباب إنما هو بأمره سبحانه. وهذا على خلاف ما ذهب إليه أكثر المشركين؛ حيث كانوا

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢٨٠.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ١٠٢.

(٣) سبأ: الآية ١٥.

(٤) الشعراء: الآية ٢٦.

(٥) أنظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٣٣٦.

يعتقدون بأن ما يرتبط بالله سبحانه وتعالى هو الخلق والإيجاد والإبداع، وأمّا تدبير الأنواع والكائنات الأرضية فقد فوّض إلى الأجرام السماوية والملائكة والجنّ وسائر الموجودات الروحية، وغير ذلك ممّا تحكي عنه الأصنام المعبودة، التي قالوا عنها: إنّ الله سبحانه ليست له أية مدخلية في أمر تدبير الكون وإرادته وتصريف شؤونه^(١).

وهذا المعنى استعمل في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام بشكل كبير، حيث يُشير عليه السلام إلى كيفية تدبير الله تعالى، وأنّه تعالى يرعى الإنسان ويُدبّر أمره، وهذه العناية والرعاية هي نوع من التدبير، وهو معنى الربوبية.

وثمة نصوص متعدّدة من زيارته عليه السلام أشارت إلى التوحيد في الربوبية، كما في زيارته عليه السلام في النصف من شعبان، فقد ورد فيها: «السلام عليك يا عمود الدين، السلام عليك يا باب حكمة ربّ العالمين»^(٢).

وفي مورد آخر نجد أنّ الإمام الصادق عليه السلام يُعلّم الزائر كيفية زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام بأن يقول: «فإليك يا ربّ كانت تهيبتي وتعبتي، وإعدادي واستعدادي وسفري»^(٣).

وتتوالى نصوص الزيارة في التأكيد على هذا المعنى، ففي نصّ ثالث ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العيدين: «الحمد لله الواحد المتوحد في الأمور كلّها، الرحمن الرحيم، الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربّنا بالحق»^(٤).

وفي نصّ مماثل يُعرّف (الربّ) بالألف واللام في دلالة على حصر الربوبية به

(١) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١١، ص ٢٨٩. السبحاني، جعفر، ملخص الإلهيات: ص ٣٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤١.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣٨٣.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٢٠. القاضي ابن البراج، عبد العزيز، المهذب: ج ١، ص ٢٨١.

تعالى، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام في زيارة جدّه الإمام الحسين عليه السلام: «إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم»^(١).

ويمكن الاستئناس لهذا المعنى بما ورد في دعاء عرفة عن الإمام الحسين عليه السلام: «اللهمّ إني أرغب إليك وأشهد بالربوبية لك، مقرّاً بأنك ربّي، وأنّ إليك مردّي، ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقنتني من التراب، ثمّ أسكنتني الأضلاب... ثمّ أسكنتني في ظلمات ثلاث، بين لحم وجلد ودم، لم تشهدني خلقي، ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري، ثمّ أخرجتني إلى الدنيا تامّاً سويّاً، وحفظتني في المهد طفلاً صبيّاً، ورزقتني من الغذاء لبناً مريّاً [طريّاً]، وعظفت عليّ قلوب الحواضن»^(٢).

المطلب الثالث: دلالات نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام على التوحيد

بناء على ما تقدّم في مطاوي البحث غدا من الطبيعي أن نشير إلى ما تكتنزه نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام من دلالات لمفهوم التوحيد، ومن هذا الدلالات:

أولاً: التوحيد أساس الدين

يعدّ التوحيد من أهمّ المسائل العقدية، حيث تصدّرت المفاهيم والتعاليم السماوية على الإطلاق، وهو رسالة جميع الأنبياء، وهذا ما نلمسه من عناية الأئمة عليهم السلام بنصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام وتأكيدهم هذا المعنى بشكل واضح؛ لكي تكون عقيدة التوحيد عميقة الأثر ضاربة الجذور في شخصية الزائر وفي طبيعة أعماله، وأن تكون آماله وروابطه وغاياته كلّها محصورة في الله ربّه، فيوقن الزائر بأنّ الله وحده المعبود الحقّ، وأنّ بيده وحده مقاليد الأمور، وإليه وحده مصائر الأشياء، فهو الإله الذي لا يُعبد غيره، والربّ الذي لا يملك التدبير سواه، وهو الملك الفرد الذي لا تُرجى إلّا رحمته، ولا تخشى إلّا نقمته.

(١) ابن قولويه، محمد بن جعفر، كامل الزيارات: ص ٣٦٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٢١٦. وأنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال

الأعمال: ج ٢، ص ٧٤-٧٥.

ويوقن بأن ما في الكون من القوى وكل ما بيد المخلوقين كافة من الحلول هو في قبضة الله وتحت سلطانه، تنفذ فيه حكمته، وتتصرف فيه إرادته. والله مقدر الآجال ومسبب الأسباب، ثم لن تستطيع أية قوة في العالم نقض ما أبرم أو تأخير ما قدم؛ ولذلك فالمسلم لا يرهب إلا الله، ولا يحذر إلا بطشه، ولا يخشى إلا غضبه.

كل ذلك الاعتقاد لا بد أن يكون مشفوعاً بعقيدة مهمّة، وهي أن الإمام الحسين عليه السلام - وكذلك سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام - هو باب الله تعالى، وهو الوسيلة والشفيع إليه تعالى، وأن الله تعالى أعطاه هذا المقام كما في نصّ الزيارة: «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم»، فهو عليه السلام - وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام - محور عالم الإمكان وقطبه، ورضاه عليه السلام من رضا الله، وهو من العباد المكرّمين الذين لا يسبقون الله في قول ولا في إرادة، فما يفعله إنّما هو بإذن من الله سبحانه، ولا يسبق إرادة الله ومشيتّه، فلا يُريد إلا ما أراد الله، ولا يشاء إلا ما شاء الله، ولا يُعطي ولا يمنع إلا بإجازة الله.

ثانياً: نبذ الشرك بالله تعالى

إنّ تأكيد نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام على التوحيد لأجل بيان أن المنزلق الخطير للبشرية هو الشرك بالله تعالى؛ ولذا فإنّ محور المعركة الكبرى بين الرسل والأمم الضالّة هو التوحيد، ورفض الآلهة التي اتخذها الناس شركاء لربّ العزّة، وهذا المعنى يتجلّى لنا من خلال إضاءات متعدّدة من القرآن الكريم، ففي رسالة الله تعالى إلى النبي نوح عليه السلام تتلخّص عقيدة التوحيد في الكلمة التالية: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾^(١).

وكانت هذه العقيدة أيضاً صفوة رسالة الله سبحانه إلى النبي هود عليه السلام، قال

(١) هود: الآية ٢٦.

تعالى: ﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرُونَ﴾ (١).

وهي كذلك رسالة النبي صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٢).

وهي رسالة النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازِرْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَ إِلَهَةً إِنِّى أَرَىكَ وَفَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣).

ورفض النبي موسى عليه السلام طغيان فرعون وتبراً منه، قال الله تعالى حكاية عن لسانه عليه السلام: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَّتُمْ فَوْهَبَ لِي رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٤). وكانت العاقبة أن الله تعالى نصر موسى عليه السلام وقومه وأغرق الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٥).

وأخيراً تلخّصت رسالة النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إعلان البراءة من المشركين، فلم يداهنهم طرفة عين، بل قال صلى الله عليه وآله وسلم لهم بكل صراحة كما أمره الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِى دِينِ﴾ (٦).

وإذا استطلال الإمام علي عليه السلام وحطم أصنام قريش المرصوفة حول الكعبة بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا تلا على المشركين في الموسم آيات البراءة منهم؛ فإنه خاض حرباً لا هوادة فيها ضدّ دعاة الشرك الذين تظاهروا بالإسلام. وكانت معركة الجمل

(١) هود: الآية ٥٠.

(٢) هود: الآية ٦١.

(٣) الأنعام: الآية ٧٤.

(٤) الشعراء: الآية ٢١.

(٥) الشعراء: الآيتان ٦٥-٦٦.

(٦) الكافرون: الآيات ١-٦.

ضدّ الناكثين، ومعركة صفّين ضدّ القاسطين، ومعركة النهروان ضدّ المارقين، كانت كلّ تلك المعارك دفاعاً عن التوحيد وقيمه.

وعلى هذا الأساس سار الإمام الحسين عليه السلام، فوقف بوجه بني أمية الذين رفعوا راية الشرك المصبوغة بظاهر من طقوس الدين، وبنهضته عليه السلام المباركة فصل بين خطّ التوحيد وخطّ الشرك المتظاهر بالدين.

هذا؛ وقد أعلن عليه السلام هذه الحقيقة في كلمته التي وجهها إلى أصحابه وأصحاب الحرّ الرياحي في (البيضة)، التي جاء فيها: «أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يَغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ»^(١).

وعن النضر بن مالك، قال: قلت للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا أبا عبد الله، حدّثني عن قول الله عز وجل: ﴿هَذَا نِ [خَصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيبِهِمْ]﴾، قال: نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة»^(٢).

إنّ بني أمية لم يؤمنوا بالله سبحانه طرفة عين، ولم يطلبوا الحكم لأجل الحكم فحسب، بل قصدوا وراء ذلك إطفاء نور التوحيد؛ ولما كان أئمة الهدى عليهم السلام السدّ المنيع في قبال مكرهم، عمدوا إلى القضاء عليهم، غافلين عن أنّ فعلهم هذا هو محاربة الله تعالى، وهو سعي لإطفاء نور الله جلّ جلاله، ﴿... وَيَأْتِي اللَّهُ الْآلَانَ يُنِيرُ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

ومن هنا؛ يمكن أن يكون أحد مصاديق الحديث النبوي الشريف: «حسين

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول في آل الرسول: ص ٥٠٥، الهامش.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٤٣.

(٣) التوبة: الآية ٣٢.

مَنِّي وأنا من حسين»^(١)، هو أنّ الراية التي حملها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كانت امتداداً للرسالة التي حملها النبي صلى الله عليه وآله يوم مبعثه، بل هي نفسها في المحتوى والمضمون، وأنّ خلاصتها ليست إلاّ شيئاً واحداً، ألا وهو توحيد الباري جلّت قدرته، ونبذ الأصنام الحجرية منها والبشرية.

ثالثاً: لا يقبل الله تعالى العبادة إلا بالتوحيد الخالص

إنّ تأكيد نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام على التوحيد يُشير إلى عدم مقبولية أيّ عملٍ إلاّ إذا حقّق التوحيد المرضي عند الله تعالى، فالعمل الخالص لله شرط من شروط صحّة العبادة وقبولها، بل إنّ كثيراً من العبادات لا تقوم إلاّ بترديد كلمة التوحيد، ومثال ذلك الآذان، فهو قائم على الكلام المتضمّن للتوحيد، وكذلك مثاله الصلاة، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢)، أي لتذكرني فيها؛ إذ إنّها مشتملة على الأذكار، ولاشتغال القلب واللسان بذكر الله فيها فضّلت على سائر العبادات، فقد تضمّنت هذه العبادة كلمة التوحيد.

ولهذا نجد الأئمّة المعصومين عليهم السلام يُعلّمون الزائر ويُرسّخون في عقيدته التوحيد بمعناه الصحيح، بل حتّى في عبادته وصلاته يلفتون نظر الزائر إلى هذا المعنى فيقول بعد صلاة الزيارة: «اللهمّ إني صلّيت وركعت وسجدت لك وحدك لا شريك لك؛ لأنّ الصلاة والركوع والسجود لا يكون إلاّ لك؛ لأنك أنت الله لا إله إلاّ أنت...»^(٣).

وهذا يُعدّ ردّاً واضحاً للمشكّكين الذين يتّهمون الشيعة بأنّهم يعبدون الأئمّة، أو أنّهم يشركون بالله تعالى بزيارتهم لمراقد الأئمّة عليهم السلام، فالجواب بات واضحاً من خلال نصوص الزيارة التي تركّز - وبشكل صريح - على عقيدة التوحيد في كلّ موقف وفي كلّ فقرة من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، بل في كلّ زيارة للأئمّة الأطهار عليهم السلام.

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٦٥٨، الحديث: ٣٧٧٥.

(٢) طه: الآية ١٤.

(٣) القمّي، الشيخ عبّاس، مفاتيح الجنان: ص ٦٣١.

رابعاً: التوحيد الخاص يصنع الشخصية المترنة

لا يقف البحث عند هذه التخوم، بل يتعدّها إلى ما هو أبعد ليصنغ بعداً آخر من تأكيد الأئمة المعصومين عليهم السلام على التوحيد الوارد في زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وهذا البعد يتمثل في أنّ التوحيد له الدور الكبير في تكوين الشخصية المترنة التي تميّزت بها شخصية المؤمن وتوحّدت غايتها، وتحدّد طريقها، فليس لها إلا إله واحد تتجه إليه في الخلوة والعلانية، وتدعوه في السراء والضراء، وتعمل على ما يرضيه في الصغيرة والكبيرة. بخلاف المشرك الذي تقسّمت قلبه الآلهة، وتوزّعت في حياته المعبودات، فحيناً يتّجه إلى الله، وحيناً ثانياً إلى هذا الصنم، وحيناً ثالثاً إلى ذاك.

ومن هنا؛ قالت الآية الكريمة حكاية عن لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا...﴾^(٢)، فمثل المؤمن بعبد له سيّد واحد عرف ما يرضيه وما يسخطه، فوقف عند ما يرضيه واستراح إليه، ومثل المشرك بعبد له أكثر من سيّد، هذا يوجّهه إلى الشرق، وذاك إلى الغرب، وهذا يأخذه إلى اليمين، وآخر إلى اليسار، فهم شركاء متشاكسون، وهو بينهم مشتّت موزّع لا ثبات له ولا قرار.

ولذا؛ فإنّ تأكيد المعصوم عليه السلام على الزائر وتلقينه عقيدة التوحيد في الزيارة، يجعله ذا شخصية مترنة متوجهة إلى الله تعالى وحده، تدعوه في كلّ سراء أو ضراء، ومجاهدة في العمل على ما يرضيه تعالى في كلّ صغيرة وكبيرة.

(١) يوسف: الآية ٣٩.

(٢) الزمر: الآية ٢٩.

خامساً: التوحيد مصدر لأمن النفس

ثمة معطى آخر يلوح من نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام المفعمة بالتوحيد الخالص لله عز وجل، وهو أنّ التوحيد يملأ نفس الموحد أمناً وطمأنينة، فعقيدة التوحيد الصحيحة تسد منافذ الخوف التي يفتحها الناس على أنفسهم؛ الخوف على الرزق، والخوف على الأجل، والخوف على النفس، والخوف على الأهل والأولاد، والخوف من الإنس، والخوف من الجن، والخوف من الموت، والخوف مما بعد الموت.

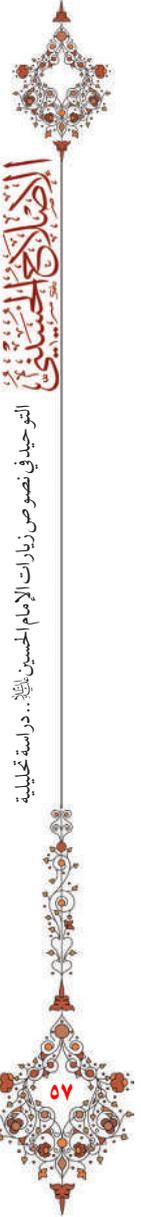
أمّا المؤمن الموحد فلا يخاف شيئاً ولا أحداً إلا الله، ولهذا تراه آمناً إذا خاف الناس، مطمئناً إذا قلق الناس، هادئاً إذا اضطرب الناس، وفي هذا يذكر القرآن حوار إبراهيم مع قومه المشركين حين خوفوه بأصنامهم وأهنتهم الزائفة، فردّ عليهم متعجباً ومعجباً بقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

والبرهان الناصع الذي لا التواء فيه، والحكمة الرفيعة التي لا ضعف فيها، بينها الله عز وجل في الآية التالية التي تمّ فيها تحديد من يستحقّ الأمن من الفريقين، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢).

وهذا الأمن ينبع من داخل النفس لا من حراسة الشرطة الذي هو أمن الدنيا، فهو الأمن في الآخرة، وهو أعظم وأبقى؛ لأنهم أخلصوا لله، ولم يخلطوا توحيدهم بشرك. وعلى هذا الأساس؛ يبدأ المعصوم عليه السلام في تأكيده على الزائر وتلقيه عقيدة التوحيد في الزيارة؛ لكي يملأ قلبه أمناً وطمأنينة، فلا يرهب أيّ لون من ألوان الخوف والرعب، سواء على نفسه أم على أهله وأولاده، فيكون موحداً لا يخاف شيئاً ولا أحداً إلا الله، ولهذا تراه مطمئناً إذا قلق الناس، آمناً إذا خاف الناس، وكيف يخاف أحداً غير الله وهو يعلم أنّه ضعيف الحلول إلا حين ينتصر بالله، واهن الكيد

(١) الأنعام: الآية ٨١.

(٢) الأنعام: الآية ٨٢. ومعنى بظلم: أي: بشرك.



إلا حين يستعين به تعالى، معدوم القوة إلا حين يلتجئ إليه سبحانه؟ فالمسلم ثابت العزيمة قوي النفس بعيد الهمة.

ويوقن المسلم بأن كل ما في السموات وما في الأرض من متحرك وساكن، صغير وكبير، حيّ وجامد، وكل ما بيد الإنسان من مال وثروة، وما يعتز به من مجد وسطوة، هو ملك خالص لله الغني الذي لا منتهى لغناه، الوهاب الذي لا حصر لجوده، القادر الذي لا حدّ لسلطانه ولا أمد لقدرته؛ ولذلك فالمسلم لا يزدهي بثروته، ولا يستطيع بقوة، ولا يحسد على نعمة، ولا ييأس من رحمة، ثم هو لا يظلم ولا يحيف ولا يتكبر.

ويعود السبب في ذلك إلى علمه بأن كل ما في يده أو في يد غيره، هو لله الجواد الذي لا يبخل، والعدل الذي لا يظلم، العزيز الذي يهب النعمة أتى شاء بقدرته، ويسلبها أتى شاء بحكمته. فالمسلم عفّ الضمير، نقي السرّ، طاهر العلانية، موصل الأمل بالله، شديد الثقة بتدييره.

وهذه المرتبة من التوكّل لن تقعد بالمسلم عن خوض غمار الحياة، ولن تقصر به في شيء من مجالاتها، فقد أهمته فطرته السليمة أن لكل أمر مدخلاً، وقد لقّنه الدين الحنيف أن لكل شيء سبباً، ولا مانع من أن يلتمس رزق الله تعالى من السبل التي يسرها، ومن الموارد التي قدّرها؛ ولأجل هذا اليقين تجد المؤمن هادئ النفس حين يعمل، قويّ الطمأنينة حين يكسب، متّزن المشاعر والأعمال حين يستغني وحين يفتقر، ولأجل هذا اليقين تجده معافي من العقد التي تُقلق النفوس، ومعافي من الاضطرابات التي توقظ مضاجع الناس وتُسعر حياتهم.

وهذه هي الحقيقة الرائعة التي قرّرها داعية الإسلام الأول حين قال كلمته الأولى: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»^(١).

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٥١.

سادساً: لا تتحقق الأخلاق الفاضلة في المجتمع الانساني إلا بالتوحيد

وهذا المعنى يمكن استيعاؤه من تأكيد الأئمة المعصومين عليهم السلام في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام على التوحيد.

وخلاصته: أنّ المجتمعات الإنسانية لا يمكن أن تتمتع بالسعادة الحقيقية والأمن والسلام إلا من خلال التوحيد؛ لأنّ القوانين التي تحفظ حقوق الأفراد وإن كانت متوفرة في تلك المجتمعات، وكذلك وجود القوة المجرية لها، بيد أنّ هناك أمراً مهماً، وهو أنّ هذه القوانين لا تُعطي ثمارها إلا إذا كانت مبنية على أساس عقيدة التوحيد، فعقيدة التوحيد تكون دافعة للإنسان إلى العمل على رضا الله تعالى، وتكون التقوى رادعاً داخلياً له عن ارتكاب الجرم.

وعلى هذا الأساس؛ نجد أنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام يؤكّدون في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام على ضرورة حضور التوحيد في قلب الزائر ونفسه بنحو كبير.

الخاتمة

نطوي هذا البحث بالرسو على أهمّ النتائج المترتبة، وهي:

1. إنّ الغاية من كثرة ووفرة زيارات الإمام الحسين عليه السلام هي إبراز أنّ مظلوميته عليه السلام ليس لها نظير في التاريخ البشري، وأنّ هذه المظلومية قامت بإحياء الدين وإظهار حقيقته التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله بعدما أراد بنو أمية تحريفه وإخفاء حقيقته، والعبث في كلّ جوانبه وإفراغه من محتواه.
2. إنّ نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام عرضت عقيدة التوحيد الإلهي بأروع صورها وأخلصها، فالمتأمل فيها بعقل واع يجد تطابقاً مع ما قرّره العقيدة الإسلامية من أصل التوحيد وأقسامه، فدأبت تلك النصوص على تناول مفهوم التوحيد وأقسامه، كالتوحيد الذاتي بقسميه الواحدي والأحدي، والتوحيد في العبادة وأنّه تعالى لا معبود سواه، والتوحيد في الربوبية، وأنّ للكون مدبراً ومتصرفاً واحداً لا يُشاركه في التدبير شيء.

- ٣ . ساقّ البحث عدداً من دلالات نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام على التوحيد، يقع في صدارتها أنّ التوحيد أساس الدين، وهو ما نلمسه من عناية الأئمة عليهم السلام في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام وتأكيدهم هذا المعنى بشكل واضح، لكي تكون عقيدة التوحيد عميقة الأثر ضاربة الجذور في شخصية الزائر.
- ٤ . ومن النتائج كذلك أنّ الاعتقاد بالتوحيد لا بدّ أن يكون مشفوعاً بالاعتقاد بأنّ الإمام الحسين عليه السلام - وكذلك سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام - هو باب الله تعالى، وهو الوسيلة والشفيع إليه تعالى، وهو محور وقطب عالم الإمكان، ورضاه من رضا الله، وهو من العباد المكرّمين الذين لا يسبقون الله في قول ولا في إرادة.

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم.
- * نهج البلاغة (خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام).
- ١ . أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية آخوندي، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ / ٣٤٨ ش.
- ٢ . إقبال الأعمال، السيّد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر المشهور بابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣ . الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٤ . أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، نشر مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٤هـ، وتحقيق: د. إحسان عبّاس، المطبعة الكاثوليكية، دار نشر فرانتس شتاينر بفسبادن، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م.

- ٥ . أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، نشر: دار المفيد.
- ٦ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ٧ . البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٨ . تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٩ . تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ش.
- ١٠ . تصحيح الاعتقادات، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، دار المفيد، بيروت.
- ١١ . تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، تحقيق: السيّد حسن الخراسان، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ.ش.
- ١٢ . جامع الأخبار، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
- ١٣ . جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية (المشتهر بالمصباح)، تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ١٤ . الحدود والحقائق (رسائل الشريف المرتضى)، علم الهدى علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، نشر دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية.
- ١٥ . الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الشيخ الصدوق

(ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين - قم المقدّسة.

١٦ . الدعوات (سلوة الحزين)، أبو الحسن سعيد بن هبة الله المشهور بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، مطبعة أمير، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧ . الرسائل العشر، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة.

١٨ . الزيارة في الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق عجل الله، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٩ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت.

٢٠ . شرح زيارة عاشوراء، عبد الرسول الفيروزكوهي المشهور بالفاضل المازندراني (ت ١٣٢٥هـ)، تحقيق: السيّد حسن الموسوي الدرّازي، دار الصديقة الشهيدة عجل الله، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٢١ . القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، بيروت - لبنان.

٢٢ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٨هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٣ . الكامل في التاريخ، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ / ١٩٨٩م، ودار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٢٤ . كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، دار الهلال، بيروت.

٢٥. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ)، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، انتشارات دفتر تبليغات إسلامي حوزة علميه قم.

٢٦. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٧. مروج الذهب، أبو الفرج علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ١٣٤٦هـ)، منشورات دار الهجرة، إيران - قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٣٦٣هـ. ش / ١٩٨٤م.

٢٨. المزار، محمد بن جعفر بن المشهدي (القرن السادس الهجري)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، نشر القيوم، إيران، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

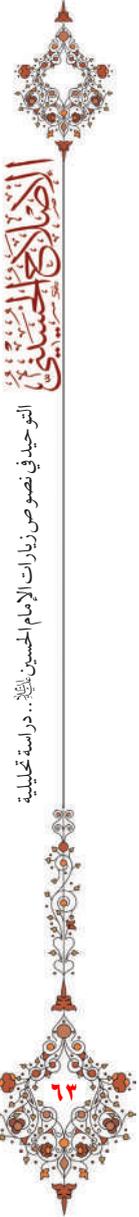
٢٩. المزار، محمد بن مكّي العاملي الشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، نشر: مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي.

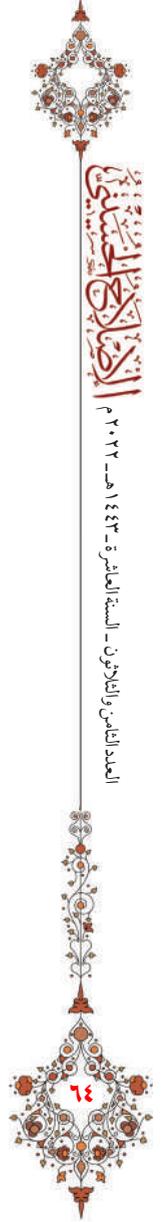
٣١. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، تعريب: السيّد محمد رضا النوري النجفي، مكتبة العزيزي، قم، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش / ٢٠٠٦م.

٣٢. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، الناشر: دفتر الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٣. مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، نشر: مؤسّسة دار الكتاب، الطبعة الثانية، قم المقدسة. المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.



- ٣٤ . مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ)،
تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: المكتبة
الحيدرية، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.
- ٣٥ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)،
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.



العوامل الأساسية لحفظ كيان التشيع في ضوء زيارة الإمام الحسين عليه السلام
العوامل العقديّة أنموذجاً

د. رعدان كركح عبد الزهرة المنصوري

باحث إسلامي / العراق

**The Main Factors for Preserving the Entity of Shiism
in Light of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)
– The Theological Factors as Sample**

Dr. Raghdan Karkah Abd al-Zahra al-Mansouri

Islamic Researcher – Iraq

ملخص البحث

مرّ مذهب أهل البيت عليهم السلام بتحدّيات كبيرة على مرّ العصور، وتعرّض أتباعه إلى شتى أنواع الاضطهاد وأبشع صور التنكيل والتعذيب والقتل، وهو مع ذلك يزداد - حيناً بعد حين - انتشاراً واتساعاً حتى يومنا هذا، فكيف تمكّن هذا المذهب من الصمود بالرغم من كلّ المحاولات الساعية لطمس معالمه وتغييب حقائقه؟

هذا هو السؤال الرئيس الذي تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عنه من خلال تسليط الضوء على زيارة الإمام الحسين عليه السلام ونصوصها الشريفة، لتستجلي منها أهمّ العوامل التي ساهمت في حفظ كيان التشيع، ودراساتها وفق المنهج الوصفي والتحليلي. ولتنوّع العوامل وكثرتها ارتأينا تسليط الضوء على أنموذج (العوامل العقدية)؛ لاعتقادنا بأهمّيتها الكبيرة في هذا المجال. ولا ندعي أنّ الدراسة شاملة لجميع تلك العوامل، بل نرى أنّ ما ذكر كان أبرز ما يمكن أن يُستوحى من زيارة الإمام الحسين عليه السلام ونصوصها الشريفة.

الكلمات المفتاحية: العوامل الأساسية، العوامل العقدية، كيان التشيع، الأئمة عليهم السلام، زيارة الإمام الحسين عليه السلام.



Abstract

Throughout history, the sect of the Household (PBUT) has encountered great obstacles, and their followers have endured various kinds of oppression and experienced the most extreme mistreatments, torture, and executions. Nonetheless, this sect has progressively spread and broadened its reach, persisting into the present era, and the question is, how did this sect manage to remain resilient in the face of the relentless efforts to eradicate its distinguishing characteristics and hide its fundamental truths?

This is the main question that this study aims to resolve, by focusing on the visitation-texts of Imam al-Husayn (PBUH) and its noble texts to understand the main factors that have been instrumental in preserving the entity of Shiism through the descriptive-analytical approach.

Due to the variety and multitude of these factors, we have chosen to focus on the theological factors, as we are convinced of their great significance in this regard. It is also not our assertion that the study encompasses all the theological factors, instead, we view the factors discussed as some of the most noticeable that can be extracted from the visitation-texts of Imam al-Husayn (PBUH) and its noble texts.

Keywords: Main factors, theological factors, the entity of Shiism, the Imams (PBUT), the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH).



مقدمة

يقف الباحث صاغراً أمامَ عظمة النهضة الحسينية التي فاقت بمبادئها الإنسانية والإصلاحية جميع الحركات الإصلاحية في تاريخ الإنسانية، والتي أثرت الأوساط العلمية والثقافية بكنوزها المعرفية والفكرية، الأمر الذي يجعل الباحث في حيرة من أمره وهو يحاول أن يغوص في تلك الكنوز ليسلِّط الأضواء على بعض جوانب المعرفة فيها؛ وليصفها في أسطر وصفحات ينتفع بها القارئ الكريم؛ وذلك إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أهمية النهضة وعظيم آثارها، وغزارة الدروس والعبر المستوحاة منها، وكثرة الثمار التي يمكن أن تُقتطف من فروعها المباركة؛ فهي معين صافٍ ينهل منه الظامى، ونور يهتدي به طالب الحق، ومشعل يُنير درب الثائرين بوجه الظلم والفساد.

كما أنّها نهضة عالمية خالدة، وحدث تاريخي مهمّ في المجتمع الإسلامي، بل في المجتمع الإنساني أجمع، فقد جسّدت مبادئ العدل والإنصاف والعزّة والكرامة الإنسانية.. وناجرت الظلم والاضطهاد، والذلّ والهوان، وتكتيم الأفواه، واستعباد الإنسان من قِبَل العصابة الأموية المتمثلة - آنذاك - بيزيد وأعوانه الذين عاثوا في الأرض فساداً.

هذا من جانب؛ ومن جانب آخر فإنَّ عظمة النهضة الحسينية تكمن في عظمة صاحبها وقائدها الإمام الحسين بن علي عليه السلام، الذي جسّد بنهضته المباركة - هذه - نهضة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله في إعلاء كلمة التوحيد ومقارعة الشرك والوثنية، فكان صلى الله عليه وآله الامتداد الطبيعي والفكري للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ورسالته الإلهية الخالدة، ولعلَّ الحديث النبوي الشريف: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبِّ حسيناً، حسين سبط

من الأسباط»^(١)، إشارة إلى هذا المعنى من الامتداد، وأن رسالة المصطفى ﷺ سوف تستمرّ وتخلد بنهضة ولده الحسين ﷺ.

ومن هنا؛ كان الحسين ﷺ رمزاً لجميع المسلمين، وبطلاً لجميع الثائرين، وشعاراً يرفعه المصلحون بوجه الظلم والفساد، فاستهوى القلوب والمشاعر، حتى أصبح ضريحه قبلة للأحرار، يتوافد إليها الملايين من الناس من جميع بقاع الأرض، معبرين بذلك عن ولائهم وعشقهم للحسين ﷺ ونهجه ومبادئه.

هذا فيما يرتبط بعظمة النهضة وصاحبها، وأما ما يرتبط بمصادر المعرفة التي يرجع إليها الباحث في استلهاام دروس النهضة وثمارها، فهي كثيرة ومتنوعة أيضاً، ومنها - على سبيل المثال لا الحصر - أحاديث الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته ﷺ في الإمام الحسين ﷺ، وإخبارهم بواقعة الطفّ وما سيجري على الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه ﷺ.

وكذلك سيرة الإمام الحسين ﷺ في شقيها العملي والنظري، ولا سيّما ما صدر عنه ﷺ أثناء نهضته المباركة من كلمات وخطب ومكاتبات وسلوكيات، سواء مع أتباعه أم مع غيرهم، ومنها كلمات وخطب أهل بيته وأنصاره في واقعة الطفّ، وكذلك مواقف الأسارى من أهل بيته ﷺ وما نتج عنها من أحداث كانت سبباً في زعزعة عروش الظالمين وحكّام الجور.

إنّ زيارة الإمام الحسين ﷺ تُعتبر واحداً من أهمّ المصادر المعرفية في النهضة الحسينية، فقد اختزلت في نصوصها جملة من الحقائق التاريخية، والمعارف الدينية، والمفاهيم الاجتماعية والتربوية.

من هنا؛ ارتأينا في هذا البحث أن نتناول جانباً مهماً من جوانب الزيارة وأثراً من آثارها المباركة، وهو الجانب المرتبط بحفظ كيان التشييع واتّساع رقعته، مسلّطين

(١) ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة: ج ١، ص ٥١.

الضوء على زيارة الإمام الحسين عليه السلام واستنطاق نصوصها؛ لاستكشاف أهمّ العوامل العقدية التي ساهمت في حفظ المذهب بالرغم من كلّ المحاولات الجائرة التي كانت تسعى إلى طمس معالمه واضطهاد أتباعه على مرّ التاريخ؛ وهذا ما سنتطرق إليه - بعد تمهيد مقتضب - في نقطتين: الأولى في أهمّية الزيارة وفضلها، والثانية في حقيقة التشييع ونشأته.

النقطة الأولى: أهمّية الزيارة وفضلها

تعريف الزيارة

الزيارة في اللغة من (زار)، وأصله (زور)، وهو بمعنى الميل والعدول عن الشيء، ومن ذلك (الزور) بمعنى الكذب؛ لأنّ صاحبه يميل عن الحقّ.

وعليه؛ فإنّ الزائر عندما يقصد حضرة المزور، فهو يميل ويعدل عن غيره^(١). والزيارة بهذا المعنى لا تتحقّق إلاّ بقصد المزور والذهاب إليه، وهو ما ينسجم أيضاً مع المعنى العُرفي للزيارة، فقد جاء في تعريفها: أنّ «الزيارة في العُرف: قصد المزور؛ إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به»^(٢).

وجاء أيضاً: أنّ «الزيارة مصدر زار يزور المكان أو الشخص: أتاه للأُنس به، أو لإيناسه»^(٣).

هذا فيما يرتبط بالزيارة بصورة مطلقة، أمّا فيما نحن فيه - وهو زيارة المشاهد المشرّفة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما سيّد الشهداء عليه السلام - فبالإضافة إلى تضمّنها

(١) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٧، ص ٣٨٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٧، ص ٦٧٣-٦٧٤. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٣٦. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٢٠. وأنظر: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٤، ص ٣٦٤.

(٣) قلعي، محمد، معجم لغة الفقهاء: ص ٢٣٥.



ما تقدّم من معنى في التعريفين اللغوي والعرفي، فهي تعني نوع من التشرف بالزور وارتباط الزائر به روحياً ومعنوياً؛ للتزوّد من مبادئه والاستنارة بسيرته وهديه. فقد جاء في تعريفها: أنّها «نوع ندبة ورتاء، بالإضافة إلى ما تحويه من التذكير بحقوقهم، والشّدّ الوجداني بهم»^(١).

وجاء أيضاً: أنّها «صيغة واعية تُمارسها الأمة لتُعبّر عن عمق ارتباطها بخطّ الأولياء، وتنطوي عن تأصيل حالة الولاء والحبّ لرموز مسيرتها، وتستبطن مزيداً من العطاءات العقائدية والتاريخية والتربوية التي تشدّ الأمة إلى عقيدتها وتاريخها وقادتها الرساليين»^(٢).

كما نجد هذا المعنى - أي الزيارة بمعنى الميل والقصد - أيضاً في الاستعمالات القرآنية لمشتقات لفظ (زور)، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ...﴾^(٣). والمعنى أنّ الشمس تتنحّى وتميل عنهم^(٤).

وقال عزّ وجلّ: ﴿الْهَنَـكُمُ التَّكَاثُرُ ۗ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۗ﴾^(٥). وذكر المفسّرون معنيين في زيارة القبور:

الأوّل: أنّها بمعنى لقاء الموت أو ذكره^(٦)، وهذا خارج عمّا نحن فيه.
الثاني: أنّها بمعنى قصد المقابر والتباهي بها^(٧)، وهذا هو المعنى المنظور في التعريف اللغوي؛ فإنّ الإنسان يميل إلى القبور ويقصدها للتباهي بكثرة من مات من عشيرته وقومه.

(١) السند، محمد، الشعائر الدينية: ص ٦٦.

(٢) صائب عبد الحميد، الزيارة والتوسّل: ص ٥.

(٣) الكهف: الآية ١٧.

(٤) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٣، ص ٢٥٥.

(٥) التكاثر: الآيتان ١-٢.

(٦) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيين في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٤٠٢.

(٧) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٤٣٢.

أهمية الزيارة

إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تُعتبر واحدةً من أهمّ الشعائر الحسينية التي أسّس لها أهل البيت عليهم السلام وحثّوا أتباعهم عليها، فهي تحتلّ مساحة واسعة من النصوص الروائية، سواء الآمرة بالزيارة والذهاب لقبر سيّد الشهداء عليه السلام، وما يترتّب على ذلك من آثار دنيوية وأخروية، كزيادة الرزق، وطول العمر، والشفاء، وغفران الذنوب، ورفع الدرجات، والشفاعة... أم النصوص المحذّرة من ترك الزيارة، والمبيّنة لمجموعة من الآثار السلبية المترتّبة على ذلك الترك، وأشدّها لهجّة النصوص الدالّة على أنّ ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام من الجفاء لحقّ أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا؛ فقد ذهب بعض العلماء والمحقّقين - بناءً على بعض النصوص الروائية في الوجوب، أو التي يظهر منها ذلك، إضافة إلى النصوص الشديدة المحذّرة من تركها أو التهاون بها - إلى القول بوجوب الزيارة ولو مرّةً واحدةً في العمر^(١).

إنّ هذا التأكيد على الزيارة والحثّ عليها من قبل أئمّة أهل البيت عليهم السلام يعكس مدى أهمّيّتها في المنظومة الشعائرية الحسينية، حتّى أصبحت اليوم معلماً شاخصاً من معالم النهضة الحسينية، وأصبحت كربلاء الحسين عليه السلام تحتفي بملايين الزائرين من مختلف بقاع العالم.

هذا من جانب؛ ومن جانب آخر فإنّ العمق المعرفي والفكري الذي اشتملت عليه نصوص الزيارات هو الأمر الآخر وراء ذلك التأكيد والاهتمام بالزيارة في النصوص الروائية، ويكفينا ذكر رواية واحدة يمكن أن تختزل بمضمونها جميع

(١) للاطلاع على الآراء والنصوص الروائية في المسألة، راجع مقال: (وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام) بأجزائه الثلاثة، للباحث: الشيخ رافد عسّاف التميمي، مجلّة الإصلاح الحسيني، الأعداد: ١ و٢ و٣.



ملامح العظمة في الزيارة والحقائق المعرفية في نصوصها، فقد روي عن زيد الشحام في زيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء أنه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زار الله تعالى في عرشه»^(١).

فإن الزائر بقصده ذلك القبر الشريف، يقصد القرب المعنوي من الله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، من خلال الحضور عند وليه، واستلها مبادئه التي جسدها في نصرته دين الله وإعلاء كلمته، التي قدّم من أجلها تلك التضحيات الجسام، حتى سُفكت في سبيل الحقّ دماؤه الزاكية، فكانت مصداقاً بارزاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾^(٢).

وها نحن اليوم نلمس هذه الحياة الطيبة، وهذا الفضل الكبير، وهذه النعمة الإلهية، في توافد الملايين من الزائرين على تلك البقعة المباركة، وذلك الضريح الشامخ، معلنين بذلك الاستمرار على مبادئ الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام.

فضل الزيارة

في هذه النقطة من البحث نحاول أن نُشير إلى بعض الروايات الواردة في الزيارة من باب التيمّن، ومن أجل حثّ القارئ الكريم على الاهتمام بهذه الشعيرة، وهو يتأمل تلك النصوص الشريفة ليقف على عظمة العطاء الإلهي لزائر قبر الإمام الحسين عليه السلام، ووفرة النعم التي تغمره، ورفع المنزلة التي وعد بها.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٨.
(٢) آل عمران: الآيات ١٦٩-١٧١.

ومن تلك النصوص نذكر ما يلي:

١ . الروايات الدالة على أن الزائر لقبره عليه السلام يكون شريكاً مع مَنْ استشهد بين يدي

الإمام الحسين عليه السلام من أصحابه وأهل بيته عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ

زار قبر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان كَمَنْ تشحط بدمه بين يديه»^(١).

وعنه عليه السلام أيضاً: «مَنْ زاره يوم عاشوراء حتّى يظلّ عنده باكياً حزيناً، كان كَمَنْ

استشهد بين يديه، حتّى يُشاركهم في منازلهم في الجنة»^(٢).

وهذه منزلة رفيعة أعدها تبارك وتعالى للزائرين؛ وبذلك نفهم أن الزيارة ليست

كلمات يرددها الزائر في حضرة المزور فحسب، وإنّما هي مشاركة ونصرة للأهداف

المقدّسة التي ضحّى من أجلها؛ الأمر الذي لم يخفّ على أعداء النهضة المباركة،

ولذلك منعوا من زيارة سيّد الشهداء عليه السلام على مرّ العصور، وبمختلف الأساليب

وشتّى الوسائل؛ خوفاً على عروشهم التي بُنيت على الباطل ومناهضة الحقّ ومناجزة

أهله.

٢ . روايات دلّت على أن زائر الإمام الحسين عليه السلام يكون محلّ العناية الإلهية، فيوكل

به جمع غفير من الملائكة لحفظه والاستغفار له، ومنها ما وري عن الإمام

الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين - صلوات الله عليه -

شعثاً غبراً، يكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له: منصور، فلا يزوره

زائر إلاّ استقبلوه، ولا يودّعه مودّع إلاّ شيّعوه، ولا يمرض إلاّ عادوه، ولا

يموت إلاّ صلّوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته»^(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أربعة آلاف ملك شعث غبر يكون الحسين عليه السلام إلى يوم

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٤.

(٢) الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللآلئ: ج ٤، ص ٨٢.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٥٠.



القيامه، فلا يأتيه أحد إلا استقبلوه، ولا يرجع أحد من عنده إلا شيعوه، ولا يمرض أحد إلا عادوه، ولا يموت أحد إلا شهدوه»^(١).

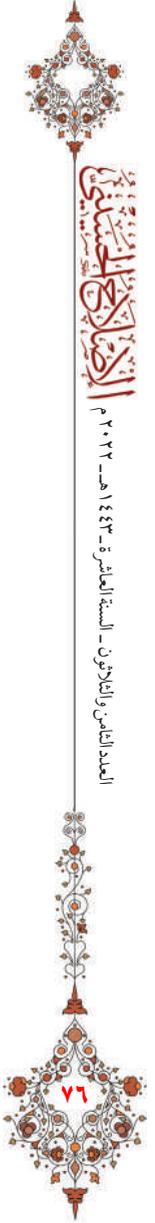
وتشير مضامين الروايتين المتقدمتين إلى نوعين من الآثار التي يحصل عليها زائر قبر الحسين عليه السلام:

النوع الأول: الآثار التي يحصل عليها الزائر في الدار الدنيا، من قبيل: الاستقبال، والمشايعة، وعبادته أثناء مرضه.

النوع الثاني: ما يحصل عليه الزائر في الدار الآخرة بعد موته، من قبيل: الحضور عنده، وتشيع جنازته، والصلاة عليه، والاستغفار له.

٣. روايات تحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام من خلال بيان عظيم الأجر والثواب المترتب عليها، وأنها تفوق أجر وثواب الكثير من الممارسات العبادية، ومن ذلك ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات. قلت: وما فيه؟ قال: من أتاه تشوقاً كتب الله له ألف حجة مقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكّل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه. فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمة، يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويُنسح له في قبره مدد بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروّعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويُعطى كتابه بيمينه، ويُعطى له يوم القيامة نوراً يُضيء لنوره ما بين

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٥٥.



المشرق والمغرب، وينادي منادٍ: هذا من زوّار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمتّى يومئذٍ أنه كان من زوّار الحسين عليه السلام»^(١).

هذه بعض الروايات - وهي غيضة من فيض - في فضل الزيارة، وأثارها التي يمكن أن يحصل عليها الزائر خلال ممارسته لهذه الشعيرة الحسينية المباركة.

النقطة الثانية: حقيقة التشيع ونشأته

١. حقيقة التشيع

التشيع مصدر تشيع، أي صار شيعياً. ويقال: المشايعة، أي متابعة قوم على أمر. والشيعية قوم يتشيعون، أي يهوون قوماً آخرين ويتبعونهم. وشيعة الرجل: أتباعه وأنصاره^(٢).

وقد غلب أصل التسمية ب: (الشيعية) على من يحبون أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ويتبعونهم من بعده، ففي (التعريفات) أن: «الشيعية: هم الذين شايعوا علياً عليه السلام»، قالوا: إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده^(٣).

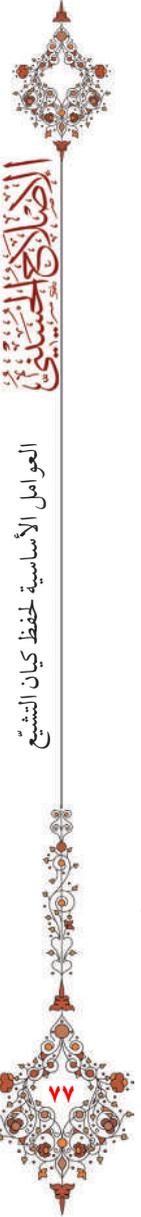
وفي (النهاية): «وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى علياً عليه السلام - وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عُرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا، أي عندهم»^(٤).

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٠-٢٧١.

(٢) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٢، ص ١٩٠-١٩١. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٣، ص ١٢٤٠. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٢٣٥.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ج ١، ص ١٢٩.

(٤) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ٥١٩-٥٢٠.



وجاء الاستعمال القرآني موافقاً للمعنى اللغوي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، فقد ذكر الشيخ الطوسي عند تفسيره للآية بأن «الشيعة: الجماعة التابعة لرئيس لهم، وصاروا بالعرف عبارة عن شيعة علي عليه السلام الذين معه على أعدائه. وقيل: من شيعة نوح إبراهيم، يعني إنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق»^(٢).
وهنا إضافة إلى ما تضمنته الآية من معنى المتابعة، فهي متابعة على المنهاج وطريق الحق، لا مطلق المتابعة.

وهذا هو المعنى المراد من تغليب التسمية بالشيعة على أتباع علي عليه السلام، فليس كل من ادعى الاتباع والمحبة فهو من شيعته، وإنما لا بد أن يكون الاتباع بمعنى اتباع النهج الذي يتبناه علي عليه السلام، والطريقة التي يسير عليها، والمبادئ التي كان عليه السلام يحملها ويمسدها في حياته، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل أن: «... الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام، فيكون زينها، آدامهم للأمانة، وأفضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه، فتقول: من مثل فلان! إنه لأدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث»^(٣).

وعنه عليه السلام أيضاً: «إياك والسفلة، فإننا شيعة علي من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك، فأولئك شيعة جعفر»^(٤).

وعليه؛ فالانتفاء الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام يكون من خلال اتباع نهجهم، والتخلق بأخلاقهم.

(١) الصفات: الآية ٨٣.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٥٠٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٦٣٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٣٣.

٢. نشأة التشيع

إنَّ المتَّبِعَ للمصادر التاريخية يقف على أنَّ منشأ مصطلح (الشيعة) ظهر في عهد النبي الأكرم ﷺ، فهو أوَّل مَنْ أطلق لفظ الشيعة على مجموعة من الصحابة كانوا يوالون علياً عليه السلام، ولم يكن آنذاك أيَّ انقسام قد حصل في الأمة الإسلامية، ومن ذلك ما رواه محدثو أهل السنة - فضلاً عن الشيعة - عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أنَّه قال: «كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [وآله] عليه [وآله] وسلم فأقبل علي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [وآله] عليه [وآله] وسلم: والذي نفسي بيده، إنَّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١). فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل علي [عليه السلام] قالوا: جاء خير البرية»^(٢).

وفي (الصواعق المحرقة): «أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما: أنَّ هذه الآية لما نزلت، قال النبي لعلي: هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»^(٣).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي ذكرت هذا المعنى؛ الأمر الذي يدلُّ بوضوح على أنَّ أوَّل مَنْ أطلق مصطلح (الشيعة) على مَنْ يوالي علياً عليه السلام هو صاحب الشريعة الأوَّل رسول الله ﷺ.

يقول الشيخ كاشف الغطاء بعد أن يذكر جملة من الروايات الدالة على أنَّ النبي الأكرم ﷺ هو أوَّل مَنْ أطلق مصطلح (الشيعة) على جماعة خاصَّة من الصحابة، كانوا يلازمون علياً ويعتبرونه مبلغاً عن الرسول الأكرم ﷺ: «إني لا أحسب أنَّ المنصف يستطيع أن ينكر ظهور تلك الأحاديث وأمثالها في إرادة جماعة خاصَّة من المسلمين، ولهم نسبة خاصَّة بعلي عليه السلام، يمتازون بها عن سائر المسلمين»^(٤).

(١) البيئنة: الآية ٧.

(٢) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٦، ص ٣٧٩.

(٣) ابن حجر الهيتمي، أحمد، الصواعق المحرقة: ص ١٦١.

(٤) كاشف الغطاء، محمد حسين، أصل الشيعة وأصولها: ص ١٨٧.



بعد هذا الحديث المقتضب عن معنى الزيارة وأهميتها وفضلها في موروثنا الروائي، ثم بيان حقيقة التشيع ونشأته، نأتي الآن للحديث عن أصل الموضوع الذي سنتناول فيه - كما ذكرنا - العوامل العقدية لحفظ كيان التشيع.

دور الزيارة في تثبيت دعائم التشيع العقدية

إنّ المتأمل في زيارة الإمام الحسين عليه السلام والمتتبع لنصوصها الشريفة، يقف على مدى تأكيدها العقائد الإسلامية الحقّة، ومنها: عقيدة التوحيد، والمعاد، والنبوة، والإمامة... وغير ذلك. وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على عمق المعارف الدينية والكنوز المعرفية التي تضمّنتها نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام.

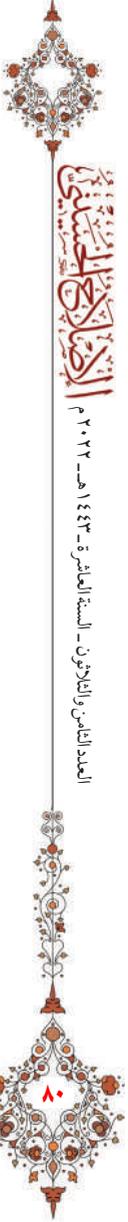
ومن هنا؛ سنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على أهمّ العوامل العقدية المستوحاة من الزيارة ونصوصها؛ ممّا كانت سبباً مباشراً في حفظ كيان التشيع واتّساعه، التي أولاهها فقهاء المذهب عناية خاصّة في مجال البحث والتحقيق، حتّى أصبحت من سمات المذهب البارزة، التي يمتاز بها عن غيره من المذاهب الإسلامية الأخرى، فهي وإن كانت موجودة عند غيره من المذاهب الإسلامية، إلّا أنّها بصبغة أضعف وعناية أقلّ ممّا هي عليه في المذهب الشيعي.

ومن أهمّ تلك العوامل ما يلي:

العامل الأوّل: عقيدة الإمامة

من أهمّ الركائز العقدية في المذهب الشيعي هي عقيدة الإمامة، ففي المعتقد الشيعي أنّ الإمام هو خليفة الرسول الذي لا بدّ أن يكون معيّناً ومنصوصاً عليه من قبل شخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، يقول الشيخ المفيد: «اتّفق أهل الإمامة على أنّه لا بدّ في كلّ زمان من إمام موجود، يحتاج الله عز وجل به على عباده المكلفين، ويكون بوجوده تمام المصلحة في الدين»^(١).

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات: ص ٣٩.



كما أنّ تعيين الإمام من قبل النبي كاشف عن إرادة الله تعالى وأمره بذلك؛ وذلك باعتبار أنّ النبي لا ينطق إلاّ بلسان الوحي الإلهي، وهذا صريح قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١)، فالإمامة هي: «منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدلّ الأمة عليه، ويأمرهم باتّباعه، وليس للعباد أن يختاروا الإمام بأنفسهم»^(٢).

من هنا؛ فقد وردت عن الرسول الأكرم ﷺ نصوص متواترة دلّت صراحة على تعيين الإمام عليّ عليه السلام خليفة له ﷺ، كما نصّت على الأئمة من بعده واحداً تلو الآخر، حتّى الإمام المهدي المنتظر عليه السلام. ولسنا هنا في صدد سرد الروايات في هذا المعنى، فهي أكثر بكثير من أن تُجملها صفحات هذا المقال، وإنّما الذي يهّمنا هو تسليط الضوء على زيارة الإمام الحسين عليه السلام ونصوصها؛ لنقف على الدور الذي أدّته في حفظ أهمّ ركيزة عقديّة من ركائز التشيع، وهي عقيدة الإمامة، فنقول:

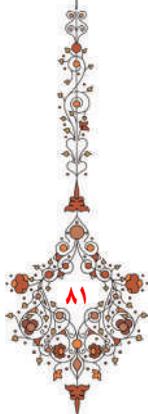
أكدت نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام بشكل واضح عقيدة الإمامة، وأنها وراثية للنبوة، وهذا المعنى نجده في كثير من فقرات الزيارة، ومنها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في كيفية زيارة سيّد الشهداء عليه السلام المعروفة بـ: (زيارة وارث)، فقد جاء في مقدّماتها: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمّد حبيب الله»^(٣).

وهذا النصّ يحمل دلالات كثيرة وعميقة في وراثية الإمام الحسين عليه السلام للأئمة، فقد ورث عليه السلام صفات الأنبياء وخصائصهم التي اختصّهم الله بها، من الاصطفاء والعصمة والعلم والهداية والقرب الإلهي.

(١) النجم: الآيتان ٣-٤.

(٢) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية: ج ١، ص ٨٥.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٥.



وورث ﷺ مهمة الأنبياء في التبليغ والإرشاد، فكما أنّ وظيفة الأنبياء هي هداية الناس وانتشالهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الحق والهدى، فكذلك وظيفة الأئمة ﷺ في هداية الناس وإدامة المسيرة الإصلاحية للأنبياء، وهذا المعنى نجده بوضوح في نصوص زيارات الإمام الحسين ﷺ، كما في: «السلام عليك يا أمين الله، وحنة الله، وباب الله، والدليل على الله، والداعي إلى الله، أشهد أنّك قد حللت حلال الله وحرمت حرام الله، وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»^(١).

وهذه الوظائف التي احتواها النص هي وظائف بُعث من أجلها الأنبياء؛ للوصول بالمجتمعات البشرية إلى سعادتهم في الدارين، وقد سرت من بعدهم إلى أهل البيت ﷺ، فكانوا الصفوة من الخلق، الذين اجتباهم الله تعالى لحفظ دينه، وإبلاغ رسالة نبيه.

كما تُشير بعض نصوص الزيارات إلى أنّهم ﷺ اختصّوا بصفات الأنبياء وكما لا تتم، ومن هنا نقرأ في زيارتهم ﷺ: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزان العلم، ومنتهى الحلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعتره خيرة رب العالمين، ورحمة الله وبركاته»^(٢).

وهكذا قام الإمام الحسين ﷺ في نهضته المباركة - حتى تجاه أعدائه - بمهام الأنبياء من التبليغ والنصح والإرشاد، من أجل إنقاذ الناس من الجهالة وحيرة الضلالة، وهذا ما أشارت إليه نصوص الزيارات، التي منها: «وأعطيته مواريث

(١) المصدر السابق: ص ٣٨٣.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥٢٤.

الأنبياء، وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء، فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»^(١).

ومن هنا؛ فقد ذهب علماء المذهب الشيعي إلى شرط العصمة في الإمام؛ باعتباره ينوب عن النبي في أداء مهامه ووظائفه المقدسة، وهو المعنى الذي نستجليه بوضوح من نصوص الزيارات، ومنها النص الآتي: «وجعلك من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٢). وهو متناص مع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣)، الدال على عصمة أهل البيت عليهم السلام، كما هو مبين في أمتهات المصادر التفسيرية والعقدية^(٤).

كما نقف على هذا المعنى عندما نخاطب سيد الشهداء بما نصّه: «يا مولاي، أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخحة والأرحام الطاهرة المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدهمات ثيابها»^(٥).

وفي نص آخر: «السلام على من طهره الجليل، السلام على من افتخر به جبرئيل، السلام على من ناغاه في المهدي ميكائيل»^(٦). وهناك نصوص أخرى صريحة في هذا المعنى أعرضنا عن ذكرها طلباً للاختصار.

وفي سياق الحديث عن دور الإمام الحسين عليه السلام في التبليغ والإرشاد والنصح، وأنه استمرار لدور النبي صلى الله عليه وآله في هداية الأمة، نقف على حقيقة الشراكة بين الإمام

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٤٦.

(٣) الأحزاب: الآية ٣٣.

(٤) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٨، ص ٣٤٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٨، ص ١٥٨. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ٣١٢.

(٥) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٥٧.

(٦) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٩٩.

الحسين عليه السلام والقرآن الكريم، فكما أن القرآن الكريم جاء من أجل هداية الناس وسعادتهم، ونجاتهم من ظلمات الجهل والضلال، فكذلك كان الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة التي صدحت بمبادئ العدل والإنسانية، وأحيت تعاليم القرآن والسنة النبوية، بعد أن حاولت العصابة الحاكمة - آنذاك - المتمثلة بيزيد وزمرته تحريف حقائق الدين وطمس معالمه.

وقد أكدت جملة من نصوص الزيارات المعنى المتقدم من الشراكة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم، ومنها المقطع الوارد في زيارة النصف من شعبان، فقد جاء فيه: «السلام عليك يا خازن الكتاب المسطور، السلام عليك يا وارث التوراة والإنجيل والزبور، السلام عليك يا أمين الرحمن، السلام عليك يا شريك القرآن»^(١). فقد قام عليه السلام بهذا الدور الكبير من أجل حفظ تعاليم الوحي ونشرها، وتخليص الإنسانية من ظلم يزيد وزمرته الذين عاثوا في الأرض فساداً.

وإضافةً إلى ما تقدم من الخصائص والصفات التي تمتع بها أئمة أهل البيت عليهم السلام، والتي كانت تندرج في مرتبة الإرادة التشريعية لهم عليهم السلام، فقد تناولت مجموعة من نصوص الزيارات بعض الخصائص والصفات التي منحها الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام، التي تصبّ في مجال الإرادة التكوينية، من التصرف في الكون، وتسخير عالم الوجود لهم، وأتهم عليهم السلام أسباب استقرار هذا الكون، ووفور النعم فيه، ونزول الخيرات على الناس، ودفع البلايا عنهم، ولذلك نقرأ في إحدى زيارات الإمام الحسين عليه السلام ما نصّه: «... وبكم تُنبِت الأرض أشجارها، وبكم تُخرج الأشجار أثمارها، وبكم تُنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم يُنزل الله الغيث، وبكم تُسبِّح الله الأرض التي تحمل أبدانكم، وتستقلّ جبالها على مراسيها»^(٢).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٥-٣٦٦.

تبيّن من خلال ما تقدّم من نصوص الزيارات مدى التأكيد على عقيدة الإمامة، وكونها امتداداً لمسيرة النبوة، وكذلك الصفات والخصائص التي يتمتع بها الإمام عليه السلام، وبيان أنّه الحجّة على الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله، وما يترتب على هذا الأمر من وجوب الطاعة له وامتنال أوامره واجتناب معصيته؛ لأنّه الواسطة - بعد النبي صلى الله عليه وآله - في نقل تعاليم السماء إلى الناس.

ولا شك أنّ تأكيد هذه المفاهيم العقديّة في نصوص الزيارات تكون حصناً منيعاً للمذهب، من خلال ما تزوّد به الشيعة عموماً والزائر خصوصاً - حيث يقف على تلك المعاني وهو يقرأها ويتأمّلها في حضرة المزور - من خزين معرفي، وتوعية دينية بمذهبه وأصوله العقديّة؛ فإنّه عندما يقف بحضرة المزور ويتأمّل تلك النصوص في صفاته وخصائصه، يستجلي منها عظمة صاحب القبر، ومنزلته الرفيعة عند الله تبارك وتعالى، فيرتبط معه روحياً لينتهج طريقه الذي سار عليه، ويستلهم مبادئه التي دعا إليها، وأهدافه التي ضحّى من أجلها.

كما نستشفّ من خلال تأكيد نصوص الزيارات عقيدة الإمامة أنّ هناك هدفاً وغرضاً أسمى تُريد تلك النصوص الشريفة تحقيقه، وهو حفظ المذهب من خلال تغذية الشخص الشيعة عموماً والزائر خصوصاً بهذا المفهوم العقدي؛ ليكون على بينة من أمره وسلامة معتقده، وأنّ أتباعه خُطى الأئمة الأطهار هو أتباع لنهج الأنبياء والمرسلين، وأتباع للإسلام المحمّدي الحقيقي الذي ضحّى من أجله سيّد الشهداء عليه السلام.

العامل الثاني: عقيدة التوليّي والتبرّي

تُعتبر عقيدة الموالاتة لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم إحدى أهمّ الركائز العقديّة الأساسية في المذهب الشيعة، المترتبة على أصل الاعتقاد بالإمامة^(١)، وهي

(١) أنظر: كاشف الغطاء، علي، النور الساطع في الفقه النافع: ج ٢، ص ١٣٤.



بمفهومها العام عند الشيعة تعني أن يتبع الإنسان المؤمن نهج الأئمة الطاهرين عليهم السلام، ويسير بسيرتهم، ويتخلق بأخلاقهم. كما أن عليه - في المقابل - أن يتبرأ من أعدائهم المناوئين لهم ولفكرهم؛ لأن الإيمان بهم عليهم السلام حق لا يجتمع مع الباطل الذي هو ولاية أعدائهم.

هذا هو المنهج الصحيح الذي ينبغي للإنسان أن ينطلق منه في حياته، ويحفظ به عقائده، فلا مسaireة للعقائد المنحرفة على حساب الحق، ولا مجاملة للأعداء على حساب الأولياء.

وهذا المعنى من الموالاتة موافق لكلمات اللغويين في معنى الموالاتة، فقد جاء فيها أنّ الموالاتة بمعنى اتخاذ المولى، وأنها بمعنى القرب والدنو من الشيء، ومنها قولهم: (كُلُّ مِمَّا يَلِيكَ)، أي مِمَّا يَقَارِبُكَ. (وجلس مِمَّا يَلِينِي)، أي يُقَارِبُنِي فِي الْجُلُوسِ. وموالاتة الشيء يعني لزومه واتباعه. وهي ضدّ المعادة^(١).

وعليه؛ فجميع هذه المعاني اللغوية لمفردة الموالاتة يمكن أن تُلاحظ في موالاتة الفرد الشيعي للأئمة الأطهار عليهم السلام، فموالاتهم تعني اتّباعهم، وملازمتهم، والقرب منهم، وفي المقابل البراءة من أعدائهم.

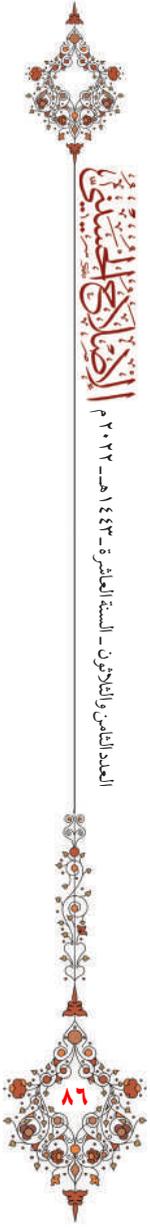
وقد أشارت مجموعة من الآيات القرآنية إلى هذه العقيدة الحقّة، فقرنت بين اتّباع النبي صلى الله عليه وآله وموالاته، وبين الحصول على رضا الله تعالى، وذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢).

كما بيّنت أنّ الإيمان بالله واليوم الآخر لا يجتمع مع مودة أعداء الله ورسوله في قلب واحد، يقول تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

(١) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٨، ص ٣٦٥. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٦، ص ٢٥٢٨. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٦، ص ١٤١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٥، ص ٤١١.

(٢) آل عمران: الآية ٣١.



حَادَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿١﴾ .
 وقال ع في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانْتَوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا
 مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (٢).

كما جاءت الروايات الشريفة - في هذا السياق - مبيّنة ضرورة اتباع منهج أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم، ومحدّرة من اتباع أعدائهم، فعن ابن فضال، عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «مَنْ والى أعداء الله فقد عادى أولياء الله، ومَنْ عادى أولياء الله فقد عادى الله تبارك وتعالى، وحقّ على الله ع أن يدخله في نار جهنّم» (٣).
 وعن أمير المؤمنين عليه السلام في رواية طويلة يوصي بها أصحابه، جاء فيها: «اعلموا أنّ الله تبارك وتعالى يُبغض من عباده المتلونّ، فلا تزولوا عن الحقّ، وولاية أهل الحقّ؛ فإنّ مَنْ استبدل بنا هلك» (٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كذب مَنْ زعم أنّه من شيعتنا وهو متمسّك بعروة غيرنا» (٥).

وعليه؛ فاتّباع فكر أهل البيت عليهم السلام ونهجهم يستلزم بالضرورة رفض نهج أعدائهم؛ لأنّها نهجان في طرفي نقيض؛ فمنهج أهل البيت عليهم السلام يدعو إلى الحقّ والهدى، وفي المقابل يدعو منهج أعدائهم إلى الباطل والضلال، فلا يمكن للإنسان أن يدّعي الانتماء لأهل البيت عليهم السلام وإظهار محبّتهم ما لم يتبرأ من أعدائهم.
 ومن هنا؛ فقد جاءت كلمات الأعلام مؤكّدة هذه العقيدة الحقّة، وأنها أصل

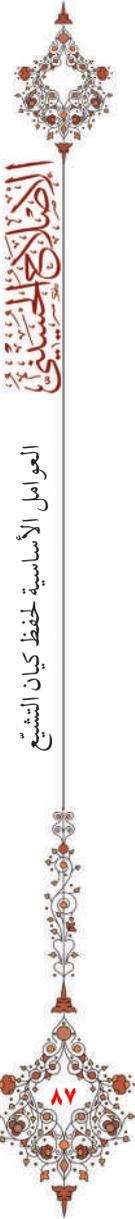
(١) المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) الممتحنة: الآية ١٣.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٨٠.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٦٢٦.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص ٩٨.



من الأصول الاعتقادية، بل لا تتمّ الأصول إلّا بها، يقول الشيخ الصدوق: «ولا يتمّ الإقرار بالله وبرسوله وبالأمّة إلّا بالبراءة من أعدائهم»^(١).

وفي (المنقعة): «أنّ بولايتهم ﷺ قوام الإيمان، فقد جاء ما نصّه: «ولاية أولياء الله تعالى مفترضة، وبها قوام الإيمان، وعداوة أعدائه واجبة على كلّ حال»^(٢).

وفي (بحار الأنوار): «أنّ محبة أهل البيت ﷺ وموالاتهم، والبراءة من أعدائهم، أصل من أصول الدين في مذهب الإمامية»^(٣).

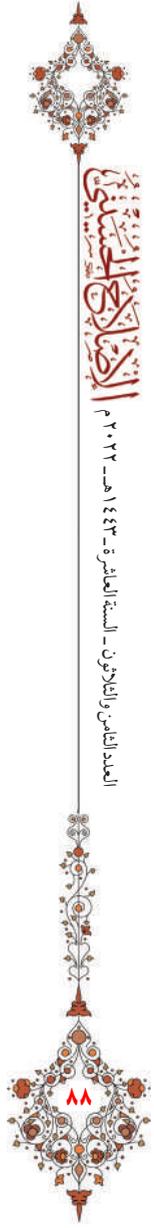
ومن هنا؛ تتضح أهميّة هذا المعتقد القرآني في بناء عقيدة الإنسان المؤمن؛ ولذلك نرى أنّ زائر الإمام الحسين ﷺ يستجلي هذا المعنى من نصوص الزيارات، ومنها أنّ الزائر يُخاطب الحسين ﷺ معلناً التسليم والاتباع المطلق لصاحب القبر ومبادئه، فيقول: «قلبي لقلبيكم سلم، وأمري لأمركم متّبع»^(٤).

ثمّ يترقى في ذلك التسليم والاتباع حتّى يجعل نفسه بمنزلة العبد والرقّ الذي لا يعصي لمولاه أمراً، فيخاطبه بهذا النصّ: «عبدك وابن عبدك وابن أمّتك، المقرّ بالرقّ والتارك للخلاف عليكم، والموالي لوليّكم والمعادي لعدوّكم»^(٥).

وفي نصّ آخر: «إني سلم لمنّ سالمكم وحرب لمنّ حاربكم إلى يوم القيامة»^(٦). هذه بعض النصوص في جانب إعلان الموالات والطاعة والنصرة لأهل البيت ﷺ.

وهناك نصوص أخرى في الزيارات سلّطت الضوء على جانب البراءة من أعداء

(١) الصدوق، محمد بن علي، اعتقادات الصدوق: ص ١٠٦.
 (٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المنقعة: ص ٣٣.
 (٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٢٤١.
 (٤) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٥٠٢.
 (٥) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٢٠.
 (٦) المصدر السابق: ص ٧٧٤.



أهل البيت عليهم السلام، ومنها النصّ الذي يُخاطب به الزائر سيّد الشهداء عليه السلام قائلاً: «أنا إلى الله مَن خالفك بريء»^(١).

وفي نصّ ثانٍ: «أدين الله بالبراءة مَن قتلك، ومَن قاتلك وشايع عليك، ومَن جمع عليك، ومَن سمع صوتك ولم يعنك»^(٢).

وفي نصّ ثالث: «برئت إلى الله وإليكم منهم، ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم»^(٣). إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تُزوّد الزائر بهذا المعتقد، والتي تشدّه إلى التمسك بأوليائه والنهج الذي يدعون إليه؛ فإنّ هذه النصوص الشريفة بمثابة التوعية والتنبيه للزائر لئلاّ ينجرّف في الدعوات المضلّلة التي يروّج لها أعداء المذهب بأساليبهم المختلفة؛ سعياً منهم لإضعافه وتشويه صورته ومبادئه الحقّة.

كما أنّ زائر الإمام الحسين عليه السلام يستحضر هذا المعتقد وهو يسير قاصداً ذلك القبر الشريف الذي صار معلماً من معالم موالاته الحقّ وأنصاره، ورفض الباطل وأعدائه، فيستجلي من الإمام عليه السلام عقيدة الموالاته التي جسّدها باتّباع نهج جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه علي المرتضى عليه السلام؛ وذلك عندما أعلن موقفه الإصلاحية الرافض للظلم والعدوان، فقد روي عنه عليه السلام ما نصّه: «... وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٤).

كما أنّ زيارة ذلك القبر الطاهر تُلهم الزائر مفهوم الثبات على مبادئ الكرامة والعزّة، ورفض الذلّ والخنوع للجباية والمستكبرين، مقتدياً بالمنهج الذي رسمه سيّد الشهداء للأجيال في مواجهته ليزيد وزمرته، ومَن يسير بسيرتهم ويكون على شاكلتهم، فقال قولته المشهورة التي خلّدتها دماؤه المقدّسة، والتي صدح بها أمام

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٨٣.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٨١.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٠.



الوليد والي يزيد على المدينة، فجاء فيها: «... ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يُباع مثله»^(١).

إذا؛ تبينّ ممّا تقدّم مدى تأكيد نصوص الزيارة والمعاني المستوحاة منها على عقيدة موالاته أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم؛ ممّا يكشف عن أهميّة هذه العقيدة في سلامة إيمان الشخص وثباته على مبادئه الحقّة.

العامل الثالث: عقيدة التوسّل

التوسّل لغة: هو التقرّب إلى الغير، يقول الفراهيدي: «وسل: وسّلت إلى ربّي وسيلةً، أي عملت عملاً أتقرّب به إليه. وتوسّلت إلى فلان بكتاب أو قرابة، أي تقرّبت به إليه»^(٢).

و«الوسيلة ما يتقرّب به إلى الغير، والجمع الوصيل والوسائل»^(٣).
وفي (لسان العرب): «الوسيلة: المنزلة عند الملك. والوسيلة: الدرجة. والوسيلة: القربة. ووسّل فلان إلى الله وسيلةً إذا عمل عملاً تقرّب به إليه»^(٤).

ومحصّل الكلام من التعاريف اللغوية: أنّ الوسيلة أو التوسّل هو ما يتّخذه الإنسان من الوساطة بينه وبين الآخرين من أجل التقرّب إليهم وكسب مرضاتهم، ومنه تقرّب العبد من خلال تلك الوسائط والوسائل إلى الله تبارك وتعالى.

وكذا الحال بالنسبة لتعريف الوسيلة اصطلاحاً، فهي «في الأصل بمعنى: نشدان التقرّب أو طلب الشيء الذي يؤدّي إلى التقرّب للغير عن ميل ورغبة»^(٥).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٧.
(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٧، ص ٣.
(٣) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤١.
(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٧٢٤.
(٥) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٣، ص ٦٩٥.

وقيل هي: «ما يُتقرب به إلى الكبير، يُقال: توَسَّلت أي تقَرَّبت. وتُطلق على المنزلة العلية»^(١).

نعم، وقع البحث في تحديد هذه الوسائط والمصاديق بعد أن ثبت أصل مشروعية التوسُّل في صريح الآيات الكريمة والروايات الشريفة^(٢)؛ يقول تبارك وتعالى: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣)، فقد جاء في تفسير الوسيلة الواردة في الآية الكريمة بأنها كلُّ ما يتوسَّل به العبد إلى الله تعالى من فعل الطاعات واجتناب المعصيات^(٤).

كما جاء في تفسيرها أيضاً: أن «كلمة الوسيلة الواردة في هذه الآية لها معانٍ كثيرة واسعة، فهي تشمل كلَّ عمل أو شيء يؤدي إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى»^(٥).

وورد في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ما نصّه: «إنَّ أفضل ما توَسَّل به المتوسِّلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله؛ فإنَّه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص؛ فإنَّها الفطرة، وإقام الصلاة؛ فإنَّها الملة، وإيتاء الزكاة؛ فإنَّها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان؛ فإنَّه جنَّة من العقاب، وحجَّ البيت واعتماره؛ فإنَّهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنوب، وصلوة الرحم؛ فإنَّها مثرأة في المال ومنسأة في الأجل، وصدقة السرِّ؛ فإنَّها تكفِّر الخطيئة، وصدقة العلانية؛ فإنَّها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف؛ فإنَّها تقي مصارع الهوان»^(٦). ولا شكَّ أنَّ أهل البيت عليهم السلام بهذا المعنى هم المصدِّق الأوضح للوسيلة؛ وذلك أنَّ موالاتهم واتباعهم من الطاعة المفترضة في صريح القرآن الكريم والسنة الشريفة، ومن الآيات المباركة التي تدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري: ج ٢، ص ٧٨.

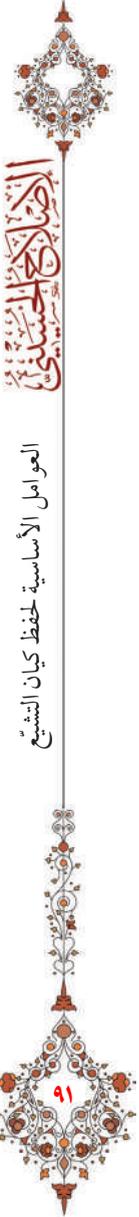
(٢) أنظر: السبحاني، جعفر، التوسُّل أو الاستعانة بالأرواح المقدَّسة: ص ١٠١.

(٣) المائدة: الآية ٣٥.

(٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٩٦.

(٥) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٣، ص ٦٩٥.

(٦) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ١، ص ٢١٥.



وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ﴿١﴾، فقد فُسرَّ أولو الأمر بالأئمة المعصومين من أهل بيت النبي ﷺ (٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٣)، فقد ذُكر في كتب التفسير أن المراد بالقرابي في الآية الكريمة هم قرابة النبي الأكرم ﷺ، وهم عترته من أهل بيته ﷺ.

وقد تواترت الروايات عند الفريقين في وجوب مودّتهم وموالاتهم (٤)، وأن هذه المودّة فريضة إلهية بنصّ الآية المباركة، وأنها الطريق السليم الذي يوصل الإنسان إلى رضا الله تبارك وتعالى (٥).

ويؤيد ما تقدّم من وجوب طاعة أهل البيت ﷺ وأنها طاعة الله تبارك وتعالى، الروايات المتواترة عن النبي الأكرم ﷺ في إرجاع الأمة من بعده إلى أهل بيته ﷺ، ومنها - طلباً للاختصار - حديث الثقلين، فقد روي في (صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال: «أيها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه. ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» (٦).

(١) النساء: الآية ٥٩.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٣٩٨.

(٣) الشورى: الآية ٢٣.

(٤) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨، ص ٤٦.

(٥) أنظر: السبحاني، جعفر، التوسّل أو الاستعانة بالأرواح المقدّسة: ص ١٠١.

(٦) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٨٧٣. وفي (سنن الترمذي) ما نصّه: «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». الترمذي، عيسى محمد، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٩.

إنّ هذا الحديث وغيره من الأحاديث الواردة عن النبي الأكرم ﷺ في أهل بيته، وأئمة الأوصياء من بعده، تدلّ على أنّهم عليهم السلام هم المصداق الأبرز من مصاديق طاعة الله تبارك وتعالى، وبالتالي فهم الوسيلة التي يمكن للعبد أن يتقرب بموالاتهم إلى الله عز وجل. وإذا ثبت ذلك؛ فيكون التوسّل بهم عليهم السلام إلى الله عقيدة مطلوبة للإنسان المؤمن الذي يبتغي الوصول إلى مرضاة الله تبارك وتعالى، كما أنّ التوسّل بهم عليهم السلام يجعل الشخص في حالة من الانجذاب المعنوي، والترابط الروحي المباشر مع تلك الأنوار المقدّسة، وبالتالي تُصبح مسألة التوسّل بأهل البيت عليهم السلام من المسائل العقدية المهمّة والأساسية في حفظ كيان التشيع.

ثمّ إنّ الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة تصرّح بكونهم عليهم السلام الوسيلة التي تُقرب العبد إلى الله تبارك وتعالى، ومن ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «نحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله...»^(١).

وكذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الأئمة من ولد الحسين عليه السلام، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله عز وجل»، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله عز وجل^(٢).

ولم ينفرد المذهب الشيعي بهذه العقيدة الحقّة، وإنّما هناك من أهل السنّة من يرى مشروعية التوسّل، ومنها ما جاء في (سنن الدارمي) عن أوس بن عبد الله، قال: «فُحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتّى لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتّى نبت العشب، وسمنت الإبل حتّى تفتقت من الشحم، فسُمّي عام الفتق»^(٣).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ج ٢٥، ص ٢٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٦٣.

(٣) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي: ج ١، ص ٢٢٧.



بعد أن أثبتنا هذه العقيدة في القرآن والسنة وبيننا حقيقتها، نأتي الآن لبيانها في ضوء زيارة الإمام الحسين عليه السلام ونصوصها، فإن التأمل في دلالات زيارة الإمام الحسين عليه السلام وكثرة النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في فضلها، وحث المؤمنين عليها، يقف على حقيقة جلية لا يرتاب فيها أحد، وهي أن هذا التأكيد يُبرز خصوصيات هذه الزيارة والمزور بها، ومنها ما يرتبط بترسيخ عقيدة التوسّل في نفس الزائر وهو يقرأ تلك المضامين التي تزرع في نفسه الأمل والطمأنينة، وأنه محلّ العناية الإلهية، فلا يُبالي بظروف الزمان وتقلّباته مهما اشتدّت وعظمت ما دام في منظر الرحمة الإلهية.

ومن هنا؛ فالشيعي عندما يقصد تلك البقاع المباركة، ويتأمل تلك النصوص الشريفة، تشتدّ علاقته بأئمته الأطهار عليهم السلام، وترسخ في نفسه عقيدته بكونهم الوسطة الذين جعلهم الله تعالى أبواباً لنيل مرضاته، والفيض على عباده، وكشف الضرّ عنهم، فقد ورد في إحدى الزيارات ما نصّه: «وقد تيقّنت أن الله جلّ ثناؤه بكم يُنقّس الهمّ، وبكم يكشف الكرب»^(١). وهو إقرار من الزائر بكونهم عليهم السلام واسطة فيض الله تعالى والرحمة الإلهية، وأنهم وسيلته إلى الله تعالى؛ ليدفع عن نفسه ما يُصيبه من الهمّ والكرب.

ومن مظاهر الكرامة الإلهية التي جعلها الله تبارك وتعالى للإمام الحسين عليه السلام هو أنّه تعالى جعل نفس قصد زيارته عليه السلام وسيلة من وسائل القرب من الله عز وجل، المعنى الذي نجده في النصّ القائل: «أتيتك بأبي أنت وأمي ومالي ونفسي زائراً ومتقرباً إلى الله بزيارتك»^(٢)، فنفس الزيارة هي وسيلة يتقرّب العبد بها إلى خالقه؛ فضلاً عن التقرب إليه تعالى بشخص المزور وهو سيّد الشهداء عليه السلام.

كما تدلّ نصوص الزيارة - أيضاً - على أن قصد قبر الإمام الحسين عليه السلام والتوسّل

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣٧٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٣٧.

به إلى الله عز وجل في قضاء حوائج الدنيا والآخرة، هي بأمر من الله تعالى وهدايته وعنايته بزوار قبر سيّد الشهداء عليه السلام، وليس بدعاً من القول في الشريعة الإسلامية كما يتّهم بذلك أتباع مذهب أهل البيت عليه السلام، وهذا المعنى نقف عليه في هذا النصّ: «وأنا عبد الله ومولاك في طاعتك، الوافد إليك، ألتمس بذلك كمال المنزلة عند الله، وأنت يا مولاي ممّن حثني الله على برّه، ودلّني على فضله، وهداني لحبّه، ورغبني في الوفادة إليه، وألهمني طلب الحوائج عنده»^(١).

ومن دلالات هذا الحثّ الإلهي على طاعة الإمام الحسين عليه السلام والترغيب في زيارته، والتوسّل إلى الله تعالى به، هو عظمة صاحب القبر ومكانته وقربه من الله تعالى، المعنى الذي تؤكّده بعض نصوص الزيارة، كالنصّ القائل: «لم يتوسّل المتوسّلون إلى الله بوسيلة هي أعظم حقّاً، ولا أوجب حرمة، ولا أجلّ قدراً عنده، منكم أهل البيت»^(٢).

ففي التوسّل بهم عليه السلام تعظيم لحقّهم الذي أوجبه تعالى على العباد، وإكرام لهم، ورفعة لقدرهم ومقامهم عند الله سبحانه وتعالى، فهم عليه السلام الأبواب التي من خلالها يلتمس الزائر رضا الله تبارك وتعالى؛ ولذلك نطالع في نصّ آخر أنّ الزائر يُخاطب سيّد الشهداء عليه السلام بهذه الكلمات: «وقد أتيتك متقرباً به إليك وإلى رسولك»^(٣).

فالتوجّه لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في حقيقته توجّه إلى الله تعالى وتقرب إليه من خلال باب من أبوابه، ومحلّ من محالّ نزول رحمته واستجابة الدعاء، ويتّضح هذا المعنى - أيضاً - في النصّ الآتي: «أسأل الله بالشأن الذي لك عنده، وبالمحلّ الذي لك لديه...»^(٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) القمّي، الشيخ عبّاس، مفاتيح الجنان: ص ٦١٨.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣٨٠.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٦٤.



فالزائر عندما يقف بحضرة سيّد الشهداء عليه السلام ويتوسّل به إلى الله تبارك وتعالى، فإنّه يرجو بذلك النجاة من المهالك، والفوز بالرضوان والسعادة الأبدية في دار الخلد؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام - كما ورد في النصوص الشريفة - وجميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم سفن النجاة، وأمان لأهل الأرض من الهلاك والضياع في متاهات الضلال والانحراف، فقد ورد في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ: «واعلم يا أبا ذر، إنّ الله عزّ وجلّ جعل أهل بيتي في أمتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق»^(١). وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحُسن الأداء، زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»^(٢).

ومن هنا؛ فقد حثّ علماؤنا على التوسّل بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، ولا سيّما بالإمام الحسين عليه السلام؛ فإنّ معرفتهم والتوسّل إلى الله تعالى بهم يرفع غطاء الشبهات عن الحقائق الناصعة التي يدعون إليها، ويزيل الأوهام والشكوك؛ ليثبت أحقيّة نهجهم ومذهبهم^(٣).

وعليه؛ فزائر الحسين عليه السلام يزداد إيماناً ومعرفة راسخة بأحقّية مذهبه، وتنجلي عنه وساوس الخيرة والضلال، وهو يقف في ذلك المكان المقدّس ويستلهم من إمامه الهداية والتسديد في طريق الحقّ، وممّا يقرأ في ذلك: «وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة، والعمى والشكّ والارتياب إلى باب الهدى من الردى»^(٤).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٧٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٦٧.

(٣) أنظر: التبريزي، الشيخ جواد، الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية: ص ٦٩.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠١.

العامل الرابع: عقيدة انتظار القائم عليه السلام

تُعتبر عقيدة انتظار الإمام المهدي عليه السلام من العقائد الرئيسة والبارزة في المذهب الشيعي، بل عند المذاهب الإسلامية الأخرى أيضاً، لكن مع الاختلاف في بعض تفاصيلها، فعلى سبيل المثال - لا الحصر - يرى مذهب أهل السنة أنّ المهدي من سلالة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لكنّه لم يولد بعد، وإنّما سوف يولد في آخر الزمان، وذلك عندما ينتشر الشرّ والفساد والظلم والاضطهاد في العالم، فيبعثه الله تعالى من أجل القيام بمهمّة الإصلاح ونشر الدين وإسعاد المظلومين.

وننقل هنا كلمات بعض علماء أهل السنة في ذلك، ومنهم ابن تيمية الذي يُعتبر من أشدّ علماء السلفية تحاملاً على الشيعة ومعتقداتهم، ولكنّه مع ذلك يؤكّد قضية الإمام المهدي عليه السلام ويصحّح الروايات في ذلك، فيقول ما نصّه: «الأحاديث التي يحتجّ بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود، والترمذي، وأحمد، وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره، كقوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في الحديث الذي رواه ابن مسعود: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتّى يخرج فيه رجل منّي، أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً). ورواه الترمذي، وأبو داود من رواية أمّ سلمة، وأيضاً فيه: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة). ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد، وفيه: (يملك الأرض سبع سنين). ورواه عن علي رضي الله عنه، أنّه نظر إلى الحسن وقال: (إنّ ابني هذا سيّد، كما سمّاه رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وسيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيّكم، يُشبهه في الخلق ولا يُشبهه في الخلق، يملأ الأرض قسطاً)»^(١).

ويقول عبد العزيز بن باز: «أمّا إنكار المهدي المنتظر بالكلية - كما زعم ذلك بعض المتأخّرين - فهو قول باطل؛ لأنّ أحاديث خروجه في آخر الزمان، وأنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً، قد تواترت تواتراً معنوياً، وكثرت جدّاً واستفاضت، كما صرح

(١) ابن تيمية، محمد، منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: ج ٨: ص ٢٥٤-٢٥٥.

بذلك جماعة من العلماء، بينهم: أبو الحسن الأبري السجستاني من علماء القرن الرابع، والعلامة السفاريني، والعلامة الشوكاني، وغيرهم، وهو كالإجماع من أهل العلم»^(١).
وفي (المطالب العالية) لابن حجر العسقلاني جاء ما نصّه: «والأحاديث الواردة في خروج المهدي في آخر الزمان كثيرة جداً، منها ما هي في الصحيحين، ومنها ما هي في السنن. وفي الجملة: أنّ خروج المهدي في آخر الزمان أصبح متواتراً لا شكّ فيه، وقد صرّح بتواتره مجموعة من العلماء»^(٢).

وفي المقابل تُعتبر فكرة الإمام المهدي عند المذهب الشيعي من أهمّ الركائز العقديّة، وأنّ المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والتاسع من ولد الحسين عليه السلام، وأنّه قد وُلِد من صلب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد اقتضت المشيئة الإلهية أن يغيب الإمام حتّى يأتي اليوم الذي يأذن الله تعالى فيه له بالظهور، فيظهر ليعمّ نوره المعمورة، وليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.
وقد وردت روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة والطهارة تؤكّد هذه العقيدة، وتحثّ المؤمنين على اعتناقها وجعلها سلوكاً حياً يتعايش معه الإنسان في مختلف أحواله وفي جميع أوقاته؛ وذلك لما يتركه هذا المعتقد من آثار نفسية تربوية، وتوعية دينية في نفوس المنتظرين، ومن تلك الروايات ما اعتبرت هذه العقيدة الحقّة من الجهاد في سبيل الله، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما نصّه: «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»^(٣).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام في الحثّ على الانتظار والصبر عليه، أنّه قال: «انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله؛ فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ انتظار الفرج»^(٤).

إذا؛ أصل فكرة الإمام المهدي عليه السلام وأنّه سيخرج في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً ثابتة عند المذهبين الشيعي والسني على حدّ سواء، بل عند المسلمين جميعاً.

(١) مجموعة من الباحثين، الموسوعة العقديّة: ج ٤، ص ٢٣١.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: ج ١٨، ص ٣٥٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٤١.

(٤) المصدر السابق: ج ٥٢، ص ١٢٣.

نعم، هناك بعض التفاصيل المختلف فيها بين المذاهب الإسلامية، ممّا يؤدي الخوض فيها إلى الخروج عن صُلب البحث الذي يسلط الضوء على هذه العقيدة في ضوء زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ لبيان أهميتها في حفظ كيان التشيع.

ومن هنا نقول: هناك تشابه وترابط وثيق بين الإمام المهدي عليه السلام ودوره الإصلاحية، وبين نهضة الإمام الحسين عليه السلام؛ فقد وصفت بعض النصوص الروائية الإمام المنتظر عليه السلام بأنه الطالب بدم المقتول بكر بلاء، ومنها النص الذي ورد في دعاء الندبة: «أين الطالب بدم المقتول بكر بلاء؟»^(١).

ووجه ذلك الارتباط هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام نهض من أجل نصرة رسالة جدّه المصطفى، وإصلاح ما أفسده الأمويّون من أمر الدين والدنيا، فكانت نهضته المباركة امتداداً لرسالة جدّه المصطفى في تبليغ الدين وحفظه واستدامته، وهذا هو الهدف المنشود من ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، فقد شاءت الإرادة الإلهية إظهار الدين الحق ونصرته، فقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢)، وقد فسرت هذه الآية الكريمة بالإمام المهدي عليه السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «والله، ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتّى يخرج القائم عليه السلام»^(٣).

إذاً؛ هذه الإرادة الإلهية في إظهار الدين ونصرته سوف تتحقّق عند ظهوره عليه السلام، فيقوم بنهضة إصلاحية كبيرة يقضي فيها على الفساد وينشر العدل في الأرض، فهو عليه السلام بذلك يشترك مع جدّه الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الباطل ودحره، ونصرة الدين وإظهاره.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٥٠٩.

(٢) التوبة: الآية ٣٣.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٧٠.

ومن هنا؛ كانت زيارة سيّد الشهداء عليه السلام لا تنفك عن الشعور بالارتباط مع الإمام المهدي عليه السلام، وترقّب ظهوره من قبل الزائرين، فنرى الكثير من الزائرين يستشعر وجود إمام الزمان عليه السلام في الزيارة وأدعيتها، كما أنّ بعضهم يهدي ثواب زيارته لإمام زمانه داعياً الله تعالى أن يعجّل فرجه، وأن يجعله من خلّص أتباعه، الطالبين بثأر جدّه الحسين عليه السلام.

كما أنّ الزائر يتلمّس ذلك الارتباط في مضامين نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام التي تؤكّد عقيدة الانتظار، وأنّ على الشيعة أن يترقّب ظهور إمامه ليقوم بدوره في الأخذ بثأر سيّد الشهداء عليه السلام، ونصرة أهداف نهضته المباركة، من ذلك ما ورد في كيفية عزاء المؤمنين بعضهم البعض، بعد زيارته يوم عاشوراء بما نصّه: «عظّم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمّد عليه السلام»^(١).

كما نقرأ في نصّ آخر من نصوص الزيارات: «وأسأله أن يُبلّغني المقام المحمود لكم عند الله، وأن يرزقني طلب ثاركم مع إمام مهدي ناطق لكم»^(٢). فالزائر يدعو الله في أن يوفّقه لأن يكون من الطالبين بثأر سيّد الشهداء عليه السلام مع الإمام المهدي المنتظر عليه السلام. وفي نصّ آخر يُعلن الزائر أتباعه وتسليمه التأم لأهل البيت عليهم السلام، واستعداده لنصرة الدين في ذلك اليوم الموعود، فيقرأ ما نصّه: «... فقلبي لكم مسلّم، ورأيي لكم مُتّبع، ونصرتي لكم معدّة، حتّى يحكم الله بدينه ويعثكم»^(٣).

وتتجلّى عقيدة الانتظار للإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - أكثر

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٣٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٠٣.

في مواسم الزيارة التي تتجمع فيها حشود كبيرة من الناس، وأبرز تلك المواسم هو موسم زيارة الأربعين؛ حيث يحتشد فيه الملايين من الزائرين الوافدين إلى كربلاء من أنحاء وأرجاء العالم، الذي يجيء السواد الأعظم منهم مشياً على الأقدام تعبيراً عن عشقهم وموالاتهم، ومواساةً لمعاناة إمامهم وأهل بيته عليه السلام، واستذكراً لمظلوميّتهم. كما أنّ من أبرز المفاهيم التي تتجلّى في تلك المسيرة المليونية، التي يمكن أن نُستلهم من تلك الحشود العظيمة، هو مفهوم الانتظار؛ حيث تُجسّد تلك الجموع الغفيرة أجلى معاني الثبات على مبادئ الحسين عليه السلام والاستعداد لنصرة نهجه، والأخذ بثأره تحت لواء ولده الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

ومن هنا؛ فإنّ هذه العقيدة تجعل الشيعي في ثبات واستعداد دائمين ومستمرّين في نصرته الحقّ والدفاع عن عقائده تحت لواء إمام زمانه، وبذلك سوف يكون متحمّساً ومنشداً و متمسكاً بمذهبه مهما كثرت التحديات واشتدّت الظروف، قساوةً، ولا سيّما حين يقصد الزائر قبر سيّد الشهداء عليه السلام ليجدّد معه العهد والوفاء، ويستلهم منه مبادئ الصمود والثبات بوجه الظلم والفساد، وكذلك عندما يقف على تلك النصوص التي تشحذ هممه في أخذ الثأر والانتقام من الظالمين على يدي إمام زمانه المهدي المنتظر عليه السلام.

خاتمة البحث

تناولنا في هذه الدراسة جملة من العوامل العقديّة التي ساهمت بشكل مباشر في حفظ كيان التشيع بالرغم من التحديات الكثيرة التي تعرّض لها المذهب على مرّ العصور، وتحصّل لدينا مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. التأكيد على الزيارة والحثّ عليها من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام، ممّا يعكس مدى أهمّيّتها في المنظومة الشعائرية الحسينية، ويكون باعثاً للاهتمام بها والمواظبة عليها من قبل المؤمنين.

٢. إن حقيقة التشييع تعني الاتباع لمنهج أهل البيت عليهم السلام والتخلق بأخلاقهم القرآنية؛ ومن هنا سُمِّي أتباع علي عليه السلام بالشيعة، فليس كل من ادعى الاتباع والمحبة فهو من شيعته، بل لا بد أن يكون ذلك بالافتداء به واتباع منهجه.
٣. إن منشأ تسمية أتباع أهل البيت عليهم السلام بالشيعة يرجع إلى عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ فبحسب الشواهد التاريخية أنه صلى الله عليه وآله هو أول من أطلق تسمية الشيعة على جماعة من الصحابة كانوا يوالون الإمام علياً عليه السلام.
٤. أشارت الكثير من فقرات زيارات الإمام الحسين عليه السلام إلى جملة من المعتقدات الإسلامية، الأمر الذي يدل على عمق المعارف الدينية والكنوز المعرفية التي تضمّنتها نصوص تلك الزيارات.
٥. أكدت نصوص الزيارات جملةً من أبرز المسائل العقيدية، التي كان لها دور أساسي في حفظ كيان التشييع واتساع رقعته، وجاءت في بحثنا كالآتي: عقيدة الإمامة، عقيدة التوحي والتبري، عقيدة التوسل، وعقيدة انتظار القائم من آل محمد عليهم السلام.
٦. أكدت نصوص الزيارات عقيدة الإمامة، مبيّنةً أنّها استكمال لدور النبوة في التبليغ والإرشاد، وأن من صفات الإمام أن يكون معصوماً، وأنه يشترك مع القرآن في حفظ الشريعة وهداية الأمة.
٧. تُرَوِّدنا النصوص الدالة على عقيدة مولاة أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، بضرورة الاستمرار على نهج الإمام الحسين عليه السلام في تجسيده لهذه العقيدة الحقّة باتباع نهج الأولياء والصالحين، ورفضه لأعداء الدين.
٨. دلّت بعض نصوص الزيارات على أنّ التوسل بأهل البيت عليهم السلام هو تعظيم لحقهم الذي أوجبه تعالى على العباد، وإكراماً لهم ورفعة لقدرهم ومقامهم عند الله تعالى، وأن الهدف منه هو التقرب إلى الله تبارك وتعالى بواسطة التمسك بأوليائه الصالحين. كما أنّ التوسل بهم عليهم السلام يرفع غطاء الشبهات، ويزيل الأوهام عن الحقائق الناصعة التي دعا إليها أهل البيت عليهم السلام.

٩. أشارت نصوص الزيارات إلى العلاقة بين نهضة الإمام الحسين عليه السلام وقيام القائم عليه السلام، وأن على الزائر أن يترقب ظهور إمام زمانه ليقوم بدوره الإصلاحية، والأخذ بثأر سيّد الشهداء عليه السلام، ونصرة أهداف نهضته المباركة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* نهج البلاغة.

١. أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ)، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسّسة الإمام علي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢. الاعتقادات في دين الإمامية، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: عصام عبد السيّد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٣. إقبال الأعمال، السيّد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر المعروف بابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٥. الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية، الميرزا جواد التبريزي (ت ١٤٢٧هـ)، دار الصديقة الشهيدة عليها السلام، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٦. أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمّد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- ٨ . التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٩ . التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي (ت ١٤٢٦هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
- ١٠ . تفسير جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ١١ . التوسّل أو الاستعانة بالأرواح المقدّسة، الشيخ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ١٢ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ١٣ . الزيارة والتوسّل، صائب عبد الحميد، مركز الرسالة، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٤ . سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٥ . سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ١٦ . سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن التميمي الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، مطبعة الاعتدال، دمشق - سورية، ١٣٤٩هـ.
- ١٧ . الشعائر الدينية، الشيخ محمد السند، تحقيق: السيّد جعفر عبد الصاحب

الحكيم، دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨ . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٩ . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٥١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة - مصر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

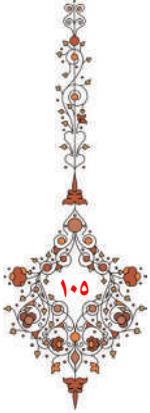
٢٠ . الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان، الأزهر - مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.

٢١ . عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، تقديم: حامد حفني داود، الناشر: مؤسّسة أنصاريان، قم المقدّسة - إيران.

٢٢ . عوالي اللالكئي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد بن علي بن إبراهيم المعروف بابن أبي جمهور الأحسائي (من أعلام القرن التاسع الهجري)، تحقيق: مجتبي العراقي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٣ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٤ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.



٢٥ . الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)،
تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة،
١٣٨٩هـ.

٢٦ . كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ)،
تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٧ . كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق:
جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،
١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٨ . كتاب الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف
بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٣هـ.

٢٩ . كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق:
الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة،
الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٣٠ . كتاب المزار، محمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ)،
تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى،
١٤١٠هـ.

٣١ . لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفرقي
(ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٥هـ.

٣٢ . اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر المعروف
بابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الناشر: أنوار الهدى، قم المقدسة - إيران، الطبعة
الأولى، ١٤١٧هـ.



٣٣ . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، الناشر: مرتضوي، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ ش.

٣٤ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.

٣٥ . المزار، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن علي المعروف بابن المشهدي (توفي في القرن السادس الهجري)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٦ . مصباح المتهجد، أبو جعفر محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.

٣٧ . المصباح، إبراهيم بن علي الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م.

٣٨ . المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٩ . معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.

٤٠ . معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٤هـ.

٤١ . مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تعريب: السيد محمد رضا



النوري النجفي، الناشر: مكتبة العزيزي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثالثة،
١٣٨٥ش/٢٠٠٦م.

٤٢ . منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، محمد بن عبد الحلّيم بن
تيمية الحرّاني الحنبلي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٣ . الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين، بإشراف: الشيخ علوي بن عبد
القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

٤٤ . الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)،
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران.

٤٥ . النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد
الشيبياني الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، مؤسسة إسماعيليان
للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤هـ.ش.

٤٦ . النور الساطع في الفقه النافع، الشيخ علي بن محمد رضا بن هادي كاشف
الغطاء (ت١٤١١هـ)، مطبعة الآداب، ١٣٨١هـ/١٩٦٣م.

٤٧ . وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ق١ و٢ و٣، للباحث الشيخ رافد عسّاف
التميمي، مقال منشور في مجلّة الإصلاح الحسيني، الأعداد، ١ و٢ و٣.

٤٨ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي
(ت١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة
- إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.



معالم الهوية الشيعية في ضوء نصوص الزيارات الحسينية

عمار الجويراوي

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

The Features of the Shiite Identity in Light of the Husayni Ziyaras' Texts

Ammar al-Juwaibrawy

The Warith al-Anbiya Institute for Specialized
Studies on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) – Iraq

ملخص البحث

إن مصطلح الهوية من المصطلحات الرائجة في العصر الراهن، وقد اكتسب أهمية خاصة في علم الاجتماع، وهو مصطلح ذو أبعاد متعددة، وأحد تلك الأبعاد الهوية الدينية، فكلّ دين أو مذهب له هويته الخاصة التي تُحدّد معالمة وتميّزه عن غيره. ونحن في هذا البحث سوف نُسلط الضوء على أبرز معالم الهوية الشيعية من خلال نصوص الزيارات الحسينية، التي يأتي في طليعتها الاعتقاد بالإمامة المنصوصة للأئمة عليهم السلام وأعلميتهم وعصمتهم، وأتهم اثنا عشر إماماً، ووجوب موالاتهم عليهم السلام والبراءة من أعدائهم.

وهي معالم بناء تُعدّ مائزاً بين الشيعة وغيرهم من أبناء المذاهب الإسلامية، هدفها تنوير الفكر ونيل سعادة الدارين، بغض النظر عن قبول الأمة لذلك أو عدم قبوله؛ لأنّ الإسلام بهذه الهوية وهذه الكيفية هو الذي يجب أن يسود ويظهر على كافة الأديان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: الآية ٣٣).

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهوية الشيعية، الزيارة، معالم الهوية الشيعية، الزيارات الحسينية، التويّي، التبرّي، التوسّل.

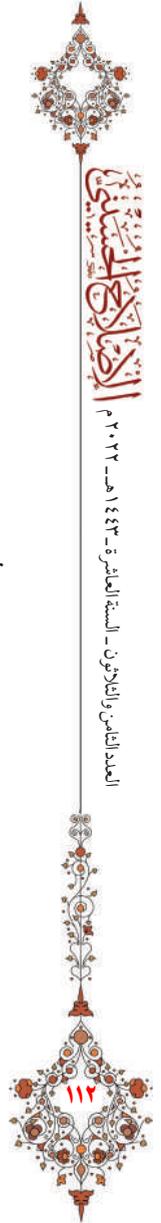


Abstract

Identity has emerged as a key concept in the current era, especially in the sociological discourse. This multifaceted term encompasses various aspects, among which is the dimension of religious identity, as distinct identities are inherent to each religion or denomination and outline their unique traits and set them apart. This study aims to highlight the defining characteristics of the Shiite identity as presented in the visitation-texts of Imam al-Husayn (PBUH). These texts emphasize several doctrinal beliefs among which are that there are 12 Imams (PBUT), that their Imamate is stipulated, and that they are infallible and the most knowledgeable. The texts also underscore the necessity of pledging loyalty to the Imams (PBUT) and renouncing their enemies.

Such foundational attributes distinctly separate the Shiites from followers of other Islamic schools of thought and are equipped with the goal of fostering intellectual enlightenment and secure reward in this life and the hereafter, irrespective of whether the Ummah accepts or rejects these notions. This is because Islam, characterized by this unique identity and expressed in this way, must lead all faiths and be evident over them. The Holy Quran states in verse 33 of Surah al-Tawba, "He is the One Who has sent His Messenger with guidance and the religion of truth, making it prevail over all others, even to the dismay of the polytheists."

Keywords: Identity, Shiite identity, Ziyara, attributes of the Shiite identity, Husayni visitation-texts, pleading allegiance, Tabarri (disavowal), Tawassul (to obtain nearness to Allah through a mean).



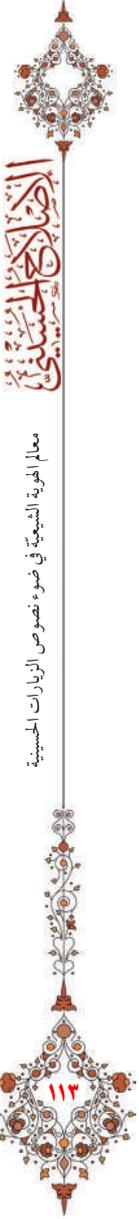
المقدمة

إنّ الحديث عن الهوية الشيعية في الحقيقة حديث عن الهوية الإسلامية بتمام أبعادها؛ لأنّها - الهوية الشيعية - مُندكّة في الإسلام ومنظومته الفقهية والعقدية، وهذه ليست مجرد دعوى عابرة، وإنّما هي حقيقة ثابتة حكّم دعائمها رسول الله ﷺ في حياته، فقد أخرج ابن عساكر «عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي (صلى الله عليه وسلّم)، فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي (صلى الله عليه وسلّم): قد أتاكم أخي. ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»^(١).

فالتشيع ليس هوية آنية نسجتها ظروف معيّنة، بل هو هوية متأصلة ولدت مع بزوغ فجر الإسلام وانطلاقته المباركة، غير أنّ سلوك الأمة الإسلامية - بعد رحيل النبي الأكرم ﷺ - منهجاً مغايراً لمنهج الإمامة والولاية، جعل الشيعة يستمرّون في تمسّكهم بتلك الهوية التي رسمها رسول الله ﷺ ويعضّون عليها بالنواجذ؛ لتصبح فيما بعد هوية للشيعة ورمزاً للتشيع.

ونظراً لأهمّية تلك المسألة وأثرها في سلوك الفرد وعلاقته بخالفه؛ جاء بحثنا ليُسلط الضوء على أبرز معالم تلك الهوية ومقوماتها، بما يتلاءم ومبادئ الإسلام الحقيقية وقيمه البناءة، وذلك من خلال المباحث التالية:

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٣٧١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٨، ص ٥٨٩. وأنظر: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج ١٤، ص ٢٢٩، رقم ٦٦٨٤.



المفاهيم والمصطلحات

إنَّ تحديد معاني الألفاظ والمصطلحات المستعملة في أيِّ بحث أو حوار، يُعتبر أمراً مهماً في استبعاد الكثير من عوامل الاختلاف ومسبباته، التي تنشأ عادة من الفهم المتباين لتلك الألفاظ والمصطلحات؛ لذا نرى من الضروري أن نبدأ بتعريف مفردات عنوان البحث.

أولاً: الهوية الشيعية

يُعدُّ مصطلح الهوية الشيعية مركباً وصفيّاً يتكوّن من كلمتين، هما: (الهوية - الشيعة)، ولما كان بيان مفهوم الهوية الشيعية يستلزم إفراد كلِّ كلمة من المركب على حدة، سوف نبدأ ببيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمتي (الهوية) و (الشيعة)، ومن ثم بيان معنى المركب الإضافي.

تنبيه

قبل الدخول في بيان المعاني اللغوية والاصطلاحية لكلمة (هوية)، لا بدّ من التنويه إلى أنّ الكثير من الناس يخلطون بين كلمتي (الهويّة) بفتح الهاء و(الهويّة) بضمّها؛ فيطلقون الأولى - بفتح الهاء وتشديد الياء - ولا يُريدون بذلك إلاّ الثانية (الهويّة) التي سيأتي تعريفها بعد قليل تحت عنوان: تعريف الهوية في علم الاجتماع. والحال أنّ الهويّة - بفتح الهاء - موضوعة لمعانٍ آخر في اللغة العربية غير ما نحن بصددّه، منها: «السقوط من علو، وما انخفض من الأرض، القطعة من الليل، هوى النفس، الحبّ والعشق»^(١). وهذا يمثل خطأ شائعاً على ألسن الكثيرين؛ لأنّ أصل

(١) ابن دريد، محمد بن الحسن، جوهرة اللغة: ج ١، ص ٢٥١. الهروي، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٦، ص ٢٥٨، ص ٢٦١. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج ٦، ص ٢٥٣٧. ابن فارس، أحمد بن فارس، مجمل اللغة: ص ٨٩٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب: ج ١٥، ص ٣٧٤، ص ٣٧٢. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ص ١٣٤٧.

الهوية مصدر صناعي مشتق من ضمير الغائب هو بضمّ الهاء، ولا يوجد من ينطق بفتحها^(١).

١. الهوية لغةً

إنّ كلمة (هوية) تُمثّل مصطلحاً مستحدثاً في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية تخلو منه معاجم اللغة العربية، فهي على الرغم من كثرتها وسعة استيعابها تخلو تماماً من تعريف لغوي للهوية بالمعنى الذي نفهمه اليوم.

٢. الهوية اصطلاحاً

لا يمكن تحديد تعريف متفق عليه للهوية بين علماء الاجتماع والفلاسفة والمفكرين وغيرهم، بل إنّ التعريفات تختلف باختلاف المجالات المعرفية؛ حيث يتباين معناها من مجال معرفي إلى مجال معرفي آخر.

أ. الهوية في علم الاجتماع

الهوية: «تُعرّف المرء من حيث انتماءاته الخارجية، أي تلك التي بعضها أضفى عليه مجتمعه، وبعضها الآخر اتخذها لنفسه، وأبرزها: الثقافة، العرق، الوطن، الدين، المذهب، المنظور الفكري أو السياسي»^(٢).

ب. الهوية في الفلسفة

عرّف الفارابي هوية الشيء على أنّها: «تعيّنه ووحدته وخصوصيّته ووجوده المتفرّد له كلّها واحدة، يعني أنّ الحثية التي بها يصير موجوداً هي بعينها حثية بها يصير

(١) د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة: ج ٣، ص ٢٣٧٢. د. عبد الهادي أبو طالب، معجم تصحيح لغة الإعلام العربي: ص ٢٨٠.

(٢) نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة في بيروت، مقال تحت عنوان: لاهوت الرحمة في ضوء الفردانية.. جدلية الماهية والهوية للكاتب: أ. بدر بن سالم بن حمدان العبري، العدد: ٣٣٨، سبتمبر



مشخصاً وواحداً»^(١).

وبهذا يتضح أنّها تعني حقيقة الشيء أو الشخص التي تميّزه عن غيره، فيدخل فيها ما يميّزه من صفات عقلية وجسمية وخلقية ونفسية^(٢). وفي ضوء التعريف المتقدم أطلق اللغويون المعاصرون على الهوية التي يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده، اسم البطاقة الشخصية أيضاً^(٣). وعند التدقيق فيما تقدّم من تعريفات للهوية نجد بأنّها على اختلاف فروعها المعرفية، فإنّها تشترك بسِمات أساسية، منها أنّها تركز على التميّز عن الغير سواء على صعيد الفرد أم المجتمع، وأنّها تُعبّر عن حقيقة الشيء وماهيته.

وبناء على ما تقدّم يتّضح أنّ الهوية تعني: مجموعة المزايا والمقومات التي تصلح أن تكون مائزاً بين الأشخاص على الصعيد الفردي، أو بين المجتمعات على الصعيد الاجتماعي، التي بدونها تنتفي هوية الفرد أو المجتمع، ومن تلك المزايا والمقومات الأديان والمذاهب واللغات والأعراق وغيرها.

١. الشيعة لغةً

الشيعة هم أنصار الرجل وأتباعه، وكلّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وتشيّع الرجل أي ادعى دعوى الشيعة. وقد غلب هذا الاسم على كلّ من يتولّى عليّاً وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصّةً^(٤).

(١) الفاروقي، محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ج ١، ص ١٠١٠.

(٢) أنظر: مجلّة البيان، المنتدى الإسلامي: ج ١٢٨، ص ٥٤.

(٣) أنظر: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٩٩٨. د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة: ج ٣، ص ٢٣٧٢.

(٤) أنظر: الهروي، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٣، ص ٤٠. الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج ٣، ص ١٢٤٠. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ص ٧٣٥.



٢. الشيعة اصطلاحاً

طائفة من الناس يعتقدون بإمامة اثني عشر إماماً حداً فاصلاً وبياناً هادياً، لا يترك منفذاً لاختلاف الآراء وتدخل الاجتهادات؛ فقد نصّ رسول الله ﷺ عليهم بالقول: «يكون من بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(١). ومن ثم نصّ كل إمام على الإمام الذي يليه بما لا يدع مجالاً للشك والإبهام^(٢).

ويمكننا من كل ما تقدّم أن نعطى تعريفاً للمركّب الوصفي (الهوية الشيعية)، فنقول: هي مجموعة المزايا والمقومات التي تُشكّل مائزاً بين الشيعة وغيرهم من المذاهب الإسلامية على مستوى الفكر والعقيدة، التي بانتفائها تنتفي الهوية الشيعية، كالاعتقاد بالإمامة المنصوصة والعصمة، وأن عدد الأئمة اثنا عشر، وموالاته أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم... إلى غير ذلك من المقومات.

ثانياً: الزيارة

١. الزيارة لغة

القصد، وزاره يزوره زيارةً وزوراً، أي قصده، وأزاره: حمّله على الزيارة، وقد تزاوروا: زار بعضهم بعضاً. والمزار: موضع الزيارة^(٣).

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٤٧٢. البزار، أحمد بن عمرو، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: ج ١٠، ص ١٩٤. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٢، ص ١٩٧، رقم ١٧٩٩.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص ١٩. السبحاني، جعفر بن محمد حسين، الأئمة الاثني عشر: ص ١.

(٣) أنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج ٢، ص ٦٧٣-٦٧٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٣٣٥. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج ١، ص ٢٦٠.



٢. الزيارة اصطلاحاً

«عمل عبادي، وهو عبارة عن الحضور عند أئمة الدين أحياءً، أو زيارة قبورهم أمواتاً، ويندرج تحت عنوان إظهار الحبّ والولاء والاحترام لهم»^(١).
وقريب منه ما ذكره الفيومي حينما عرفها بالقول: «قصدُ المزور إكراماً له واستئناساً به»^(٢).

وكما هو واضح أنّ المعنى اللغوي للزيارة يُشابه المعنى الاصطلاحي؛ من حيث إنّ كليهما بمعنى القصد، إلا أنّ المعنى اللغوي يكون أعمّ وأشمل.

معالم الهوية الشيعية في ضوء نصوص الزيارات الحسينية

توجد عدّة معالم وأسس تتحكّم بالهوية الشيعية، فتشكّل جوهرها وحقيقتها، كالتوحيد والنبوة والعدل والإمامة والمعاد، وهي معالم وسماوات رسمها رسول الله ﷺ في حياته، وليست أمراً جديداً أو مستحدثاً، وهي موجودة بأجمعها في الكتاب والسنة.

وقد وردت تلك المعالم بأجمعها في نصوص الزيارات الحسينية ومضامينها، إلا أنّنا سوف نقتصر في هذا البحث على بيان معلم الإمامة ومزاياه من بين تلك المعالم؛ لأنّه يمثل المائز الحقيقي بين الشيعة وغيرهم من المذاهب الإسلامية، فنحن نشترك معهم في باقي المعالم - التوحيد والنبوة والعدل والمعاد - وإن اختلفنا في جزئياتها وتفصيلها.

المعلم الأوّل: الإمامة المنصوصة

تعدّ الإمامة المنصوصة المعلم الرئيس في مدرسة أهل البيت ﷺ، والمائز الأساس بينها وبين المذاهب الإسلامية الأخرى. قال السيّد محمد حسين كاشف الغطاء: «إنّ

(١) من موقع ويكي شيعية الإلكتروني: <https://ar.wikishia.net/view/الزيارة>.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج ١، ص ٢٦٠.

هذا هو الأصل الذي امتازت به الإمامية وافتقرت عن سائر فرق المسلمين، وهو فرق جوهرى أصلي»^(١).

وتعني: خلافة الأئمة عليهم السلام للنبي صلى الله عليه وآله في وظائفه المتمثلة في هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم في النشأتين، ولهم ما للنبي صلى الله عليه وآله من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم. وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوّة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول^(٢). والإمامة بهذا المعنى تُعدّ أصلاً من أصول المذهب الشيعي.

ويمكن الاستدلال لهذا المضمون بما ورد في زيارتي عرفة ووارث:

أ. «السلام عليك يا بن خاتم النبيين، وابن سيّد الوصيّين، وابن إمام المتّقين، وابن قائد الغرّ المحجّلين إلى جنّات النعيم، وكيف لا تكون كذلك وأنت باب الهدى، وإمام التقى، والعروة الوثقى، والحجّة على أهل الدنيا، وخامس أصحاب الكساء؟!»^(٣).

ب. «وأشهد أنّك الإمام البرّ التقى الرضى الزكى الهادي المهدي، وأشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجّة على أهل الدنيا»^(٤).

وجه الاستدلال: أشارت الفقرتان أعلاه إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام هم الأئمة والحجج على أهل الدنيا، ولا يكونون كذلك حتى يكونوا منصوبين من قبل الله تعالى؛ لأنّ الإمامة عهد الله الذي أخذه على الأئمة وميثاقه الذي وكّده، ولا مدخلية فيه للعباد، وعند ذلك تكون الحجّة البالغة لله، ويكون الإمام حجّة الله في أرضه وعينه في خلقه.

(١) كاشف الغطاء، محمد حسين، أصل الشيعة وأصولها: ص ٢٢١.

(٢) أنظر: الخرزاي، السيّد محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: ج ٢، ص ٦.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٦٤، (زيارة عرفة).

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد: ص ٧٢٠، (زيارة وارث).



ونظراً لأهمية الإمامة ودورها المفصلي في حياة الأمة الإسلامية، فقد تناولها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على نطاق واسع. وإتماماً للفائدة نرى من المناسب أن نذكر دليلاً قرآنياً واحداً وآخر من السنة النبوية على مسألة الإمامة:

الدليل القرآني

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

قال الرازي: «وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: صليت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يُعْطِه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راعياً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾^(٢) إلى قوله: ﴿وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي﴾^(٣) فأُنزِلت قرآناً ناطقاً: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنَا﴾^(٤). اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري.

قال أبو ذر: فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال: يا محمد اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٥)^(٦).

(١) المائة: الآية ٥٥.

(٢) سورة طه: الآية ٢٥.

(٣) سورة طه: الآية ٣٢.

(٤) القصص: الآية ٣٥.

(٥) المائة: الآية ٥٥.

(٦) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ١٢، ص ٣٨٣.

الدليل الروائي

عن أنس بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «أنت تُبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»^(١).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»^(٢).

قال السيّد عبد الحسين شرف الدين معلقاً على الحديث المتقدم: «إنّ من تدبّر هذا الحديث وأمثاله علم أنّ عليّاً من رسول الله بمنزلة الرسول من الله تعالى؛ فإنّ الله سبحانه يقول لنبيه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ورسول الله يقول لعلي: أنت تُبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»^(٣).

وقال السيّد علي الميلاني: «فقد نصب [أي: النبي الأكرم ﷺ] عليّاً للحكم بيننا في كلّ ما اختلفنا فيه، من أمور ديننا ودياننا»^(٤). وهذا هو مفهوم الإمامة بأجلى صورها.

المعلم الثاني: الأئمة عليهم السلام أعلم أهل زمانهم

تولي مدرسة أهل البيت عليهم السلام عناية خاصّة بمسألة علم الإمام؛ فإنّها تُركّز على أنّ من صفات الإمام الأساسية هي الجامعة العلمية. وبعبارة أخرى: أنّ الإمام يجب أن يكون أعلم أهل زمانه في جميع أبواب العلوم والمعارف؛ لكي يتمكن من توجيه القافلة البشرية وإيصالها إلى كمالها المنشود. وهذه المسألة في غاية الخطورة والحساسية؛ إذ إنّها تمثّل سلاحاً ذا حدّين، فهي

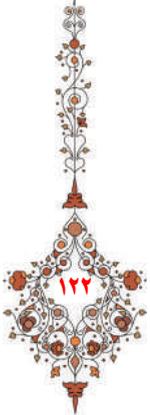
(١) الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج ١، ص ٤٤١.

(٢) الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٢٢، رقم ٤٦٢٠.

(٣) شرف الدين، السيّد عبد الحسين، المراجعات: ص ٢٤٣.

(٤) الميلاني، السيّد علي، محاضرات في الاعتقادات: ج ١، ص ٣٠٩.





في الوقت الذي تُعتبر من مقومات الإمامة وأسسها، كذلك تُعتبر مائزاً وفيصلاً بين الإمام الحقيقي (الإلهي) ومدعي الإمامة زوراً وهتاناً، كما اتفق ذلك في موارد كثيرة من تأريخنا الإسلامي، فإنهم كانوا يجهلون من أمور الدين أسهلها ويدعون العلم بمعزلها.

ويمكن الاستدلال لهذا المعلم بما ورد من زيارات الإمام الحسين عليه السلام، كزيارة النصف من رجب، وزيارة وارث، وزيارة النصف من شعبان.

١. «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

٢. «السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين، السلام عليك يا وارث علم الأنبياء ورحمة الله وبركاته. السلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله»^(٢).

٣. «السلام عليك يا وارث التوراة والإنجيل والزبور... السلام عليك يا باب حكمة رب العالمين، السلام عليك يا عيبة علم الله، السلام عليك يا موضع سرّ الله»^(٣).
ومسألة أعلمية الإمام ووراثته علم رسول الله صلى الله عليه وآله من المسائل التي حظيت باهتمام أئمة أهل البيت عليهم السلام، واحتلت مساحة واسعة من كلماتهم؛ فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن داود ورث علم الأنبياء، وإن سليمان ورث داود، وإن محمداً صلى الله عليه وآله ورث سليمان، وإننا ورثنا محمداً صلى الله عليه وآله، وإن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى»^(٤).

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المهتجد: ص ٧٢٠، (زيارة وارث).

(٢) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٦٢، (زيارة النصف من رجب).

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤١، (زيارة النصف من شعبان).

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٢٥.

وعن أبي بصير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: «أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم. قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وارث الأنبياء، علم كما علموا؟ قال لي: نعم»^(١).

المعلم الثالث: عصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

يعتقد شيعة أهل البيت بأن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام معصومون مطهرون شأنهم شأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في استحالة صدور المعاصي والذنوب والخطأ والنسيان عنهم، ويمكن الاستدلال لهذا المضمون بما ورد من زيارتي وارث والأول من رجب:

١. «يا مولاي يا أبا عبد الله، أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخحة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهيات ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين، وأشهد أنك الإمام البرّ التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا»^(٢).

٢. «أشهد أنك طهر طاهر مطهر، من طهر طاهر مطهر، طهرت وطهرت بك البلاد، وطهرت أرض أنت بها، وطهر حرمك»^(٣).

وجه الدلالة: عندما يكون الإمام الحسين عليه السلام والأئمة من ولده أنواراً ومطهرين من دنس الجاهلية، وأعلام هداية للناس، ومهديين من قبل الله تعالى، وحجة على أهل الدنيا، فهذا يعني أنهم معصومون لا محالة؛ إذ كيف يكون رأي من يُخطئ أو يمتثل الخطأ حجة على الغير، وهل هذا إلا خلاف الحكمة ومجانبة المنطق السليم؟! ونظراً لأهمية العصمة في حياة الأمة الإسلامية، فقد أسس لها القرآن الكريم والسنة النبوية على نطاق واسع، إلا أننا سوف نكتفي بدليل من القرآن الكريم وآخر من السنة النبوية؛ لبدهة المسألة ووضوحها عند شيعة أهل البيت عليهم السلام.

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٤٧٠.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢١، (زيارة وارث).

(٣) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٤٤، (زيارة الحسين عليه السلام في الأول من رجب).



الدليل القرآني

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، قال: «هي في علي وفي الأئمة، جعلهم الله مواضع الأنبياء، غير أنهم لا يجلّون شيئاً ولا يُجرّمونه»^(٢).
وجه الاستدلال: «إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بدّ وأن يكون معصوماً»^(٣).

وهذا من الاستدلالات المتينة في إثبات قطعية عصمة أولي الأمر، لكن الرازي خالف في المصداق؛ حيث ذهب إلى أنّ المقصود بـ: (أولي الأمر) أهل الحلّ والعقد. وهو رأي يرفضه العقل ويجانبه النقل، وليس لنا معه كثير كلام سوى القول: هكذا تصنع الحمية المذهبية بأهلها.

الدليل الروائي

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإئمتها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٤).

إنّ حديث الثقلين جعل من أهل البيت عليهم السلام عدلاً للقرآن، وعلى هذا يجب أن يكون التمسك بهم كالقرآن، وأتباعهم في كلّ أمر ونهي، ولا تجب الطاعة والاتباع لشخص إلا أن يكون نبياً أو معصوماً، وبهذا فقد ثبتت عصمتهم عليهم السلام^(٥).

(١) النساء: الآية ٥٩.

(٢) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥٢.

(٣) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ١٠، ص ١٤٤.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ١٧، ص ٧٠. البزار، أحمد بن عمرو، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: ج ١٠، ص ٢٣٢، رقم ٤٣٢٥.

(٥) أنظر: المظفر، محمد حسن، دلائل الصدق لنهج الحق: ج ٦، ص ٢٤١.

ويعتبر حديث الثقلين من أمتن الأدلة وأوضحها دلالةً على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال السيّد الميلاني: «ومن الأدلة القاطعة الدالة على عصمة أئمتنا بالمعنى الذي نذهب إليه، وليس فيه أيّ مجال للبحث والنقاش، حديث الثقلين»^(١).

المعلم الرابع: عدد الأئمة عليهم السلام اثنا عشر إماماً

يعتقد الشيعة الإمامية أنّ عدد الأئمة المؤهلين لتوليّ منصب الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، اثنا عشر إماماً، بدءاً بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وانتهاءً بالإمام الحجّة بن الحسن عليه السلام إمام زماننا المنتظر الغائب الذي يظهر في آخر الزمان، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. ومن هذا المعتقد جاءت تسمية مذهب الإمامية بالشيعة الاثني عشرية.

ويمكن الاستدلال لهذا المعلم بما ورد في زيارة عرفة:

«السلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، السلام على أمير المؤمنين، السلام على فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، السلام على الحسن والحسين، السلام على علي بن الحسين، السلام على محمد بن علي، السلام على جعفر بن محمد، السلام على موسى بن جعفر، السلام على علي بن موسى، السلام على محمد بن علي، السلام على علي بن محمد، السلام على الحسن بن علي، السلام على الخلف الصالح المنتظر»^(٢).

وقد ورد ذكر عدد الأئمة الاثني عشر في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في مواطن كثيرة أشارت إليها كتب الفريقين، فمما ورد في كتب أهل السنة على سبيل المثال:

١. ما وراء جابر بن سمرّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يزال الدين قائماً حتى

تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»^(٣).

(١) الميلاني، السيّد علي، العصمة: ص ٤١.

(٢) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، المزار: ص ١٧٢، (زيارة الحسين عليه السلام في يوم عرفة).

(٣) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٣٤، ص ٤٢١، رقم ٢٠٨٣٠. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٤٥٣، رقم ١٨٢٢.



٢ . ما رواه مسروق، قال: «كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود، وهو يُقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتُم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كم تملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألتنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: اثنا عشر، كعدة نقيب بني إسرائيل»^(١).

أما ما ورد في كتب شيعة أهل البيت عليهم السلام من أحاديث، فقد تجاوز مسألة الخوض في عدد الأئمة إلى ذكر أسمائهم، وتسلسل إمامة كل منهم، والوصاية بهم، وإلزام الأمة بوجوب اتباعهم.

فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله بأسمائهم وإمامتهم حينما سأله جابر بن عبد الله الأنصاري عن المقصود بأولي الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، فأجابه قائلاً: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمِّي وكنتي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغارها»^(٢).

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٦، ص ٣٢١، رقم ٣٧٨١. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین: ج ٤، ص ٥٤٦، رقم ٨٥٢٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٥٣، (الحديث طويل أخذنا منه مورد الحاجة). وأنظر: الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس: ص ٢٠٢. الجويني، إبراهيم بن محمد، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام: ج ١، ص ٣١٧-٣١٨، (الباب الثامن والخمسون).



المعلم الخامس: التوسّل بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام

يُعدّ التوسّل بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام - بالكيفية التي بيّنها أهل البيت عليهم السلام - عقيدة متأصلة في الفكر الشيعي، ومعلماً آخر من معالم الهوية الشيعية؛ فإنه وإن لم تُمنع المذاهب الإسلامية الأخرى من قبول أصل التوسّل، إلاّ أنّه بالكيفية المتقدمة عندما يُطلق ينصرف إلى التوسّل الخاصّ بمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو التوسّل بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

والتوسّل في حقيقته عمل عبادي يشكّل أساساً ومنطلقاً لتكامل الإنسان روحياً ومعنوياً؛ وذلك لتطهيره من الآثام وعوامل البؤس والشقاء^(١).

ويمكن أن يُستدلّ له بما ورد في زيارة عاشوراء:

١. «اللهم اجعلني عندك وجيهاً^(٢) بالحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة»^(٣).

٢. «اللهم وإني أتوسّل وأتوجّه بصفوتك من خلقك، وخيرتك من خلقك، محمّد وعلي والطيبين من ذريتهما، اللهم فصلّ على محمّد وآل محمّد، واجعل محياي محياهم ومماتي مماتهم، ولا تفرّق بيني وبينهم في الدنيا والآخرة، إنك سميع الدعاء»^(٤).

فالتوسّل من جملة الأمور التي حثّ الشرع عليها وندب إليها، فقد تناوّلها القرآن

الكريم في محكم آياته، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٦).

(١) أنظر: السبحاني، جعفر بن محمد، التوسّل أو الاستغاثة بالأرواح المقدّسة: ص ١٠٢.

(٢) التوجّه: طلب الواجهة بما له عند الله وجه ومنزلة، وهو من مرادفات التوسّل. صائب عبد الحميد، الزيارة والتوسّل: ص ١١٨.

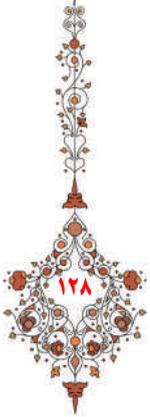
(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد: ص ٧٧٤، (زيارة عاشوراء).

(٤) النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٤١٤، (زيارة عاشوراء غير المشهورة).

(٥) المائدة: الآية ٣٥.

(٦) النساء: الآية ٦٤.





ومَّا تقدّم يتّضح أنّ التوسّل ليس من مصاديق الشرك كما ذهب إلى ذلك بعض فرق المسلمين وطوائفهم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هو مَنْ تعبّدنا به حينما طلب منّا اتّخاذ الوسيلة، التي تعني أن يجعل الإنسان بينه وبين خالقه صلة وسبباً محبوباً ومقرّباً منه تعالى، وأيّ سبب وصلة أفضل من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

والشواهد على ذلك من السنّة النبوية كثيرة، نكتفي بذكر اثنين منها تمييزاً للفائدة:

- ١ . قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة من ولد الحسين عليه السلام، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله تعالى»^(١).
- ٢ . وورد في دعاء التوسّل بالأئمة عليهم السلام: «يا سادتي وموالي، إني توجّعت بكم أئمتي وعدّتي ليوم فقري وحاجتي إلى الله، وتوسّلت بكم إلى الله، واستشفعت بكم إلى الله»^(٢).

ولا يعني ما تقدّم أنّنا نطلب من أئمة أهل البيت عليهم السلام على نحو الاستقلال؛ فإنّه لا يوجد من الشيعة مَنْ يقول بذلك، بل بما هم واسطة وسبب جعله الله تعالى علامة لقربه ونيل رضاه، وما الضير في أن يوسّط الإنسان بينه وبين خالقه أناس طهّره الله وأذهب عنهم الرجس، وجعلهم كسفينة النجاة من ركبها نجا، وجعلهم كباب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له^(٣)؟ وفوق هذا كلّه أوجب مودّتهم وجعلها فرضاً على كلّ مسلم^(٤).

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٦٣. القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج ٣، ص ٢٩٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٢٤٧-٢٤٩.

(٣) أنظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: ج ٦، ص ٨٥، رقم ٥٨٧٠. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج ٩، ص ١٦٨، رقم ١٤٩٧٨.

(٤) ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى: الآية ٢٣.

المعلم السادس: تولّي الأئمة الاثني عشر عليهم السلام والتبرّي من أعدائهم

التولّي والتبرّي في اصطلاح مدرسة أهل البيت عليهم السلام يعنيان التمسك بصاحب الولاية المطلقة علي عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم؛ ولذلك عدّا من أصول مذهبنا^(١).

وهما من أسس الهوية الشيعية ومقوماتها، وبهما تُقبل الطاعات وتُنال الدرجات، قال الرضا عليه السلام: «كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا»^(٢).

ويمكن الاستدلال لهما ببعض ما ورد في زيارتي الأربعين وعاشوراء:

١. «اللهم إني أشهدك أنّي وليٌّ لمنّ والاه وعدوّ لمنّ عاداه»^(٣).

٢. «يا أبا عبد الله، إني أتقرب إلى الله وإلى رسوله وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة وإلى الحسن وإليك بموالاة، وبالبراءة ممن أسس أساس ذلك وبنى عليه بنيانه، وجرى في ظلمه وجوره عليكم وعلى أشياعكم، برئت إلى الله وإليكم منهم، وأتقرب إلى الله ثم إليكم بموالاةكم وموالاة وليكم، وبالبراءة من أعدائكم، والناصبين لكم الحرب، وبالبراءة من أشياعهم وأتباعهم، إني سلم لمنّ سالمكم، وحرب لمنّ حاربكم، وولي لمنّ والاكم، وعدوّ لمنّ عاداكم»^(٤).

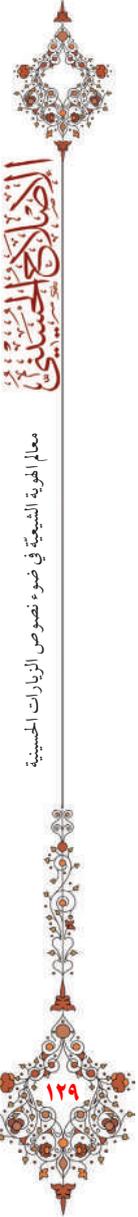
من يتأمّل في زيارة عاشوراء يجد بأنّ مفهومي الولاية والبراءة يتجلّيان بوضوح في ألفاظها المباركة، ولعلّها يمثّلان المحور الأبرز الذي تدور حوله فصول الزيارة؛ باعتبار أنّ الولاية لآل محمد لا تتمّ، والمحبة لهم لا تخلص، إلّا بالبراءة من أعدائهم ولو كانوا قُربى؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

(١) النقوي، محمد تقي، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ج ٧، ص ٢٢٨.

(٢) ابن إدريس، محمد بن منصور، مستطرفات السرائر: ص ٦٤٠.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٨٩. ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥١٥، (زيارة الأربعين).

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٧٤، (زيارة عاشوراء).



حَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿١﴾.

وهما - أي التوَّبي والتبرِّي - توأمان لا يمكن الفصل بينهما، بأن يتولَّى أئمة أهل البيت عليهم السلام ولا يتبرَّأ من أعدائهم^(٢).

وإتماماً للفائدة ومناسبة المقام نذكر روايتين:

١. «روي أن رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أحبُّك وأحبُّ فلاناً، وسمي بعض أعدائه. فقال عليه السلام: أما الآن فأنت أعور، فإما أن تعمى، وإما أن تُبصر»^(٣).

٢. «وقيل للصادق عليه السلام: إن فلاناً يواليكم، إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوك. قال: هيهات، كذب من ادعى ولايتنا ولم يتبرَّأ من أعدائنا»^(٤).

قال الشيخ محمد السند محدراً من خطورة الالتزام بالمعنى المتقدم: «ولا يخفى على اللبيب أن الحذر من اللعن لأعداء الله ورسوله هو في الحقيقة تدويب لظاهرة التوَّبي والتبرِّي، ومسح لفطرة الحسن والقبح، لتعود الفطرة والقلب منكوسين قبال الباطل والضلال، فهذا التحسس والحذر من اللعن ينطوي على التنكُّر لهدى عترة النبي صلى الله عليه وآله، والميل لضلال مخالفهم»^(٥).

وهنا يكمن الخلل الجسيم في سلوك أئمتنا الإسلامية ونهجها تجاه أئمة أهل البيت عليهم السلام، فالجميع يكتنون لهم المودة والاحترام، إلا أن أكثرهم لا يتبرَّؤون من أعدائهم، ولا يتخذون منهم موقفاً حازماً.

(١) المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) أنظر: الكربلائي، جواد عباس، الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة: ج ٥، ص ٥٨.

(٣) ابن إدريس، محمد بن منصور، مستطرفات السرائر: ص ٦٤٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص ٣٩٥.

الخاتمة

توصلنا من خلال البحث المتقدم إلى عدة نتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

١. إن الهوية الشيعية تمثل هوية متأصلة أقام أسسها وحكم دعائمها رسول الله ﷺ في حياته، وقد حمل الشيعة تلك الهوية بكل أمانة وصدق، وبذلوا من أجلها الغالي والنفيس جنباً إلى جنب مع أئمتهم الأطهار عليهم السلام، وبمختلف الوسائل والأساليب.
٢. إن نصوص الزيارات الحسينية حملت بين جوانحها العديد من المعالم والمقومات التي تتحكم في الهوية الشيعية وتميزها عن غيرها من الهويات، وتمثل بـ: إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وأعلميتهم، وعصمتهم من الخطأ والزلل، وإن عددهم اثنا عشر إماماً، وإن التوسل بهم يمثل عقيدة متأصلة في الفكر الشيعي، وإن ولايتهم لا تتم ومحببتهم لا تخلص إلا بالبراءة من أعدائهم.
٣. إن المعالم والمقومات المتقدمة وإن تم بيانها والاستدلال عليها من خلال زيارات الإمام الحسين عليه السلام، إلا أنها ذات أصول قرآنية وروائية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ)، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢. إقبال الأعمال، علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣. الأمالي، محمد بن علي بن بابويه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، دون (ط. ت).



٥ . بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، السيّد محسن الخزازي (معاصر)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ.

٦ . تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٧ . تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسين بن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٨ . تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العيّاشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: الحاج السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

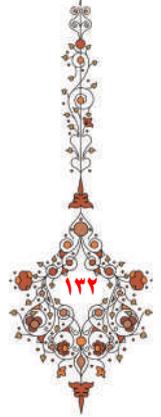
٩ . تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٠ . جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملّيين، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١١ . الخصال، محمد بن علي بن بابويه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، ١٤٠٣هـ/١٣٦٢ش.

١٢ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، منشورات دار الفكر، بيروت.

١٣ . دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (ت ق ٤)، منشورات: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.



- ١٤ . دلائل الصدق لنهج الحق، محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى.
- ١٥ . ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، مؤسسة الأعلمي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ١٦ . الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين بن نور الدين علي الجبعي العمالي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، منشورات جامعة النجف الدينية.
- ١٧ . شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن عبد الله الحسكاني (ت ق ٥)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ١٨ . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٩ . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م
- ٢٠ . فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، إبراهيم بن محمد الجويني (ت ٧٣٠هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، منشورات مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢١ . القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.



٢٢. القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد، السيّد شهاب الدين المرعشي (ت ١٤١١هـ)، مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي رحمته، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٢٣. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، ترجمة وشرح: السيّد هاشم رسولي، انتشارات علميّه اسلاميه.
٤٢. كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت ٧٦هـ)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، دليل ما، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ١٣٨٠ش.
٢٥. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبط وتصحيح وترتيب: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٦. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة، ١٤٠٥هـ.
٢٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، الحواشي: ليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٨. مجلّة البيان، مجلّة إسلامية شهرية جامعة، تصدر عن المنتدى الإسلامي.
٢٩. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرسالة، لبنان - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٠. محاضرات في الاعتقادات، السيّد علي الميلاني (معاصر)، مركز الأبحاث العقائدية، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣١ . مختصر مفيد، جعفر مرتضى العاملي (معاصر)، المركز الإسلامي للدراسات،
الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.

٣٢ . المراجعات، السيّد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق: حسين
الراضي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م.

٣٣ . المزار، محمد بن جعفر المشهدي (ت ق ٦)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني،
نشر القيوم، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٤ . مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر:
مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، لبنان - بيروت، الطبعة الثانية،
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.

٣٥ . المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري
(ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،
الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م.

٣٦ . مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،
وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي،
مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م.

٣٧ . مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أحمد بن عمرو (ت ٢٩٢هـ)،
تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى،
١٩٨٨ م.

٣٨ . مصباح المتهجّد، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسّسة
فقه الشيعة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.

٣٩ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ)،
المكتبة العلمية، بيروت.

٤٠ . المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن
عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.



- ٤١ . معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- ٤٢ . المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية.
- ٤٣ . معجم تصحيح لغة الإعلام العربي، الدكتور عبد الهادي أبو طالب، المكتبة الشاملة، د (ط ت).
- ٤٤ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ٤٥ . مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- ٤٦ . مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي (ت حدود ٣٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٤٧ . موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي الفاروقي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٤٨ . نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة في بيروت، مقال تحت عنوان: لاهوت الرحمة في ضوء الفردانية/ جدلية الماهية والهوية، للكاتب: أ. بدر بن سالم بن حمدان العبري، العدد: ٣٣٨، سبتمبر ١٤، ٢٠٢٣م.

المواقع الإلكترونية

الزيارة/ <https://ar.wikishia.net/view>. 49

آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام في روايات أهل البيت عليهم السلام
والإشكالات المثارة حولها

الشيخ ماهر الحكّاك
باحث إسلامي، من العراق

**The Effects of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)
From the Narrations of the Household (PBUT)
and the Raised Problematics**

Shaykh Maher al-Hakkak
Islamic Researcher – Iraq

ملخص البحث

تضمّنت روايات أهل البيت عليهم السلام الواردة في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام مجموعة كبيرة من الآثار المادّية والمعنوية المترتبة على الزيارة، الأمر الذي جعلها متميِّزة عمّا يترتّب من الآثار على غيرها من العبادات الأخرى، مندوبةً كانت أو واجبة، لذا قدّم هذا البحث عرضاً لتلك الروايات، معتمداً المنهج الاستقرائي التحليلي لمتونها، مبيناً بعض مفرداتها التي تُوهم الالتباس والإشكال، معالجاً نقطتين مهمّتين، الأولى ما يُثار حول كثرة الآثار وتنوّعها في الزيارة المستحبّة، وهو ما لا يوجد في كثير من الواجبات فضلاً عن المستحبّات. والثانية كثرة ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، الذي يزيد على ثواب الحجّ، وما ورد في أفضليّتها في ذلك اليوم على الحجّ.

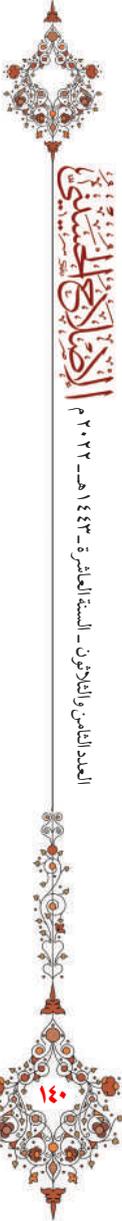
الكلمات المفتاحية: الزيارة، الأثر، المادّي، المعنوي.

Abstract

The received narrations from the Household (PBUT) reporting on the merits of visiting Imam al-Husayn (PBUH) contain a great amount of both material and spiritual effects from visiting the Imam (PBUH). This fact distinguishes visiting from other worships, whether obligatory worship or recommendable.

Hence, this study presents these narrations and applies the statistical analytical method to their text, while clarifying some connotations that might appear problematic. The study also deals with two important topics. The first is the multitude of the effects of the recommended visitation and their diversity. Such effects on a large scale do not exist even within obligatory worship. The second is the great rewards for visiting Imam al-Husayn (PBUH) on the Day of Arafah, which exceeds even the rewards of Hajj. Reports also mention that the Ziyara on this day is more preferred than the Hajj.

Keywords: Ziyara, effects, material, spiritual.



المقدمة

ندب الشارع المقدّس إلى أمور عديدة تصبّ في صالح العبد في الدنيا والآخرة، منها زيارة قبور الأئمة عليهم السلام؛ لترتّب آثار مهمّة عليها، نفسية وسلوكية وعقائدية وغيرها، فالزيارة سكينة للنفس، خصوصاً عندما تكون عن قرب؛ حيث يستشعر الزائر في قلبه التواصل مع صاحب القبر ومآثره وفضائله. وهي في السلوك تُهيئ المؤمن لذلك اليوم الذي سيُقبر فيه؛ إذ يتمثّل الموت أمامه فيؤوب إلى الله تعالى بملاحظة سلوكه وتصرفاته.

وأما من الناحية العقديّة فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحُسن الأداء، زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاء لهم يوم القيامة»^(١).

فزيارة المراقد المطهّرة للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من تمام الوفاء بالعهد، وهي ممارسة عبادية أجازتها الشريعة السمحاء؛ لاشتغالها على مصالح تعود على الزائر والمجتمع كلّ بحسبه.

وزيارة الإمام الحسين عليه السلام تشتمل على خصوصيّات وآثار مادّية ومعنوية، دنيوية وأخروية، كشفت عنها روايات أهل البيت عليهم السلام، ورغبت فيها وحثت عليها، ف«عن عبد الله بن مسكان، قال: شهدت أبا عبد الله عليه السلام وقد أتاه قوم من أهل خراسان، فسألوه عن إتيان قبر الحسين عليه السلام وما فيه من الفضل؟ فقال: حدّثني أبي، عن جدّي أنّه كان يقول: من زاره يُريد به وجه الله، أخرجه الله من ذنوبه كمولود ولدته أمّه، وشيعته الملائكة في مسيره، فرفرت على رأسه، قد صفّوا بأجنحتهم عليه، حتى يرجع إلى أهله،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٦٧.



وسألت الملائكة المغفرة له من ربّه، وغشيتة الرحمة من أعنان السماء، ونادته الملائكة: طبت وطاب من زُرت. وحُفظ في ماله وأهله»^(١).

وعلى العكس من ذلك، فقد ذمّت بعض الروايات من ترك الزيارة مع القدرة عليها، فعن علي بن ميمون الصائغ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يا علي، بلغني أنّ قوماً من شيعتنا يمرّ بأحدهم السنة والستنان لا يزورون الحسين بن علي عليه السلام. قلت: جُعلت فداك، إنّّي أعرف كثيراً من الناس بهذه الصفة. قال: أما والله، لحظّهم أخطأوا، وعن ثواب الله زاغوا، وعن جوار محمد صلى الله عليه وآله تباعدوا»^(٢).

ثمّ لا ينبغي التردّد في أنّ كلّ عمل من أعمال الخير سواء على مستوى الفرد أم الجماعة، يختلف من حيث الثواب وترتّب الآثار - آنية ومستقبلية، مادّية ومعنوية - باختلاف مراتب إخلاص العامل ومعرفته وتقواه، وسائر الشرائط الأخرى التي توجب كمال العمل ونقصانه، فإنّنا نتملّس تكثّر الآثار المترتّبة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام وتنوّعها عندما نُطالع روايات أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمون، ولذا نرصد مبالغة الرسول صلى الله عليه وآله في بيان فضل تلك الزيارة لزوجته عائشة، ف«عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان الحسين عليه السلام ذات يوم في حجر النبي صلى الله عليه وآله يُلاعبه ويُضحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما أشدّ إعجابك بهذا الصبي؟! فقال لها: ويلك ويلك! وكيف لا أحبّه ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي، وقرّة عيني! أما إنّ أمّتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجّة من حجّتي. قالت: يا رسول الله، حجّة من حجّتك؟! قال: نعم، وأربعاً. قال: فلم تزل تزيده وهو يزيد ويضعف حتى بلغ سبعين حجّة من حجّج رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمارها»^(٣).

(١) القمّي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٢٢٥.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٦٦٨.

وهناك روايات كثيرة وردت عن الأئمة عليهم السلام تؤكد ذلك؛ ولعل السر فيه يرجع لما قاله العلامة المجلسي، وهو: «اختلاف الأشخاص والأعمال، وقلة الخوف، والمسافة [أي: بين الزائر وقبر الإمام الحسين عليه السلام] وكثرتهما»^(١).

وقد اعتمدنا في بيان الآثار المترتبة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام على ذكر الأثر والتدليل عليه من عدة روايات تارة، أو من رواية واحدة أخرى، أو من مقطع من رواية ثالثة، مع ذكر بيان مختصر له، وبيان ما أشكل في فهم بعض مفرداته، دون الخوض في المباحث السنديّة؛ مواكبين من كتب في الترغيب وثناب الأعمال على اختلاف مذاهبهم؛ فقد عمدوا إلى الجمع بين الأحاديث التي تُرغّب الناس في فعل الخير، وأداء المستحبات التي تجلب آثارها النفع للإنسان، دون التطويل في بحث أسانيدها؛ وذلك للاطمئنان بصدور أغلبها تبعاً لمنهج الوثوق بالأخبار، أو اشتغالها على روايات معتبرة، وبه يتحقق الغرض، ومن ذلك الحضور للزيارة، وفي كل زمان ومكان، ومن كل إنسان على اختلاف توجهات الناس وأصنافهم.

المبحث الأول: تعريف المفاهيم الواردة في العنوان

أولاً: الزيارة

الزيارة في اللغة: هي العدول عن جانب والميل إلى جانب آخر، قال ابن فارس: الزور أصل واحد يدلّ على الميل والعدول، ومن هذا الباب الزائر؛ لأنه إذا زارك فقد عدل عن غيرك^(٢).

ويظهر من غيره أنّه بمعنى القصد، وهو لا يُخالف ما سبق؛ لأنّ الميل إلى جانب لا ينفك عن القصد، قال الطريحي: «زاره يزوره زيارةً: قصده، فهو زائر. يقال... من زار أخاه في جانب المصر، أي قصده... وفي الدعاء: اللهم اجعلني من زوّارك... إني من

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤٤.

(٢) أنظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٣٦.



القاصدين لك، الملتجئين إليك... والزيارة في العرف: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً واستثناساً به»^(١).

ويظهر من ذيل كلامه أن معناها ليس مجرد القصد، بل القصد المنتهي إلى حضور الزائر لدى المزور لإحدى الغايات المذكورة، من التكريم والتعظيم والاستثناس به^(٢). وعرف السيد محسن الأمين الزيارة قائلاً: «الزيارة هي الحضور الذي هو عبارة عن المجيء إليه عليه السلام، سواء كان لطلب الاستغفار، أو بدونه»^(٣). فحدّد الزيارة بالحضور المقصود.

إذاً؛ حقيقة الزيارة هي وجدان الزائر نفسه بين يدي المزور، فيراعي أدب المكان، ويستحضر حالة الخطاب كما لو كان مع الحي، وهو مقتضى النص: «أشهد أنك تسمع الكلام، وتردّ الجواب»^(٤)، الوارد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: الأثر

الأثر يأتي - بفتح الثاء - بمعنى: بقية الشيء، ويُجمع على آثار وأثور^(٥). وقال ابن فارس في «باب الهمزة والثاء وما يثلثها»: أثر: الهمزة والثاء والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي... قال الخليل: والأثر بقية ما يُرى من كل شيء، وما لا يُرى بعد أن تبقى فيه علقه... قال الخليل: والأثر الاستقفاء والاتباع، وفيه لغتان: أثر، وإثر»^(٦).

(١) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٠٥.

(٢) أنظر: السبحاني، جعفر، الزيارة في الكتاب والسنة: ص ٧٣.

(٣) الأمين، محسن، كشف الارتياح في أتباع محمد بن عبد الوهاب: ص ٧٥١-٧٥٢.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٣٣٠.

(٥) أنظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣١٣.

(٦) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٥٣-٥٤.

المعنوي والمادّي: المعنوي: اسم منسوب إلى معنى، ما يتصل بالذهن والتفكير، كفكرة الحقّ والواجب، ولا يكون للسان فيه حظّ، وعكسه مادّي^(١).

ومنه يظهر أنّ الأثر المادّي ما يتعلّق بالمحسوس والمادّة، والمعنوي ما يتعلّق بالروح والنفس، فلا تُدرّكه الحواسّ، وإنّما تحسّ النفس به. وتحصّل ممّا تقدّم أنّ الأثر هو ما يبقى من الشيء أو العمل، أو ما يلحقها، أو ما يلازمها، سواء كان مادّيّاً أم معنويّاً؛ بسبب العلاقة بين الشيء وأثره.

المبحث الثاني: آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام المادّية

لا ينبغي الشكّ أو التردّد في أنّ جميع ما ورد - وما سنورده - من آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام، يخضع لقانون وجود المقتضي وارتفاع المانع كي يتحقّق الأثر المذكور في الروايات، لكن يمكن القول بأنّ أثر الخلاص من النار المترتّب على زيارته عليه السلام فاق فضائل العبادات من هذه الناحية؛ فإنّه وإن تحقّق بعض الموانع من تأثير بعض الآثار التي ورد ذكرها في الأخبار، لكنّ هذا لا يمنع من كلّ تأثيراتها، ومن أهمّها هو الخلاص من النار؛ تبعاً لمبدأ إن زلتّ لعبيدٍ قدمٌ ثبتت أخرى^(٢).

فعن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «مَنْ زارني في حياته زرتُه بعد وفاته... وإن وجدته في النار أخرجته»^(٣). وهو تعبير واضح عن آخر محطات العبد الزائر، وأثر الزيارة اللاحق له لتخليصه من النار.

وفيما يأتي عرض سريع لما استقرّأناه من تلك الآثار:

١. الحفظ في النفس والأهل

من الأمور المهمّة التي يسعى الإنسان لتوفيرها في حياته هي حفظ نفسه والمقرّبين منه؛ ليطمئنّ نفسياً، وهو ما ينعكس تأثيره غالباً على العبادة والصحة والمعاش.

(١) أنظر: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: ج ٢، ص ٥٦٧.

(٢) أنظر: الكوفي، ابن عقدة، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ص ١٠١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٦.



ولأجل تحقيق هذا الأمر المهم واستمراره يبذل الغالي والنفيس، وأن واحداً من الأعمال التي تؤمنه هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام، بل هو الحد الأدنى الذي يجبى به زائر الإمام الحسين عليه السلام كرامة له، فقد روي «عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جُعلت فداك، ما أدنى ما لزائر قبر الحسين عليه السلام؟ فقال لي: يا عبد الله، إن أدنى ما يكون له أن الله يحفظه في نفسه وأهله حتى يرده إلى أهله...»^(١).

والحفظ عنوان واسع ينطبق على مصاديق كثيرة، فهو يشمل كل أنواع الحفظ، ومنها الحفظ من الشيطان وشروره، وهناك أنواع منه ذكرتها رواية محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام؛ فإن زيارته تدفع الهدم، والغرق، والحرق، وأكل السبع. وزيارته مفترضة على من أقر للحسين بالإمامة من الله عز وجل»^(٢).

٢. أيام زائر الحسين عليه السلام لا تُعد من العمر

رصيد الإنسان في الدنيا أنفاسه المتصرّمة، فالعاقل - بقطع النظر عن دينه - يسعى لاستغلالها بأفضل صورة لتحقيق متطلّباته وأهدافه التي رسمها لحياته، وقد يبذل كل ما بوسعه لأن يطول عمره؛ ليحقّق مغانم أخرى أقلّها التّعمّ بالحياة. وزيارة الإمام الحسين عليه السلام تؤمّن هذا الجانب؛ فأنّه قد ورد هذا المضمون في روايات أهل البيت عليهم السلام، وفي هذا الصدد نقل روايتين:

الأولى: روى الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ أيام زائري الحسين عليه السلام لا تُعدّ من آجالهم»^(٣).

الثانية: عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان في زيارة الحسين عليه السلام: «... لا تُعدّ أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره»^(٤).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٠٦.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٣.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٢٣.

ما المراد من (لا تُعدّ أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره)؟

١- المتبادر أنّ الله سبحانه يزيد عمر زائر الإمام الحسين عليه السلام بقدر أيام زيارته، ويؤيّده ما في (التهذيب) عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «مروا شيعتنا بزيارة الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مصارع السوء»^(١).

وفي حديث آخر في فضل زيارته عليه السلام، قال: «مَنْ أتى عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السلام نقص الله من عمره حولاً، ولو قلت: إنّ أحدكم يموت قبل أجله بثلاثين سنة، لكنت صادقاً؛ وذلك أنّكم تتركون زيارته، فلا تدعوها يمدّ الله في أعماركم، ويزيد في أرزاقكم، وإذا تركتم زيارته نقص الله من أعماركم وأرزاقكم، فتنافسوا في زيارته»^(٢). ومثل الحديثين المتقدمين هناك أحاديث أخرى كثيرة متفرقة في كتب الحديث، وهي واضحة الدلالة على ما ذكر من أنّ الله يزيد عمر زائر الإمام الحسين عليه السلام بقدر زيارته ذهاباً وإياباً، وأنّ تركها يوجب نقصان عمره.

٢- يُحتمل أن يكون المراد أنّ زائره عليه السلام لا تُكتب عليه الذنوب في تلك المدة التي يزوره عليه السلام فيها، ولا يُحسب ما انتفع به فيها من رزقه المقدر له؛ فكأنّها ليست من عمره؛ لعدم مؤاخذته بالذنوب، فيكون تعبيراً مجازياً، لكنّ الحقيقة مقدّمة، فيتعيّن الحمل عليها مع الإمكان وإن كانت هناك أحاديث تدلّ على أنّه لا يُكتب عليه الذنوب تلك المدة أيضاً^(٣).

٣. زيادة الرزق والأمن من الفقر

عن محمد بن حكيم، عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام في السنة ثلاث مرّات أمن من الفقر»^(٤).

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٣.

(٣) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، الفوائد الطوسية: ص ٤٥٩-٤٦٠.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٠٦.



وعن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإن إتيانه يزيد الرزق، ويمد في العمر، ويدفع مدافع السوء. وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر له بالإمامة من الله»^(١).

وعن الحلبي، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه، قال: «من زاره كان الله له من وراء حوائجه، وكفي ما أهمته من أمر دنياه، وإنه يجلب الرزق على العبد...»^(٢).
وعنه عليه السلام أيضاً: «زوروا الحسين عليه السلام ولو كل سنة؛ فإن كل من أتاه عارفاً بحقه غير جاحد، لم يكن له عوض غير الجنة، ورزق رزقاً واسعاً، وأتاه الله بفرج عاجل»^(٣).
ودلالاتها على الرزق وزيادته صريحة؛ بل وصف الرزق بأنه واسع، وهو إشارة إلى الأمن من الفقر.

٤. البركة في الحياة بشكل مطلق

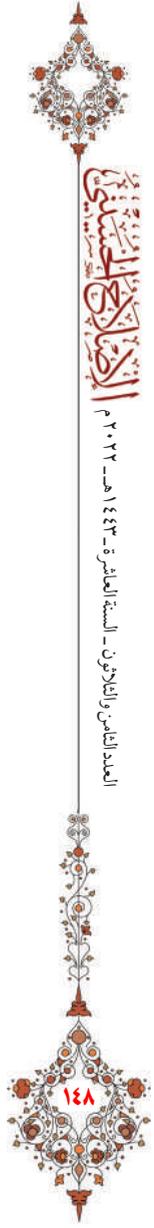
«عن محمد بن إسماعيل، عن الحيري، عن موسى بن القاسم الحضرمي، قال: ورد أبو عبد الله عليه السلام في أول ولاية أبي جعفر، فنزل النجف، فقال: يا موسى، اذهب إلى الطريق الأعظم فقف على الطريق، فانظر؛ فإنه سيحيئك رجل من ناحية القادسية، فإذا دنا منك فقل له: هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك، فيجى معك.

قال: فذهبت حتى قمت على الطريق، والحر شديد، فلم أزل قائماً حتى كدت أعمى وانصرف وأدعه، إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير، قال: فلم أزل أنظر إليه حتى دنا مني، فقلت له: يا هذا، هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك، وقد وصفك لي. قال: اذهب بنا إليه. قال: فجئتته حتى أناخ بعيره ناحية قريباً من الخيمة. قال: فدعا به، فدخل الأعرابي إليه، ودنوت أنا فصرت باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهما.

(١) المصدر السابق: ص ٨٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٦.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٥.



فقال أبو عبد الله عليه السلام: من أين قدمت؟ قال: من أقصى اليمن.

قال: فأنت من موضع كذا وكذا؟ قال: نعم، أنا من موضع كذا وكذا.

قال: فما جئت هاهنا؟ قال: جئت زائراً للحسين عليه السلام.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فجئت من غير حاجة إلا الزيارة؟ قال: جئت من غير حاجة،

ليس إلا أن أصلي عنده، وأزوره، وأسلم عليه، وأرجع إلى أهلي.

قال أبو عبد الله عليه السلام: وما ترون من زيارته؟ قال: نرى في زيارته البركة في أنفسنا

وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعاشنا، وقضاء حوائجنا.

قال: فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا أبا اليمن؟ قال: زدني

يا بن رسول الله.

قال: زيارة أبي عبد الله عليه السلام تعدل حجة مقبولة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فتعجب من ذلك!

فقال: إي والله، حجّتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فتعجب من

ذلك!

فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

فالإمام عليه السلام قد أقرّ الرجل اليماني على ما يقوله وزاده عليه قائلاً: أفلا أزيدك من

فضله فضلاً يا أبا اليمن؟

إنّ في هذه الرواية نكتة مهمة عدّها التستري في فضائل زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الخاصّة، تحت عنوان الجهة السادسة من جهات زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهي أنّه

يُدرّك بها ما يستحيل وقوعه، وهو ثواب الحجّ مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٩٣-٩٤.

(٢) أنظر: التستري، جعفر، الخصائص الحسينية: ص ٢٧٨.



إلى هنا نكتفي بذكر هذا العدد من الآثار المادّية المترتّبة على زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ وذلك طلباً للاختصار، ومَن أراد الاستزادة فعليه مراجعة ما ذكره المحدثون من الأخبار في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

المبحث الثالث: آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعنوية

إنَّ ورود الآثار المعنوية المترتّبة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام أكثر من ورود الآثار المادّية فيها؛ لأنَّ الزيارة عبادة، والجزاء الأوفر للعبادات عادة ما يكون معنوياً، من قبيل ترتّب الثواب، والوعد بالجنّة، وغيرهما من الهبات الإلهية. ولزيارة الإمام الحسين عليه السلام آثار معنوية كثيرة، ينال الزائر بعضها في الحياة الدنيا، وبعضها الآخر الأكثر ذخره الله تبارك وتعالى له في الآخرة ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(١).

١. غفران الذنوب والطهارة المعنوية

جعل الله سبحانه وتعالى محطات في الحياة الدنيا يتزوّد منها عباده المؤمنون بالطاقة المعنوية والروحية - كالصلاة^(٢)، والصيام^(٣)، والحجّ^(٤) - لتطهير ما علق بالنفوس من

(١) الضحى: الآية ٤.

(٢) وشبّها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة - بالفتح - وهي كلّ عين تنبع بالماء الحارّ يُستشفى بها من العلل، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن. أنظر: نهج البلاغة (خطب الإمام علي)، شرح محمد عبدة: ج ٢، ص ١٧٩.

(٣) «عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن صام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدّم من ذنبه». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ١٧.

(٤) «عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لقيه أعرابي فقال له: يا رسول الله، إنّي خرجت أريد الحجّ، ففاتني وأنا رجل ميل، فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحجّ. قال: فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أنظر إلى أبي قبيس، فلو أنّ أبا قبيس لك ذهبة حمراء أنفقتها في سبيل الله ما بلغت به ما يبلغ الحجّ. ثمّ قال: إنّ الحجّ إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلّا كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر

أوساخ الحياة الدنيا وأدرانها وآثامها، ومن أهمّ المحطّات التي نذبت لها الشريعة في هذا المضمون هي زيارة الحسين عليه السلام؛ فإنّ لها تأثيراً خاصّاً على روح الإنسان وطهارتها، فهي سبب غفران الذنوب؛ لأنّ الزائر بعد أدائه الزيارة يكون كيوم ولدته أمّه، فعن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ اغتسل بماء الفرات، وزار قبر الحسين عليه السلام، كان كيوم ولدته أمّه صفرًا من الذنوب ولو اقترفها كبائر...»^(١).

فمَنْ يزور الإمام الحسين عليه السلام تُغفر له ذنوبه، وهذا معنى آخر عن الطهارة المعنوية التي تتحقّق له في الدنيا، ويستحقّ الجنّة في الآخرة.

وفي بعض الأخبار قيّد هذا الأثر بكون الزائر عارفاً بحقّ الإمام المזור، فعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه قال: «أدنى ما يُثاب به زائر أبي عبد الله بشطّ الفرات، إذا عرف حقّه وحرّمته وولايته، أن يُغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»^(٢).

وروي عن الصادقين عليهما السلام أنّهما قالوا: «إذا كان ليلة النصف من شعبان، نادى منادٍ من الأفق الأعلى: زائري قبر الحسين بن علي، ارجعوا مغفوراً لكم، ثوابكم على ربّكم، ومحمد نبيّكم»^(٣).

إنّ الرواية الأخيرة وصفت ثواب زائري قبر الإمام الحسين عليه السلام بأنّه على الله (ثوابكم على ربّكم)، وهنا يُطرح السؤال التالي: هل هناك ثواب على غير الله؟

درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفّاً ولم يضعه إلّا كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، فإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه، فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه. قال: فعُدّد رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا موقفاً إذا وقفها الحاجّ خرج من ذنوبه، ثم قال: أنّى لك أن تبلغ ما يبلغ الحاجّ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ولا تُكتب عليه الذنوب أربعة أشهر، وتُكتب له الحسنات، إلّا أن يأتي بكبيرة». الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ١٩-٢٠.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٤٢.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ج ١، ص ٣٢٦.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، مسار الشيعة: ص ٦٢.





الجواب: المراد أن الله تبارك وتعالى يتفضل على الزوار بنفسه وبنبيه دون ملائكته؛ فإن الكريم إذا فوّض إلى وكلائه أمر العطاء فربّما يُتسامح في العطايا، بخلاف ما لو توجه هو بنفسه؛ فإنه حينئذٍ يجزل في العطاء، وكذا رسول الله ﷺ بحسب شفقتة على أمته^(١).

فائدة

قيدت بعض أحاديث الزيارة المتقدمة ترتب الأثر عليها بجملة: (عارفاً بحقه)، فما المقصود منها؟

الجواب: إن المعرفة هي أساس الاعتقادات، وهي معلومات يُعقد عليها القلب؛ لحبه ومعرفة إيّاه، وفقرة: (من زار الحسين ﷺ عارفاً بحقه) تأكيد على نهج إلهي بثه أهل البيت ﷺ في روايات الزيارة، فهي ليست مجرد شعارات، وإنما اعتقاد قلبي بالزور؛ فإن الزائر لا يقتصر في زيارته على حضوره عند مشهد المزور وقراءة فقرات الزيارة فحسب، أو أن يكتفي بمعرفة إمامه معرفة إجمالية، وإنما يعتقد أنه يزور إماماً معصوماً مفترض الطاعة على العباد، وأنه غريب وشهيد ومظلوم؛ فإن معرفة ذلك من أفضل القربات، وتزيد في أجر الزيارة وآثارها، وأهونها غفران ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر^(٢).

وورد في بعض الأخبار معنى آخر لتفسير جملة: (عارفاً بحقه)، فقد روى ابن قولويه في (كامل الزيارات) بسنده عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «من زار الحسين ﷺ عارفاً بحقه، يأتّم به، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٣). فإن ظاهر قوله ﷺ: (يأتّم به) هو أتباعه ﷺ والاقتراء به، فلا يكفي الاعتقاد والزيارة في ترتيب الأثر، وهذا هو المسلك الحق؛ لأن العمل جزء من الإيمان كما في الحديث عن الإمام

(١) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ج ٥، ص ٢٨٧.

(٢) أنظر: الشهرستاني، علي، عارفاً بحقكم: ج ١، ص ٢٩-٣٠.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٤.

الرضا عليه السلام: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»^(١).

فالمعرفة عامل رئيس في حركة الإنسان، ترسم حدود الأشياء، فعبارة: (مَنْ زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه)، تتحدّث عن الوصف العامّ للمؤمن الزائر، لا عن وصفه في وقت الزيارة فقط؛ لأنّ انتهاج سبيل المعرفة لا يكون طارئاً آتياً، وإنّما هو بإعداد وتهيئة واسعة ومتواصلة لأجل الثبات والدوام، فمن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه؛ إنّما يُراد منه الوصف المستقرّ لا الوصف الذي يُستعار لسويّعات التواجد في كربلاء، أي الذي لا ينقضي بانقضاء قراءة فقرات الزيارة، وهذا ما أكّده الأحاديث، ومنها ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام: «شيعتنا مَنْ تابعنا ولم يُخالفنا»^(٢).

٢. الكون في الجنّة في الحياة الدنيا

يتطلّع المؤمنون في دار الآخرة إلى دخول الجنّة، ويسعون إلى تحقيق هذا الهدف المنشود خلال السنين التي يعيشونها في دار الدنيا. فهل يمكن لأحد أن يدخل الجنّة وهو في دار الدنيا؟

الجواب: نعم، يتحقّق ذلك بزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ تُعدّ البقعة الجغرافية التي تُعرف بـ(كربلاء) بقعة من بقاع الجنّة، وأيّام يوم القيامة تُزفّ إلى الجنّة، وتبقى أشرف بقعة فيها، قال النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل: «... أتى جبرئيل وأوماً إلى الحسين عليه السلام، وقال: إنّ سبطك هذا مقتول في عصابة من ذريّتك وأهل بيتك وأخيار من أمّتك بضمّة الفرات، بأرض تُدعى كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريّتك، في اليوم الذي لا ينقضي كربّه، ولا تفتني حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وإنّما لمن بطحاء الجنّة...»^(٣).

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٠٥.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ٧٦.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٤.



وروى الصدوق في (مَنْ لا يحضره الفقيه)، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «موضع قبر الحسين عليه السلام منذ يوم دُفن فيه روضة من رياض الجنة». وقال عليه السلام أيضاً: «موضع قبر الحسين عليه السلام ترعة من ترع الجنة»^(١).

٣. مصافحة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والملائكة

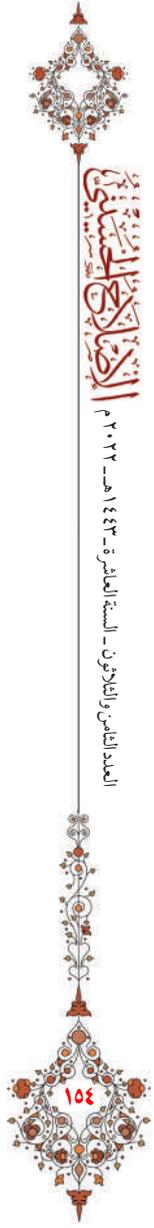
عن الثمالي، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُصَافِحَهُ مِائَةَ أَلْفِ نَبِيٍّ، وَأَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ أَلْفِ نَبِيٍّ، فَلْيَزِرِ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ؛ فَإِنَّ أَرْوَاحَ النَّبِيِّينَ يَسْتَأْذِنُونَ اللَّهَ فِي زيارته فَيَأْذِنُ لَهُمْ، فَطُوبَى لِمَنْ صَافِحَهُمْ وَصَافِحُوهُ...»^(٢). وعن الإمام الجواد عليه السلام: «مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ... صَافِحَهُ رُوحَ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفِ مَلِكٍ وَنَبِيٍّ، كُلَّهُمْ يَسْتَأْذِنُ اللَّهَ فِي زيارَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ»^(٣).

فائدة: ما المراد من مصافحة الأنبياء عليهم السلام؟

مما لا ينبغي الشك فيه أنّ المصافحة هنا ليست بمعناها المتبادر، بل هي كناية عن لطف من الأنبياء عليهم السلام والملائكة، وإحسان منهم للزائر بدعائهم له كرامة للإمام الحسين عليه السلام، ويمكن للمتأمل في ذلك أن يكتشف مجموعة من الدلالات، منها:

- ١ . الدلالة على تجديد العهد بالاعتقاد والإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وفي مقدمتهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
- ٢ . الدلالة على الرحمة الإلهية التي يحصل عليها الزائر في ذلك الموقف، فقد ورد في (الكافي): «عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُوَصِّفُ، وَكَيْفَ يُوَصِّفُ وَقَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٤)!؟»

(١) الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧٩.
 (٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١١، ص ٥٨.
 (٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٣٨٣.
 (٤) الأنعام: الآية ٩١.



فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك... والمؤمن لا يوصف، وإنّ المؤمن
 ليلقى أخاه فيصافحه فلا يزال الله ينظر إليهما...»^(١).
 فمصافحة الزائر لأرواح الأنبياء عليهم السلام - ومنهم أولي العزم - موجبة لنظر الله بالرحمة،
 ومن ينظر إليه الله عز وجل بالرحمة لا يُعذّبه، فتكون مصافحة الأنبياء عليهم السلام موجبة لرحمة الله
 بالزائر.

٣. الدلالة على الطهارة المعنوية من الذنوب، التي يحصل عليها الزائر من
 مصافحته أرواح الأنبياء عليهم السلام، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لقي النبي صلى الله عليه وآله حذيفة،
 فمدّ النبي صلى الله عليه وآله يده، فكفّ حذيفة يده، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا حذيفة، بسطت يدي
 إليك فكففت يدك عني؟ فقال حذيفة: يا رسول الله، بيدك الرغبة^(٢)، ولكنني
 كنت جنباً فلم أحب أن تمسّ يدي يدك وأنا جنب. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما تعلم أنّ
 المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر»^(٣).

٤. حسن العاقبة والخاتمة

عن الريّان بن شبيب، عن الرضا عليه السلام في حديث أنّه قال له: «يا ابن شبيب، إن
 سرّك أن تلقى الله ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام»^(٤).
 وعن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام: «... أما تُحبّ أن تكون غداً فيمن يخرج
 وليس له ذنب فيُتبع به»^(٥).

٥. الاطمئنان إلى العقائد الحقّة

إنّ العقائد من أهمّ الأمور التي يجب على الإنسان الاهتمام بها، والاستدلال

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) «أي: يرغب جميع الخلق في مصافحة يدك الكريمة». المصدر السابق: ص ١٨٣. (الهامش).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٠٣.

(٥) المصدر السابق: ص ٩.



عليها بالأدلة القطعية، وتحقيقها في نفسه؛ وذلك لترتب العبادات عليها، ولا يُقبل عمل عبد إلا مسبقاً أو مقروناً باعتقاد.

ومّا يورث الاطمئنان إلى العقائد ويرفع الشبهات هي زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وخصوصاً في يوم عرفة، ويمكن أن يُستفاد ذلك من روايتين:

الأولى: عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة... وسماه الله عز وجل عبدي الصديق، آمن بوعدي. وقالت الملائكة: فلان صديق، زكاه الله من فوق عرشه، وسُمّي في الأرض كرباً»^(١).

عبارة: (وسماه الله عز وجل عبدي الصديق، آمن بوعدي. وقالت الملائكة: فلان صديق، زكاه الله من فوق عرشه، وسُمّي في الأرض كرباً)، تضمّنت عدّة أمور، وهي: تسمية الله تعالى الزائر بـ: (عبدي) فيه إشارة إلى التوحيد. ووصفه بالصديق والإيمان بوعده الله فيه إشارة إلى الإيمان بالمعاد الذي جاء على لسان النبي صلى الله عليه وآله في القرآن، فهو مؤمن بالتوحيد والنبوة والمعاد. إضافة إلى تزكية الله له من فوق عرشه، وشبّهه بالملائكة الكروبيين الذين هم سادة الملائكة، فكأنّها صار من سادة أهل الأرض.

الثانية: عن داود الرقي، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام وأبا الحسن الرضا عليه السلام وهما يقولان: مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام بعرفة قلبه الله ثلج الفؤاد»^(٢). و«ثلج الفؤاد، أي: مطمئن القلب، ذا يقين في العقائد الإيمانية»^(٣).

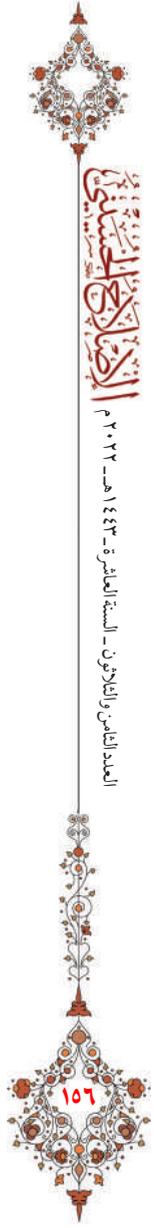
٦. دعاء النبي وأهل بيته والملائكة عليهم السلام للزائر

من المعلوم أنّ دعاء النبي وأهل البيت عليهم السلام، والرحمة التي يطلبونها لزائر الإمام الحسين عليه السلام واسعة وشاملة، تترتب عليها آثار ومنافع جمّة، ورواية الثقة معاوية بن

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢١.

(٢) المصدر السابق: ص ٣١٧.

(٣) المصدر السابق: (الهامش).



وهب الآتية تشتمل على مجموعة من الآثار المادّية والمعنوية معاً، لكننا أوردناها هنا؛ لأنّ جلّ ذكرها ورد في الآثار المعنوية، كالدعاء، والترحم، ومصافحة الملائكة والرسول ﷺ للزائر.

والرواية هي: «عن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام، فقيل لي: ادخل. فدخلت، فوجدته في مصلاه، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربّه، وهو يقول: ... اغفر لي ولأخواني، وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام... واكلاًهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف... وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وأقربائهم.

اللهمّ إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، خلافاً منهم على من خلفنا، فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلّب على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا.

اللهمّ إنّ استودعك تلك الأبدان، وتلك الأنفس حتى توافيهم من الحوض يوم العطش... يا معاوية، من يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض»^(١).
وعنه عليه السلام أيضاً: «يا معاوية، لا تدع زيارة الحسين عليه السلام لخوف؛ فإنّ من تركه رأى من الحسرة ما يتمنى أنّ قبره كان عنده، أما تحبّ أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والأئمّة عليهم السلام؟ أما تحبّ أن تكون ممّن ينقلب بالمغفرة لما مضى، ويغفر لك ذنوب سبعين سنة؟ أما تحبّ أن تكون ممّن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب تُتبع به؟ أما تحبّ أن تكون غداً ممّن يصافحه رسول الله ﷺ؟»^(٢).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٣٠.



فلو لم يكن في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام والآثار المترتبة عليها إلا هاتان الروايتان وما سبقهما لكفى.

٧. القرب الإلهي

ورد في الأخبار أنّ مَنْ زار الإمام الحسين عليه السلام بغير وقت مخصوص، فكأنّما زار الله في عرشه، وورد ترتّب هذا الأثر نفسه أيضاً على بعض الزيارات المخصوصة، كزيارة يوم عاشوراء، فعن الحسين بن محمد القمّي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: «مَنْ زار قبر أبي عبد الله بشطّ الفرات، كان كَمَنْ زار الله فوق عرشه»^(١).

وعن زيد الشحام، عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: «... ومَنْ زاره [أي: الإمام الحسين عليه السلام] يوم عاشوراء، فكأنّما زار الله فوق عرشه»^(٢).

ما المقصود من زيارة الله في عرشه؟

لم يختصّ هذا الأثر بزيارة الإمام الحسين عليه السلام وحدها، وإنّما ورد نحوه في فضل زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله، فعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «... يا ابن عباس، مَنْ زاره [أي الإمام الحسين عليه السلام] عارفاً بحقّه، كُتِبَ له ثواب ألف حجّة وألف عمرة، ألا ومَنْ زاره فكأنّما قد زارني، ومَنْ زارني فكأنّما قد زار الله، وحقّ الزائر على الله ألا يُعذّبه بالنار»^(٣).

وأما معناه فهو - كما قال علماءنا الأعلام - لا يُحمل على ظاهره ليلزم منه القول بالتجسيم، بل «إنّ معنى هذا المثل هو أنّ زائر عليه السلام له من المثوبة والأجر والتعظيم والتبجيل في يوم القيامة كَمَنْ رفعه الله تعالى إلى سمائه، وأدناه من عرشه الذي تحمله

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٢٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٦، ص ٢٨٦.



الملائكة، وأراه من خاصّة ملكه ما يكون به توكيد كرامته. وليس هو على ما تظنّه العامة من مقتضى التشبيه»^(١).

و«قال الشيخ الفقيه أبو جعفر^{عليه السلام}: معنى قوله^{عليه السلام}: (كان كمن زار الله في عرشه)، ليس بتشبيه؛ لأنّ الملائكة تزور العرش، وتلوذ به، وتطوف حوله، وتقول: نزور الله في عرشه، كما يقول الناس: نحجّ بيت الله، ونزور الله، لا أنّ الله عزّ وجلّ موصوف بمكان، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً»^(٢).

وذكر السيّد ابن طاووس في ثواب صيام شهر شعبان، عن أبي عبد الله^{عليه السلام} أنّه قال: «... ومَن صام ثلاثة أيّام زار الله في عرشه». أقول: لعلّ المراد بزيارة الله في عرشه أن يكون لقوم من أهل الجنّة مكان من العرش، من وصل إليه يُسمّى زائر الله، كما جعل الله الكعبة الشريفة بيته الحرام، من حجّها فقد حجّ الله»^(٣).

وقال المجلسي: «أي: عبد الله هناك، أو لاقى الأنبياء والأوصياء هناك؛ فإنّ زيارتهم كزيارة الله، أو يحصل له مرتبة من القرب كمن صعد عرش ملك وزاره»^(٤).
وحاصله: إنّ المتقرّب إلى الله تعالى بزيارة الإمام الحسين^{عليه السلام} كمن يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ، ويطلب رضاه، منزهاً له كمال التنزيه والتقديس. وهذا لا يكون إلّا لمن له نور المعرفة.

٨. يحفظه الله يوم القيامة

وصفت آيات الكتاب الحكيم يوم القيامة بأنّه يوم مهول وشديد على الناس جميعاً، ويكفي في ذلك ذكر آية واحدة تُبيّن عظيم خطر أشراف الساعة، وأنّ ما

(١) المفيد، محمد بن محمد، المنفعة: ص ٤٥٨.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٨٢.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٢٩٣.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٧٠.



بعده أشدّ وأصعب، فقال عزّ من قائل: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...﴾^(١).

يسعى الإنسان بكلّ الوسائل المتاحة له من أجل الخلاص من أهوال ذلك اليوم العظيم، وجعل نفسه في مأمن منها، وقد جاءت في الشريعة الإسلامية مجموعة كبيرة من الآداب والسنن يتحصّل بها الأمان في ذلك اليوم، فيكون الإنسان في حفظ مالك يوم الدين وكنفه بواسطتها، ولعلّ من أهمّ ما يحقّق ذلك زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فقد روى العلامة المجلسي في (بحار الأنوار) «عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: جعلت فداك، ما أدنى ما لزائر قبر الحسين عليه السلام؟ فقال لي: يا عبد الله، إنّ أدنى ما يكون له أن يحفظه الله في نفسه وماله حتّى يرده إلى أهله، فإذا كان يوم القيامة كان الله أحفظ له»^(٢).

٩. استمرار العمل الصالح حقيقة إلى يوم القيامة

روى الفتال النيسابوري في (روضه الواعظين) عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: علم يتنفع به، أو صدقة تجري له، أو ولد صالح يدعو له»^(٣).

وزيارة الإمام الحسين عليه السلام هي واحدة من الأعمال الصالحة المستمرة حقيقة لا حكماً؛ بل هي من أعلى أفراد الباقيات الصالحات.

وسأل الإمام الصادق عليه السلام المفضّل بن عمر أو جابر الجعفي: «كم بينك وبين قبر الحسين عليه السلام؟ قال: قلت: بأبي أنت وأمي، يوم وبعض يوم آخر. قال: فتزوره؟ فقال: نعم. فقال: ألا أبشرك؟ ألا أفركك ببعض ثوابه؟ قلت: بلى جعلت فداك.

قال: فقال لي: إنّ الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته، فيتباشر به أهل السماء،

(١) الحجّ: الآية ٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤٦.

(٣) الفتال النيسابوري، محمد، روضه الواعظين: ص ١١.

فإذا خرج من باب منزله راكباً أو ماشياً وكَلَّ الله به أربعة آلاف ملك من الملائكة يصلُّون عليه حتى يوافي قبر الحسين عليه السلام... [وذكر مجموعة من الآثار، إلى أن قال] فإن مات في عامه، أو في ليلته أو يومه، لم يل قبض روحه إلا الله.

وتُقبل الملائكة معه، ويستغفرون له ويصلُّون عليه حتى يوافي منزله، وتقول الملائكة: يا رب، هذا عبدك وقد وافى قبر ابن نبيك صلى الله عليه وآله، وقد وافى منزله، فأين نذهب؟ فيأتيهم النداء من السماء: يا ملائكتي، قفوا بباب عبدي، فسبحوا وقَدِّسوا، واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم يتوفَّى. قال: فلا يزالون ببابه إلى يوم يتوفَّى، يسبحون الله ويقَدِّسونه، ويكتبون ذلك في حسناته، فإذا توفَّى شهدوا كفنه وغسله والصلاة عليه. ويقولون: ربنا، وكلتنا بباب عبدك وقد توفَّى، فأين نذهب؟ فيناديهم: يا ملائكتي، قفوا بقبر عبدي فسبحوا وقَدِّسوا، واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم القيامة»^(١).

وهناك آثار كثيرة لم نتعرَّض لذكرها؛ خوفاً من الإطالة وطلباً للاختصار.

المبحث الثالث: إشكالات وردود

الأول: عدم معقولية كثرة الثواب والآثار المترتبة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام

المتَّبَع للروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، التي تحثُّ المؤمنين على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، يجدها متكررة لا يُنافسها في الكثرة حتى الروايات الواردة في زيارة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مع أنه سيّد الخلق أجمعين؛ وذلك كرامة وجزاء للإمام الحسين عليه السلام.

هذا من جانب؛ ومن جانب آخر تُعتبر مظلومية الإمام الحسين عليه السلام عنواناً ورمزاً لمظلومية أهل البيت عليهم السلام جميعاً، فمن جملة ما أراد الأئمة عليهم السلام تحقيقه إظهار هذه المظلومية من خلال تأكيد مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وجعلها محوراً في بعث الحياة في هذه الأمة؛ فإنَّ الأمة التي ترتبط بالإمام الحسين عليه السلام ارتباطاً حقيقياً وثيقاً تكون

(١) ابن بابويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٥-٣٧٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:



أُمَّة حَيَّةٌ بِحَيَاتِهِ عليه السلام، يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦١) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ (١).

ونرصد في الزيارة الشعبانية تأكيداً لهذا المعنى: «أشهد أنك قُتلت ولم تمت، بل برجاء حياتك حيث قلوب شيعتك» (٢).

لكن نرى البعض يشكك في كثرة هذه الآثار المترتبة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك لأنها أمر مستحب، فلا يُعقل أن يكون لها كل هذا الثواب والآثار المادية والمعنوية.

وفي مقام الردّ على هذه الإشكالية نقول:

١. إذا كان التشكيك في هذا الأمر ناتج عن عدم قبول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في هذا المضمون، فإن معنى ذلك هو الطعن في الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام بالضعف أو بالوضع، إلا أنه طعن بضعف أكثرها لا كلها؛ لوجود روايات صحيحة ومعتبرة.

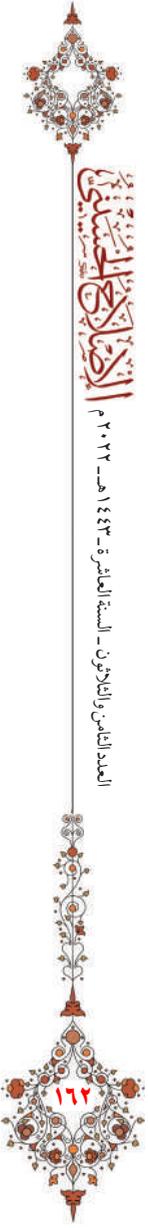
وعليه؛ لا ينبغي الشك أو التردد في هذا الكمّ الهائل من الأخبار الوارد في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام والأجر والثواب والآثار المترتبة عليها؛ فإن بعضها ورد بطرق متعدّدة، وبعضها وإن ورد في خبر ضعيف السند، لكنّه - أعني الأثر - ذكر ضمن مجموعة من الآثار في أخبار أخرى معتبرة.

ولو سلّم، فلا أقلّ من التسليم باستفاضة مجموعة منها، أو تواترها ولو إجمالاً، فلا يُنظر حينها إلى السند، وقد زخرت بها الكتب المعتمدة، ودونها المحدثون في تصانيفهم واعتنوا بها؛ لمكانها.

هذا بالإضافة إلى أن ذلك ليس بعزيز في غيرها من المستحبات، كثواب الصلاة

(١) آل عمران: الآيتان ١٦٩-١٧٠.

(٢) الكفعمي، محمد بن صالح، المصباح: ص ٤٩٨.



على محمد وآل محمد، والثواب المترتب على صيام أيام شهري رجب وشعبان؛ فإن ذلك قد ملأ كتب الفريقين.

ويكفي في جواب المعارض أيضاً القول بقاعدة التسامح في أدلة السنن، التي وردت في الدلالة عليها أخبار صحاح.

٢. إذا كان نشوء إشكالية عدم المعقولية راجعاً إلى معيار المساواة بين العمل والجزاء، فيمكن القول في مقام الجواب بأنه يطرد الحديث عن هذه المسألة في أغلب ما ورد عن الشارع المقدس قرآناً وسنة، فهو لا يخضع لمعيار المساواة بين عمل الإنسان في الدنيا - مهما بلغ - وبين الجنة التي وعدها الله للمؤمنين، التي عرضها السماوات والأرض، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال أحد.

هذا بالإضافة إلى اختلاف الهبات باختلاف كمال الواهب ومقامه، وترتقي وتتضاعف إلى أن تصل إلى أجود الأكرمين، وأكرم الأجودين.

وهذا الأمر عليه السيرة العقلانية؛ فالتاريخ يُحدِّثنا عن خبر سفانة بنت حاتم الطائي، التي عتقها النبي ﷺ - وهو سيّد العقلاء - كرامة لأبيها وما يحمله من صفات حميدة^(١).

ومّا لا شكّ يعتريه أنّ الإمام الحسين عليه السلام قدّم كلّ ما عنده من أجل نصرته الدين، وإعلاء كلمة الله عزّ وجلّ في الأرض، فحينما رأى أنّ المخاطر قد حفّت بالعميقة اندفع للتضحية والشهادة في سبيل الله تعالى؛ لذا فإنّ الله سبحانه وتعالى رفع شأنه، وعظّم منزلته، وأعطاه من الخصوصيّات والامتيازات ما انفرد بها عن العالمين، فأضحت زيارته من شعائر الله تعالى؛ إكراماً لتضحيته بنفسه وأهل بيته في سبيل دين الله تعالى. وعند التمعّن في هذا الأمر يسقط معيار المقايسة بين الثواب والعمل؛ فإنّ الله

(١) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٢٨٧.





تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

يُضاف إلى ذلك أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام عملية عبادية تنتج إعدداً روحياً، وبناءً عقائدياً وفكرياً، وتكرّس الترابط الاجتماعي، والتصعيد الثوري، متحدية قوى الطاغوت، فهي لذلك تستحقّ الترغيب للتحقق هذه الأمور.

وبهذا تتضح كثرة الحثّ المتواصل من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام على زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، واستنكارهم على شيعتهم إذا أحسّوا منهم التقصير أو التساهل في أمر الزيارة، فعن سدير قال: «قال أبو عبد الله: يا سدير، تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ يوم؟ قلت: لا. قال: ما أجفاكم؟! قال: أتزوره في كلّ جمعة؟ قلت: لا. قال: فتزوره في كلّ شهر؟ قلت: لا. قال: فتزوره في كلّ سنة؟ قلت: قد يكون ذلك. قال: يا سدير، ما أجفاكم بالحسين عليه السلام، أما علمت أن الله ألف ملك شعثاً غبراً يبكونه ويرثونه لا يفترون، زواراً لقبر الحسين وثوابهم لمن زاره»^(٢).

فلو لم يكن لزيارة الحسين عليه السلام تأثير بالغ في النفوس، وتغيير للواقع النفسي والاجتماعي والسياسي، لما كان لزيارته كلّ هذا التأكيد حتى مع الخوف على النفس والعرض والمال.

الثاني: كثرة آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأفضليتها في يوم عرفة على الحجّ

يُرى في روايات زيارة الحسين عليه السلام يوم عرفة أفضليتها وكثرة ثوابها وآثارها على الحجّ^(٣)... فما هو توجيه ذلك؟

ترى العدالة الإمامية أنّ الأحكام والتكاليف تابعة للمصالح والمفاسد في متعلقاتها، وعلى ذلك يترتب الحكم بالوجوب والحرمة، أو الاستحباب والكرهية.

(١) البقرة: الآية ٢٦١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٨٧.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٣١٦، الباب (٧٠)، ثواب زيارة الحسين عليه السلام يوم عرفة.

فالحكم الواجب ينبغي الإتيان به إذا صار فعلياً في حق المكلف، ويعاقب على تركه، وحجّة الإسلام إذا توفّرت شروطها - المذكورة في كتب الفقه - أصبحت واجبة على المكلف ويعاقب على تركها، وقد وصفت الشريعة التارك للحجّ الواجب بأنه يموت يهودياً أو نصرانياً، ف«عن ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَنْ مات ولم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تُجحف به، أو مرض لا يطيق فيه الحجّ، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً»^(١).

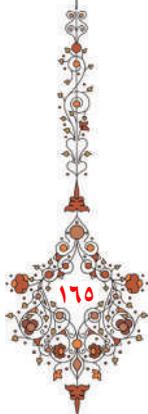
وسوف نقتصر - في المقام - على مفردتي الحجّ والعمرة دون الآثار الأخرى في أخبار الباب، فنقول: إذا صار الحجّ الواجب فعلياً في حق المكلف، فأثمة لا ينبغي له تركه والذهاب إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام بالرغم من كثرة الأجر والثواب والآثار المترتبة عليها؛ وذلك لوجوب الحجّ واستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام على الرأي المشهور، ولما كانت التكليف - الأعمّ من الوجوب والاستحباب - تابعة للملاك، فلا علاقة لكثرة الثواب والآثار المترتبة على الفعل، فقد يكون ثواب الفعل المستحبّ أكثر من ثواب الفعل الواجب، كما في ثواب الابتداء بالسلام المستحبّ بالنسبة إلى ثواب ردّ السلام الواجب، «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السلام تطوع، والردّ فريضة»^(٢).

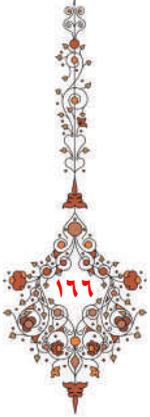
وكذلك الحال في زيارة الحسين عليه السلام يوم عرفة وثوابها، فهي بالرغم من استحبابها لكنّ أجرها وثوابها - بحسب الروايات - أكثر بكثير من ثواب الحجّ، ومع ذلك لا يجوز ترك الحجّ الواجب لأجل ذلك الثواب المترتب عليها.

ثم إنّه يظهر من بعض الروايات أنّ المراد بـ (الحجّة والعمرة) اللتين يكون ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة أفضل أو أكثر من ثوابها، هما الحجّة والعمرة المستحبّتان، فلا يبقى مجال للتباس، فلا مانع أن يكون ثواب زيارة الحسين عليه السلام

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٢٦٨.

(٢) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي: ج ١١، ص ١٠٨.





المستحبة في ذلك اليوم أفضل من ثواب الحجّ المستحبّ والعمرة المستحبة، فقد تكون لزيارة الحسين عليه السلام خصوصيات لا توجد في الحجّ والعمرة - بيّنتها بعض الروايات - فتجعل ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام وآثارها أفضل من ثواب الحجّ المستحبّ وآثاره.

قال بشير الدهان: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربّما فاتني الحجّ، فأعرّف عند قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه؟ قال: أحسنت يا بشير، أيّما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجّة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات، وعشرين غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجّة ومائة عمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل. قلت: وكيف لي بمثل الموقف؟ فنظر إليّ شبه المغضب، ثم قال: يا بشير، إنّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل من الفرات ثمّ توجه إليه، كتب الله له بكلّ خطوة حجّة بمناسكها. ولا أعلم إلا قال: وعمرة»^(١).

وبهذا أفتى فقهاء الطائفة، ففي (صراط النجاة)، (س ٤٣٢): «أيّهما أفضل: الوقوف بعرفة لحجّة مستحبة، أو زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة؟ الخوئي: ظاهر كثير من الروايات أرجحية الثاني، والله العالم»^(٢).

وفي المحكي من فعل صاحب (جواهر الكلام) رحمه الله هو الأول، يقول الآملي في (كتاب المكاسب والبيع): «يُعتبر في النذر أن يكون متعلّقه راجحاً، وهذا في الجملة ممّا لا كلام فيه، وإنّما الإشكال في أنّ المعتبر من الرجحان هو الرجحان حال النذر ولو لم يكن حال الفعل راجحاً، أو الرجحان حال الفعل؟ والمحكي من فعل صاحب الجواهر رحمه الله هو الأول؛ حيث حُكي أنّه عليه السلام لأجل اهتمامه في تصنيف الجواهر كان ينذر كلّ سنة قبل موسم الحجّ زيارة الحسين عليه السلام، أو زيارة الأمير عليه السلام في يوم عرفة؛ لكيلا

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٠.

(٢) الميرزا التبريزي، جواد، صراط النجاة: ج ٣، ص ١٤٤.

يصير مستطیعاً ویصیر الحجّ واجباً علیه، ومن المعلوم أنّ فعل المنذور یصیر مرجوحاً بعد حصول الاستطاعة، فهذا العمل منه شاهد علی ذهابه بكفاية الرجحان في حال النذر ولو كان مرجوحاً حال العمل»^(١).

وهذا يكشف عن أنّ زيارة الحسين عليه السلام يوم عرفة في عمل وفتوى الفقهاء مقدّمة على الحجّ المستحبّ لا الواجب، وإلاّ ما الداعي للنذر مع تقديم الزيارة على الحجّ الواجب؟!!

نختم الحديث حول هذا الإشكال وجوابه برواية صريحة «عن يونس، عن الرضا عليه السلام، قال: مَنْ زار قبر الحسين عليه السلام فقد حجّ واعتمر. قال: قلت: يُطرح عنه حجة الإسلام؟ قال: لا، هي حجة الضعيف حتى يقوى ويحجّ إلى بيت الله الحرام...»^(٢).

الخاتمة

توصّلنا في هذا البحث إلى عدّة نتائج:

١. اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالحضور عند قبر الإمام الحسين عليه السلام من خلال الحثّ والترغيب على زيارته.
٢. كثرة روايات أهل البيت عليهم السلام في الحثّ على زيارة الإمام الحسين عليه السلام مع ذكر آثار كثيرة لها مادّية ومعنوية دون النظر إلى الزمان والمكان أو حالة الزائر.
٣. تتحقّق أغلب الآثار - إن لم نقل كلّها - بشرط أن يكون الزائر معتقداً بإمامة مَنْ يزوره، عارفاً بحقّه، ومطيعاً له. وبعبارة أخرى: لا تتحقّق الآثار إلاّ وفق قاعدة (وجود المقتضي وارتفاع المانع).
٤. اشملت زيارة الإمام الحسين عليه السلام على أغلب الآثار الموجودة في العبادات - مستحبةً وواجبةً - كرامة للإمام الحسين عليه السلام.

(١) الأملي، محمد تقي، كتاب المكاسب والبيع، تقرير بحث النائبي: ج ٢، ص ٤٤٨-٤٤٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٩٨.



- ٥ . تفضيل زيارة الإمام الحسين عليه السلام على الحجّ المستحبّ.
- ٦ . كثرة الآثار المعنوية وزيادتها على الآثار المادّية للزيارة.
- ٧ . عدم ثبوت أيّ من الإشكالات المثارة حول الزيارة وآثارها.

التوصيات

- ١ . الاهتمام ببحث آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام وتأليف كتاب خاصّ في هذا المضمون، يتناول جميع الآثار بالتفصيل، والاستدلال عليها بالأدلة القرآنية والروائية؛ لما يقدّمه من تأثير مباشر وترغيب في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.
- ٢ . تأليف كتاب استدلالي في دفع الإشكالات الواردة على آثار الزيارة الكثيرة والمتنوّعة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ . أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- ٢ . إقبال الأعمال، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحليّ (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني، مركز النشر: مكتب الاعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣ . الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٤ . الأمالي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- ٥ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ٦ . تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مطبعة (بريل) - ليدن، ١٨٧٩م.
- ٧ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٨ . تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤ش.
- ٩ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ش.
- ١٠ . جامع أحاديث الشيعة، السيّد حسين الطباطبائي البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.
- ١١ . جنّة الأمان الواقية وجنّة الإيمان الباقية (المشتهر بالمصباح)، تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- ١٢ . الخصائص الحسينية، الشيخ جعفر التستري (ت ١٣٠٣هـ)، تحقيق: جعفر الحسيني، مكتبة ودار الحوراء، بيروت.
- ١٣ . روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه (ط. قديمة)، محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠هـ)، تحقيق وتعليق: حسين الموسوي الكرمانى، علي پناه اشتهااردى، مؤسسه فرهنگى اسلامى كوشانبور، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٤ش.



- ١٤ . الزيارة في الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني.
- ١٥ . شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، تعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيّد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٦ . صراط النجاة، السيّد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، تعليق: الميرزا جواد التبريزي (ت ١٤٢٧هـ)، الناشر: دفتر نشر بر كزيده، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٧ . عارفاً بحقكم، السيّد علي الشهرستاني، مؤسّسة المؤمّل الثقافية، ١٤٣٤هـ.
- ١٨ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- ١٩ . فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، أحمد بن محمد بن سعيد (ابن عقدة الكوفي) (ت ٣٣٢هـ)، جمعه ورّثه وقدم له: عبد الرزاق فيض الدين.
- ٢٠ . الفوائد الطوسيّة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، المطبعة العلمية، قم المقدّسة.
- ٢١ . القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ).
- ٢٢ . الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨هـ) أو ٢٣٩هـ)، دار الكتب الإسلاميّة مرتضى آخوندي، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.
- ٢٣ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القميّ (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٤ . كتاب المكاسب والبيع (تقرير بحث النائيني)، محمد تقّي الأملي (ت ١٣٥٥ش)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٢٥. كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م.

٢٦. اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، أنور الهدى، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٧. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، ١٤٠٨هـ.

٢٨. المزار، محمد بن جعفر بن علي المشهدي الحائري (القرن السادس)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٩. المزار، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: آية الله السيّد محمد باقر الأبّطحي.

٣٠. مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، دار المفيد، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٣١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٣٢. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدّسة، ١٤٠٤هـ.

٣٣. المقنعة، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.



- ٣٤ . من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي
(الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري،
منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، الطبعة الثانية.
- ٣٥ . نهج البلاغة، أبو الحسن محمد بن الحسين (الشريف الرضي) (ت ٤٠٦هـ)،
شرح: الشيخ محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة
الأولى، ١٣٧٠ش.



**نماذج مختارة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام في كتاب نواذر الحكمة
دراسة تحليلية
القسم الأول**

الشيخ حيدر ناصر البهادلي
ماجستير في علوم القرآن والحديث
مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

**Selected Samples from the Ziyaras of
Imam al-Husayn (PBUH) in the Book, *Nawader al-Hikma*
– An Analytical Study
(Part One)**

Shaykh Haidar Naser al-Bahadeli

Master's degree in Quran and Hadith Sciences
The Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies
on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) – Iraq

ملخص البحث

تناول البحث مجموعة من مقاطع الزيارة الواردة في كتاب (نوادير الحكمة) المعروف بـ(دبّة شبيب)، في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ودراسة بعض مفرداتها المهمة وتحليلها والاستشهاد عليها بالآيات القرآنية، ونصوص الحديث الشريف، وآراء العلماء، فأثبت أنّ من أهمّ خصائص أسلوب الإمام عليه السلام في الزيارة هو التأثير بالقرآن الكريم، والدقّة في انتقاء الألفاظ عند الاستعمال، مع جمال الصورة البلاغية المتّسمة بالطابع العقلي والمنطقي، الأمر الذي يجعلها ذات تأثير في مشاعر المتلقّي.

وكان من أهمّ مفردات الزيارة التي سلّط الباحث الضوء عليها هي مفردة (السلام)، و(الحجّة)، و(كلمة التقوى). هذا بالإضافة إلى التركيز على فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وما يتبعها من الأجر الجزيل والثواب العظيم، وأثر تركها. الكلمات المفتاحيّة: الإمام الحسين عليه السلام، نوادر الحكمة، دبّة شبيب، زيارات، الحجّة، السلام، العصمة، التسليم، التقوى.



Abstract

A group of extracts related to visitation-texts that are present in the book *Nawader al-Hikma*, known as *Dabbat Shabib*, and other reports about Ziyara's reward, are subject to study in this article. Some of the extracts' important terms citing Quranic verses, text from the noble narrations, and the opinions of the scholars, are all analyzed. This article concludes that the style of the Imam (PBUH) in the Ziyara is clearly influenced by the Holy Quran, and carries the print of a specific selection of wordings within the beautiful frame of intellectual and logical rhetoric. Factors prompting the feelings of the receiver.

Al-Salam (peace upon) is among the more important terms that the study focuses on, together with *al-Hujja* (the proof) and *Kalimatul Taqwa* (the sign of piety), not to mention the study's focus on the virtue of visiting Imam al-Husayn (PBUH), the following great reward, and the repercussions of refraining from visiting him (PBUH).

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), *Nawader al-Hikma*, *Dabbat Shabib*, Ziyaras, *al-Hujja*, *al-Salam*, infallibility, obedience, piety.



المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف والأنبياء والمرسلين، أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

لا يخفى على المتبّع وأصحاب البصيرة وذوي العقول السليمة أنّ زيارات الأئمة عليهم السلام لها شأن عظيم؛ لأنّها خرجت من السنة نواميس الدين، ومعامل الأنام، وترجمة القرآن، فهي فوق كلام المخلوق دون كلام الخالق الملك العلام، وقد اشتملت هذه الزيارات - ولا سيّما زيارة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام - على جملة من الأدلّة والبراهين المتعلقة بمعارف أصول الدين، وأسرار الأئمة الطاهرين، كما احتوت على معارف وحكم أهل البيت عليهم السلام، الذين حثّ الله تعالى على متابعتهم ومودّتهم، وأمرنا بمسألتهم، فهم عليهم السلام نور واحد، ومظاهر لصفات ربّ العالمين، فزياراتهم فيها أسرار إلهية وعلوم غيبية، ومكاشفات حقّة وحكم ربّانية، فتحتاج إلى كشف النقاب عن وجوه معانيها، وبيان الأسرار فيها.

وتميّزت زيارات الأئمة عليهم السلام في أسلوبها وخصائصها الفكرية والبيانية والمنهجية، الأمر الذي جعلها تقرب من الأساليب الأدبية الأخرى، كالأدعية الواردة عنهم عليهم السلام.

ويمكن إبراز خصائص الزيارات المروية عن الإمام الصادق عليه السلام بما يلي:

أولاً: تأثر أسلوب الإمام عليه السلام كثيراً بأسلوب القرآن الكريم، وبمبادئ الإسلام العظيمة، والدعوة إلى القيم الفاضلة ومكارم الأخلاق، خصوصاً في الأدعية التي وردت فيها، فنجد في الزيارات إشارات كثيرة للألفاظ القرآنية، كما ورد في إحدى

زيارات الإمام الحسين عليه السلام قوله: «أشهد أنه قاتل معك ربيون كثير، كما قال الله: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾^(١)»^(٢).

وبعض الزيارات ورد فيها اقتباس من القرآن الكريم دون ذكر أنه قول الله تعالى، مثل قوله عليه السلام: «الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ﴿وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدِيرٍ﴾^(٣)»^(٤).

ونجد أيضاً السياق القرآني في صياغة عبارات الزيارة، كما في قوله عليه السلام: «صلى الله عليك وعلى أهل بيتك وعتره آبائك الأخيار الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٥)، فهذا النص من الزيارة فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٦).

ولعل السبب في هذا الاقتباس يعود إلى أن الإمام عليه السلام يجري على لسانه مفردات وآيات القرآن الكريم بلا تكلف أو عناء، كيف لا، وهم ترجمان القرآن، ونزل الوحي في بيوتهم؟! في بيوتهم؟!!

إن هذا الاقتباس أيضاً يضيفي جمالاً أسلوبياً على الزيارات؛ لأن التعبير القرآني امتاز بالبلاغة العالية والنظم في السياق والنسق.

ثانياً: أن كل زيارة صادرة عنهم عليهم السلام لها خصوصياتها، وتخضع للمناسبات الموضوعية التي قيلت فيها، فتجد حجم بعض الزيارات كبير يشغل صفحات عديدة، وأخرى متوسطة الحجم، وثالثة تكون صغيرة تُقدَّر بسطر أو بأسطر، ولعل

(١) آل عمران: الآية ١٤٦.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٧.

(٣) الفرقان: الآية ٢.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٧.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٧٢.

(٦) الأحزاب: الآية ٣٣.

هذا التنوع يرجع إلى المناسبات والظروف المختلفة التي تناسب السياق والمتلقي الذي يُعلمه الإمام عليه السلام تلك الزيارة، فمثلاً الزائر البعيد الذي لا يستطيع الوصول إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام يزوره بزيارة مختصرة، وذلك بقوله عليه السلام: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته»^(١).

ثالثاً: يمتاز أسلوب الزيارات بالدقة في استعمال الألفاظ، وجمال الصورة البلاغية التي جمعت بين الشكل والمضمون، وكان لهذا الأسلوب الأثر البالغ في النفس والتأثير عليها؛ لأن لغة الزيارات فصيحة وبعيدة عن الألفاظ الغريبة والوحشية والمهجورة، فكأتمها لغة القرآن الكريم، توأمت كل العصور والثقافات المختلفة، ومثال ذلك قوله عليه السلام: «يا مولاي، يا أبا عبد الله، أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخمة، والأرحام المطهرة، لم تُنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تُلبسك من مدهمات ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين»^(٢).

رابعاً: اتسمت الزيارات بطابع عقلي ومنطقي في أسلوبها، فهي تُعبّر عن جملة من الأدلة والبراهين المتعلقة بمعارف أصول الدين، وأسرار الأئمة الطاهرين، كما احتوت على معارف وحكم أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك تُعبّر عن قضايا إنسانية، مثل قضية الظلم والمظلومين؛ إذ يحاول الإمام عليه السلام أن يُقنع المخاطب بالحجة والبرهان والدليل العقلي، لذا نجد أن ألفاظ الزيارات تُخاطب العقول والقلوب، وتجمع بينهما؛ لتُعطي القوة في القول والفعل. فمضمونها يجمع بين توحيد الله عز وجل والثناء عليه، ثم الصلاة على النبي وآله بذكر صفاتهم، ثم ذكر صفات المزور؛ لتقريبها وتوكيدها في النفس من خلال المدح والثناء عليه، واللعن على قاتليه والبراءة منهم، ونجد هذا جلياً في زيارة عاشوراء وغيرها.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢١.

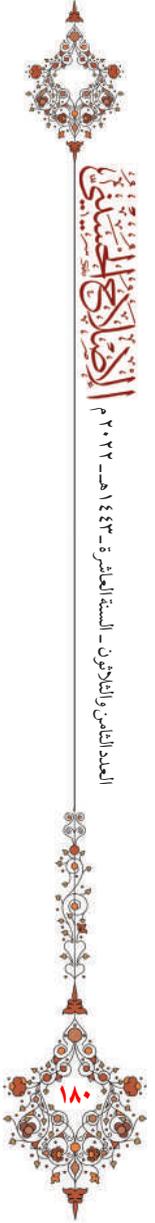


خامساً: من السمات البارزة في زيارات الإمام الحسين عليه السلام - وغيره من الأئمة عليهم السلام - هي الصدق المتناهي في المشاعر، الذي يحقق التأثير المباشر عند المتلقي، خصوصاً الصدق المتحقق في الدعاء الذي تتضمنه عبارات الزيارة؛ إذ يتخلل بين فقراتها دعاء الزائر لنفسه، وهذا الدعاء يترك أثره في الزائر مادياً ومعنوياً، بل تترك الزيارة أثراً كبيراً في نفس الإنسان وروحه في العقيدة والأخلاق وغيرهما. وبالإضافة إلى ذلك قد رسّخت الزيارة أيضاً في ذهن المتلقي الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عاصرها الإمام عليه السلام.

هذا جانب ما تميّزت به ألفاظ الزيارة الشريفة من خصوصيات في التعبير والمنهجية والبيان، وأما جانب تفسير ألفاظها وشرحها، فلم أجد - حسب تبّعي الشروح الوافية لزيارات الأئمة عليهم السلام المطلقة - إلا الاهتمام الكبير في شرح زيارة عاشوراء، فشرعت في بيان بعض فقرات زيارة الإمام الحسين عليه السلام تحت عنوان: (نماذج مختارة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام في كتاب نوادر الحكمة)، مع قلة البضاعة، وحقارة الاطلاع في هذه الصناعة، ورأيت نفسي قاصرة عن الغوص في مضامينها والخوض في تفاصيلها، بل ذلك عليّ متعذّر، فشرعت في بيان ما أمكن بيانه بحسب المقدور؛ إذ لا يسقط الميسور بالمعسور، مستعيناً - بعد التوكّل على الله عز وجل - ببعض الشروحات.

ومن الشروح التي اعتمدها واستعنت بها: (شرح الزيارة المطلقة للإمام الحسين عليه السلام) للعلامة العارف الميرزا محمد باقر الشريف الطباطبائي (ت ١٣١٩هـ)، وكتاب (جنة الحوادث في شرح زيارة وارث) للشريف الكاشاني (ت ١٣٤٠هـ)، وكتاب (الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة) للسيد عبد الله شبر، وكتاب (المعارف العالية في شرح الزيارة الجامعة) لحسن أحمددي، وغيرها من الكتب النافعة في مجال البحث.

ولمّا كان كتاب (نوادر الحكمة) من أكثر الكتب عند الشيعة الإمامية اشتمالاً



على الروايات والأخبار، وأصناف العلوم، وأن له منزلة عظيمة، وشهرة ذائعة عند أهل زمانه ومن تأخر عنهم، حتى بالغوا في التعويل عليه، فشبهوه وقதாக بـ: (دبّة شبيب)^(١) كناية عن استجماعه لكل ما يحتاج إليه المتعلم، ويأخذ منه العالم من أنواع العلوم المعروفة آنذاك، جاءت رواياته - التي تزيد على الألف وثمانمائة رواية - مبنوثة في الكتب الأربعة وغيرها، في أبواب الفقه وغيره، ابتداءً بكتاب الطهارة وانتهاءً بكتاب الديات، وكان من ضمنها متون بعض الزيارات التي اخترنا منها نماذج لموضوع بحثنا.

ثم إن المحتجّين في أصول الدين وأرباب الكلام والجدل لا يسعهم التغافل عن هذا الكتاب أيضاً، فكانوا يعولون على مروياته ويعتمدونها كغيرهم من المحدثين والفقهاء، ولأجل ذلك جاءت نكتة التشبيه المذكورة، وهي لم تجاف الحقيقة، ولم تتعد عن الصواب؛ إذ كيف يعتمد القميون - وهم المتشدّدون في قبول الأخبار - على مرويات هذا الكتاب وبيالغون في تشبيهه لو لم يكن جامعاً لكل ما يحتاج إليه الفقيه والمكلف على حدّ سواء.

هذا ما أردنا الحديث فيه في هذه المقدمة التي تليها ثلاثة مباحث وخاتمة، إذ كان أول المباحث في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأثر تركها، ويضمّ مجموعة من الروايات وأقوال العلماء الدالة على ذلك. وثانيها في تفسير معنى (السلام) الوارد في الزيارات وتحليله. وثالثها في بيان صفات القائم بمقام الحجّة على الوجود، فدرس - بالتحليل - مضمون بعض الزيارات الوارد فيها عنوان (الحجّة)، مع ذكر بعض الشروط المتعلقة بذلك، وتعرّض كذلك إلى معنى (كلمة التقوى) وتفسيرها. وفي الختام عرّضت النتائج والتوصيات.

(١) وصفه القميون بـ: (دبّة شبيب)، وشبيب هذا فامي كان بقم، له دبّة ذات بيوت، يُعطي منها ما يُطلب منه من دهن، فشبهوا هذا الكتاب بذلك. أنظر: النجاشي، أحمد بن علي، فهرس أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): ص ٣٤٨ - ٣٤٩، رقم (٩٣٩).



المبحث الأول: فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأثر تركها

بلغ فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام من الكثرة ما لا يحيط بعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وما جاء في الروايات في هذا الشأن إنما هو لتقريب واقع الحال؛ إذ العقول لا تُدرّكه، وإلى ذلك ألمعت بعض الروايات، منها الرواية الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات...»^(١).

ثم إن من آثار ترك زيارته عليه السلام عقوق الرسول وأهل بيته عليهم السلام، وترك حقّهم عليهم السلام، وترك الثواب الجزيل، والبعد عن الأئمة الطاهرين، ونقص الأعمار، والخروج عن اسم الشيعة^(٢).

وكذا من ترك الزيارة ولو لمانع الاشتغال بالعلم؛ فإنه يُسلب التوفيق منه ولو بمقدار زمان الزيارة، فلا ينبغي تركها ولو في بعض المواضع حتى لو فرض أنّ الاشتغال بتحصيل العلم أهمّ من الزيارة.

قال الشيخ كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ): «تمام العبوديّة والانقياد بأن يأتي بجميع أوامره الموجبة والنادبة والراجحة والمرجوحة، وإلا لانحصرت الزيارة بزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله، والطاعات المرغوبة بالصلاة، والذكر بقول (لا إله إلا الله) وهكذا، فيقتصر في كلّ جنس على أفضله، بل يلزم منه الاقتصار على نوع واحد... فلا معنى لترك السنن لطلب الأفضل منها، ولا للاشتغال بالواجبات الكفائية مع قيام الغير بها عوضاً عنها، كما جرت عليه سيرة كثير من العلماء والصلحاء من ترك قراءة القرآن، وعيادة المرضى، وتشجيع الجنائز، وزيارة الإخوان، وزيارة المعصومين، وترك النوافل الرواتب التي يشبه تركها ترك الواجب؛ معلّين ذلك بأن طلب العلم أفضل، وأنّ ترجيح المفضول على الفاضل لا يُعقل.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٠.

(٢) أنظر: التستري، الشيخ جعفر، الخصائص الحسينية: ص ٢٢١ وما بعدها.

وهذا مخالف لطريقة أهل الأديان من زمان أينا آدم ﷺ إلى الآن، وقد علم من طريقة هذه الأمة وسيرة النبي ﷺ والأئمة ﷺ أنهم لم يزالوا يجمعون بين العبادات المقبولة، الفاضلة منها والمفضولة.

فإنهم لم يزالوا يتركون أفضل الأشياء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمواعظ والنصائح - وهي أفضل الأعمال - لصلاة نافلة راتبة، أو غير راتبة، ولعبادة مريض، وتشيع جنازة، وزيارة مؤمن، ومشايعته واستقباله.

فمن أمعن في طريقة الشرع نظره، وأجال في تضاعيف الأخبار فكره، علم بوجه اليقين أن الجمع بين الراجح والمرجوح من السنن، سيرة سيّد المرسلين والأئمة الطاهرين، وجميع العلماء العاملين خلفاً بعد سلف^(١).

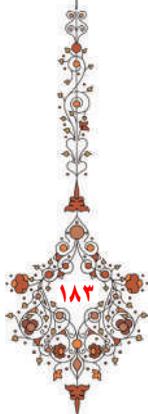
ونقل المحدث النوري (ت ١٣٢٠هـ) عن المولى فتح علي بن المولى حسن السلطان آبادي في هذا الصدد ما نصّه: «إنّه لما تشرف لزيارة أمير المؤمنين ﷺ في السنة التي رجع أمر تقليد جلّ الشيعة إلى خاتم الفقهاء صاحب (جواهر الكلام)، كان همّه وهّمته أخذ المسائل المتفرقة المحتاج إليها التي لم تكن موجودة في الرسالة العملية، قال: وجمعت منها قريباً من تسعمائة مسألة قد كتبت جوابها بخطّه.

وأقبل علينا شهر محرّم الحرام، والشيخ ﷺ ترك الزيارة؛ لكثرة اشتغاله بتهديب المسائل واستخرجها، فتبعناه في ذلك، واشتغلنا بذلك، وبقينا في النجف، فلما كانت ليلة تاسوعاء أو عاشوراء رأيت أمير المؤمنين ﷺ في المنام، وهو يقول لي معتباً: أيترك زيارة الحسين أو مثل الحسين ﷺ في عاشوراء؟».

ثم قال: «... إنّه جرّب هو بنفسه، ونقله أيضاً عن جماعة من المشايخ، أنهم متى تركوا الزيارة لمانع الاشتغال، عوقبوا بعدم التوفيق به في أزيد من زمان الزيارة...»^(٢).

(١) كاشف الغطاء، الشيخ جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ج ١، ص ٣٢٠ وما بعدها.

(٢) النوري، الميرزا حسين، دار السلام فيما يتعلّق بالرؤية والمنام: ج ٢، ص ٢٢٤ وما بعدها.



ومن هنا؛ روى الشيخ الصدوق، عن محمد بن الحسن، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن الخيبري، عن محمد بن القاسم الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام (في حديث) أنه قال لأعرابي قدم من اليمن لزيارة الحسين عليه السلام: «ما ترون في زيارته؟ قال: إنّا نرى في زيارته البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأمورنا ومعاشنا وقضاء حوائجنا. قال: فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا أبا أخي اليمن؟ قال: زدني يا ابن رسول الله. قال: إنّ زيارة أبي عبد الله عليه السلام تعدل حجة مقبولة متقبلة زكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله. فتعجب من ذلك! فقال له: أي والله، وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله صلى الله عليه وآله. فتعجب! فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١). إنّ من أسرار هذه الرواية المراتب المذكورة فيها، ومنها العدد ثلاثون؛ إذ قد بدأ الإمام عليه السلام بحجة وختم بثلاثين حجة، وعبر عنها بأتمها مبرورة متقبلة زكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

ففي هذه الرواية مجموعة من النقاط:

الأولى: ورد في الرواية أنّ زيارة قبر الإمام عليه السلام تعدل ثلاثين حجة، مع أنّ الحج لا يجب على المكلف أكثر من مرة، بالرغم من أهميته ومتطلباته وشروطه.

الثانية: وصفت الحجة بأتمها مبرورة، وهي الحجة الخالية من الذنوب والمعاصي.

الثالثة: لم يقتصر الإمام عليه السلام بوصفها مبرورة فحسب، بل قال عنها: (متقبلة)، وهذه الزيادة في التوصيف والتأكيد ما هي إلا زيادة في المرتبة، وهو ما يثير الحيرة والتأمل، فقد ورد هذا الوصف في قوله تعالى: ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا بِنَاتٍ حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٩٣.

(٢) آل عمران: الآية ٣٧.

إذا؛ هذه الزيارة تعدل حجة وأتمها مبرورة، بل إتمامها متقبلة، وذلك القبول ذكرته الآية المباركة المتقدمة.

الرابعة: أن سر الزيارة لم يتوقف على هذا الحد، بل هي تعدل حجة مبرورة متقبلة و(زاكية) أيضاً، والزاكية هي المزكاة والمصفاة من كل شيء.

الخامسة: أن هذه الزيارة بأوصافها المتقدمة كانت مع رسول الله ﷺ، ولازم هذا أتمها مرهونة بقبول حج النبي ﷺ، فزيارة الإمام الحسين عليه السلام تحظى بهذا القدر من العظمة والأهمية، بينما لم نجد ذلك في فريضة الحج المعروفة.

المبحث الثاني: تفسير معنى السلام الوارد في الزيارة

ورد في الزيارة الشريفة قوله: «السلام عليك من الله، والسلام على محمد بن عبد الله...».

إن السلام هو أفضل تحية حيًا بها الله تعالى الأنبياء والمرسلين والأوصياء والعباد الصالحين، فالله عز وجل تارة يُحييهم مباشرة بلا واسطة كما في قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾^(٤).

وأخرى يُحييهم بتحية السلام بواسطة أحد أوليائه الصالحين، كما ورد على لسان كلیم الله موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾^(٥).

ومثل هذا السلام ليس مختصاً بدار الدنيا، بل هو أفضل هدية تكون من نصيب

(١) نوح: الآية ٧٩.

(٢) الصافات: الآية ١٠٩.

(٣) الصافات: الآية ١٢٠.

(٤) الصافات: الآية ١٣٠.

(٥) سورة طه: الآية ٤٧.



العباد الصالحين حين ملاقاته الله تعالى يوم القيامة، كما في الآية الكريمة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾^(١).

وكذلك الملائكة تتلقى أهل الجنة بالسلام، وتدعوهم إلى مائدة نعمة الله الكبيرة، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٢).
وأيضاً حين تُقبض أرواحهم حين الاحتضار كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوْفِّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ...﴾^(٣).

الحاصل: أن المؤمنين الصالحين يتلقون تحية السلام من كل ملاق لهم من الملائكة، وبالتالي السلام تحية إلهية، ولهذا وقع الكلام عند الأعلام في تفسير (السلام) الوارد في الزيارة «السلام عليك من الله، والسلام على محمد بن عبد الله...» على وجوه:
الوجه الأول: أن السلام مأخوذ من كلمة (سلم)، فيقال: سلم من الآفات سلامة، أي سلم من المكارة والآفات^(٤). ومنه قيل للجنة: دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات، وإليه يرجع ما قيل من أنه دعاء بالسلامة لصاحبه من آفات الدنيا والآخرة، فوضعه الشارع موضع التحية والبشرى بالسلامة، وكذلك معناه السلامة من الأذى.

والسلام من أسماء الله الحسنى، معناه سلامته مما يلحق الخلق من العيب والفناء^(٥).

وقال تعالى: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾^(٦)، أي لا يؤذونك كما يؤذيك غيرهم، وهذا المعنى يحتاج إلى قرينة زائدة ليكون الدعاء فيه لشيئته ومحبيه.

(١) الأحزاب: الآية ٤٤.

(٢) الزمر: الآية ٧٣.

(٣) النحل: الآية ٣٢.

(٤) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٩١.

(٥) أنظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ٣٩٢.

(٦) الواقعة: الآية ١٩.

وروي عن داود بن كثير الرقي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى السلام على رسول الله؟ فقال: «إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة، وخلق شيعتهم، أخذ عليهم الميثاق، وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا، وأن يتقوا الله، ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن، وأن يُنزل لهم البيت المعمور، ويظهر لهم السقف المرفوع، ويريحهم من عدوهم، والأرض التي يُبدلها الله من السلام ويُسلم ما فيها لهم لاشية (شبهة) فيها، قال: لا خصومة فيها لعدوهم، وأن يكون لهم فيها ما يُحبون، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك، وإنما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله، لعله أن يعجله عز وجل، ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه»^(١).

الوجه الثاني: أنه مأخوذ من السلام الذي هو اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣)، قيل في تفسيرها: إن السلام هو الله تعالى، ودار الجنة^(٤)، وسُمِّي عز وجل بذلك؛ لسلامته من الفناء والعيب والنقائص.

وقيل: لأنه مسلّم ومؤمن لكل من التجأ إليه مما ألمّ به من مكاره الحدثان، وحافظ على كل من توجه إلى جنبه بوسيلة الإيثار، وبالتالي يكون المعنى (الله عليك) أي حافظ لأسرارك المستترة، وعلومك المكنونة المخزونة من أن تنالها أيدي الجهلة، أو عاصم لك من الرجس والسهو والخطأ.

وقد يقال: إن المراد من (السلام عليك) أي اسم الله عليك بتفسيرها المتقدم^(٥).

الوجه الثالث: أن السلام من (السلم) وهو الصلح، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٦)، وورد هذا المعنى في أحاديث

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٥١، ح ٣٩.

(٢) الحشر: الآية ٢٣.

(٣) الأنعام: الآية ١٢٧.

(٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٤، ص ١٦٠.

(٥) أنظر: الشريف الكاشاني، الملا حبيب الله، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص ٢٦.

(٦) الأنفال: الآية ٦١.

كثيرة في كلمات الأئمة عليهم السلام وزياراتهم، قال النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ما نصّه: «أنا سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم»^(١).

وفي زيارة عاشوراء: «إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة»^(٢)، أي مسلم. فهذه الكلمة للإيدان بالمسألة وترك المحاربة، وقد كانوا يؤمنون بها من يخاف شرهم ومكيدتهم.

الوجه الرابع: معنى السلام من التسليم، فهو إما بشري للإمام الحسين عليه السلام بما بشره الله به من الغلبة والسلطة الكاملة على الأعداء والظالمين في زمان الرجعة، فقد ورد هذا المعنى في مصادرنا فيما رواه ابن سيرين، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال: «ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾^(٣)؟ قال: يقولون: لا قيامة ولا بعث ولا نشور. فقال: كذبوا والله، إنما ذلك إذا قام القائم، وكرّم معه المكرّون، فقال أهل خلافكم: قد ظهرت دولتكم يا معشر الشيعة، وهذا من كذبكم، يقولون: رجع فلان وفلان وفلان، لا والله، لا يبعث الله من يموت، ألا ترى أنه قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، كان المشركون أشدّ تعظيماً باللات والعزى من أن يقسموا بغيرها، فقال الله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾^(٥) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)»^(٥).

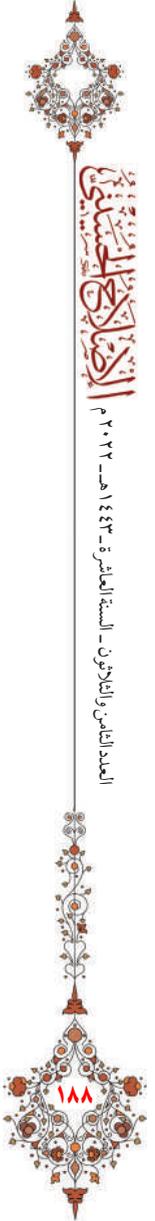
(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٥١٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٩. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجّد: ص ٧٧٤.

(٣) النحل: الآية ٣٨.

(٤) النحل: الآيات ٣٨-٤٠.

(٥) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٥٩ وما بعدها، ح ١. البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٤٢٠ وما بعدها.



أو هو إيدان بأن الزائر مسلّم ومفوّض له جميع أموره، مطيع له في جميع أوامره ونواهيه، ومؤمن بسرّه وعلائيته، كما ورد في الزيارة الجامعة: «مؤمن بسرّكم وعلائيّكم، وشاهدكم وغائبكم، وأولكم وآخركم، ومفوّض في ذلك كلّه إليكم ومسلّم فيه معكم، وقلبي لكم سلم (مُسلّم)، ورأبي لكم تبع، ونصرتي لكم معدّة، حتى يُحيي الله دينه بكم، ويردّكم في أيّامه، ويُظهركم لعدله، ويُمكنكم في أرضه، فمعكم معكم، لا مع عدوّكم...»^(١).

أو أنّهم لم يشكّوا كما شكّكنم، فاستقبلهم الملائكة بالبشرى من الله بالجَنّة^(٢). وغيرها من أخبار التسليم لآل محمد ﷺ^(٣).

الوجه الخامس: أنّ جملة (السلام عليك...) قد صارت حقيقة عرفية في إنشاء الثناء والتمجيد، نظير جملة الصلاة والتحميد، فيجري فيها ما ذكره في الحمد لله من الأصل، والعدول عنه إلى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام، وغير ذلك من تفصيل الكلام^(٤).

المبحث الثالث: صفات القائم بمقام الحجّة على الوجود

من الزيارات التي جمعت زيارة الأئمّة والإمام الحسين ﷺ، ما رواه محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران، عن علي بن حسان، عن عروة بن إسحاق بن أخي شعيب العرقوفي، عن عمّن ذكره، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «تقول إذا أتيت قبر الحسين بن علي ﷺ ويجزيك عند قبر كلّ إمام ﷺ: السلام عليك من الله، والسلام على محمد بن

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٤. ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥٣١.

(٢) الصّفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٥٤٤.

(٣) راجع: الصّفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٥٤٠ وما بعدها، حيث عقد باباً مستقلاً تحت عنوان: (باب في التسليم لآل محمد ﷺ فيما جاء عندهم صلوات الله عليهم).

(٤) أنظر: الشريف الكاشاني، الملاحيب الله، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص ٣١.

عبد الله، أمين الله على وحيه وعزائم أمره، الخاتم لما سبق، والفاتح لما استقبل. اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك، الذي انتجبت به علمك، وجعلته هادياً لمن شئت من خلقك، والدليل على من بعثته برسالاتك وكتبك، وديان الدين بعدلك، وفصل قضائك من خلقك، والمهيمن على ذلك كله، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

وتقول في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم صلّ على أمير المؤمنين عبدك وأخي رسولك - إلى آخره.

وفي زيارة فاطمة عليها السلام: أمتك و بنت رسولك - إلى آخره.

وفي زيارة سائر الأئمة: أبناء رسولك - على ما قلت في النبي صلى الله عليه وآله أول مرة - حتى تنتهي إلى صاحبك، ثم تقول: أشهد أنكم كلمة التقوى، وباب الهدى، والعروة الوثقى، والحجة البالغة على من فيها ومن تحت الثرى، وأشهد أن أرواحكم وطينتك من طينة واحدة، طابت وطهرت من نور الله ومن رحمته. وأشهد الله وأشهدكم أي لكم تبع بذات نفسي وشرايع ديني وخواتيم عملي، اللهم فاتم لي ذلك، برحمتك يا أرحم الراحمين. السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد أنك قد بلغت عن الله ما أمرت به، وقمت بحقه، غير واهن ولا موهن، فجزاك الله من صديق خيراً عن رعيّتك. أشهد أن الجهاد معك جهاد، وأن الحق معك ولك، وأنت معدنه، وميراث النبوة عندك وعند أهل بيتك. أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين.

ثم تقول: السلام على ملائكة الله المسومين، السلام على ملائكة الله المنزلين، السلام على ملائكة الله المردفين، السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحرم بإذن الله مقيمون.

ثم تقول: اللهم العن اللذين بدّلا نعمتك، وخالفا كتابك، وجحدوا آياتك، واتّهما رسولك، احشّ قبورهما ناراً، وأجوافهما ناراً، وأعدّ لهما عذاباً أليماً، واحشرهما وأشياعهما وأتباعهما إلى جهنم زرقاً، واحشرهما وأشياعهما وأتباعهما يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصمماً، مأواهم جهنم، كلّما خبت زدناهم سعيراً.

اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر ابن نبيك، وابعثه مقاماً محموداً، تنتصر به لدينك، وتقتل به عدوك، فإنك وعدته ذلك، وأنت الرب الذي لا تخلف الميعاد. وكذلك تقول عند قبور كل الأئمة عليهم السلام: ... وأشهد أنكم أصفياء الله وخزنته، وحبته البالغة، انتجبكم بعلمه أنصاراً لدينه، وقواماً بأمره، وخزاناً لعلمه، وحفظة لسره، وتراجمة لوحيه، ومعدناً لكلماته، وأركاناً لتوحيده، وشهوداً على عبادته، واستودعكم خلقه، وأورثكم كتابه، وخصّكم بكرائم التنزيل، وأعطاكم التأويل، وجعلكم تابوت حكمته، ومناراً في بلاده، وضرب لكم مثلاً من نوره، وأجرى فيكم من علمه، وعصمكم من الزلل، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس، وبكم تمت النعمة، واجتمعت الفرقة، واثلتف الكلمة، ولزمت الطاعة المفترضة، والمودة الواجبة، فأنتم أولياؤه النجباء، وعباده المكرمون.

أتيتك يا ابن رسول الله عارفاً بحقك، مستبصراً بشأنك، معادياً لأعدائك، موالياً لأوليائك، بأبي أنت وأمي، صلى الله عليك وسلم تسليماً...»^(١).
 الرواية معتبرة؛ لأنها من روايات (كامل الزيارات) وكتاب (نوادير الحكمة)، وقد تكلمنا في سندها في مقال سابق مستقل في أهمية كتاب (نوادير الحكمة) وسند الزيارات الواردة فيه.

ما يلزم توفّره في الحجّة

أولاً: إنّ الحجّة^(٢) لا بدّ أن يكون عالماً بمراد الله تعالى في حقّه وحقّ محجوجه، وإلّا لم يكن حجّة على الناس، فلا بدّ أن يكون معصوماً عن الجهل بمراد الله سبحانه

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٢٣-٥٢٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٦٠-١٦٢.

(٢) قال العلامة محمد تقي المجلسي: «احتجّ الله وأتمّ حجّته بهم على أهل الدنيا، بأن جعل لهم المعجزات الباهرة، والعلوم اللدنية، والأخلاق الإلهية، والعقول الربّانية، فهذا هم بهم إليه، ويحتجّ بهم في الآخرة بعد الموت أو في القيامة». المجلسي، محمد تقي، روضة المتّقين: ج ٥، ص ٤٦٣.



وتعالى، وكذلك لا بدّ أن يكون مبلغاً عن الله تعالى إلى الخلق، وإلا لم يكن حجّة، ولا بدّ أن يعرف المحجوج حجّته؛ لما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام، عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّه قال: «إنّ الحجّة لا تقوم لله عز وجل على خلقه إلا بإمام حيّ يعرفونه»^(١).

وفي تعبير آخر: «حتى يعرفونه»^(٢). وإذا لم يكن كذلك لم يمكنه التبليغ إلى من لا يعرفه، كما هو واضح لكلّ عاقل.

ثانياً: وكذلك لا بدّ أن يكون الحجّة البالغة غير عاجز، وإلا لم يكن حجّة، ويُشترط في الحجّة أن يكون عالماً بظواهر المحجوج وبواطنه، بحيث إذا أمر المحجوج بشيء وسمعه لكنّه لم يفهم المراد، يكون الحجّة عارفاً بعدم فهمه، فيكرّر عليه حتى يفهم، وإلا لم يكن مبلغاً ولا حجّة.

وهذا معناه أن يكون الحجّة معصوماً عن الجهل بظواهر المحجوج وبواطنه، وهذا المعنى فيه روايات كثيرة، فعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله مدينتين، أحدهما بالشرق، والأخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد، وعلى كلّ مدينة منهما سبعون ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف لغة، يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات، وما فيها وما بينها وما عليها حجّة غيري وغير الحسين عليه السلام أخي»^(٣).

ثالثاً: وكذلك ورد أنّ الإمام عليه السلام يعرف سوّال السائل قبل أن يسأل، فقد روى شهاب بن عبد ربّه، قال: «أتيت أبا عبد الله عليه السلام أسأله عن مسألة، فقال: إن شئت فاسأل، وإن شئت أخبرتك فيما جئت له. فقلت له: أخبرني. قال لي: جئت لتسألني عن الجنب يغرف الماء من الحبّ بالكوز، فتصيب يده الماء؟ فقلت: نعم. فقال: ليس به بأس»^(٤).

(١) الحميري القمي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص ٣٥١.

(٢) العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٥٥.

(٣) الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٥١٤. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٦٢.

(٤) ابن حمزة، محمد بن علي، الثاقب في المناقب: ص ٤٠٣. ونحوه في: الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٢٥٨.

رابعاً: ومن الشروط الرئيسية في قوام الحجّة هو العصمة، فلا بدّ أن يكون الحجّة معصوماً عن الغفلة والسهو والنسيان والعصيان فيما أمره الله تعالى أن يُبلّغه، وإلا لا يكون حجّة على الناس؛ فإنّ العاصي والغافل والناسي لا يمكنه التبليغ في الأوامر والنواهي الإلهية، بل لا بدّ أن يكون الحجّة من الذين قال الله سبحانه وتعالى في حقّهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣٦) لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

خامساً: ويُشترط أن يكون الحجّة شاهداً مطلعاً على أحوال المحجوجين في مشارق الأرض ومغاربها، فإذا زاد الناس شيئاً ردّهم، وإن نقصوا أتمّه لهم، كما ورد هذا المعنى في روايات بلغت حدّ التواتر، فعن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إنّ الأرض لا تخلو إلا وفيها عالم، كلّما زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً تمّمه لهم» (٢).

سادساً: ومما يتّصف به الحجّة أيضاً أنّه الشاهد على الناس جميعاً؛ لكونه يسمع الكلام ويشهد المقام، كما ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في الزيارة: «أشهد أنّك تسمع كلامي، وتشهد مقامي» (٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٦)، وغيرها من الآيات الكريمة (٧).

(١) الأنبياء: الآيتان ٢٦-٢٧.

(٢) الصّفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٣٥١. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٧٨.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢١١.

(٤) الأحزاب: الآية ٤٥.

(٥) البقرة: الآية ١٤٣.

(٦) النساء: الآية ٤١.

(٧) الحجّ: الآية ٧٨. المدثر: الآيتان ٥٠-٥١.



إذا؛ للحجة الشهادة على الناس أجمعين وبمختلف أحوالهم وأفعالهم وحركاتهم
وسكناتهم وأقوالهم وأعمالهم، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّيَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرُّدُونِ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْتِجُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

سابعاً: ومن شروط الحجّة أيضاً كونه عالماً بجميع منافع الأشياء ومضارّها
بالنسبة للمحجوجين، فعن هشام بن الحكم: «عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للزناديق
الذي سأله: من أين أثبت الأنبياء والرسول؟ قال: إنّهُ لما أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً
عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا
يلا مسوه، فيباشرهم ويباشره، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يعبرون
عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه
فناؤهم، فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبرون عنه جلّ وعزّ،
وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبون بالحكمة مبعوثين بها، غير مشاركين
للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤيدين من عند
الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من
الدلائل والبراهين؛ لكيلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته
وجواز عدالته» (٢).

وبالتالي لا يُعقل أن يكون الجاهل بمنافع الناس ومضارّها آمراً باستعمال شيء
ناهياً عن شيء، فلا يكون الجاهل حجّة لله سبحانه وتعالى.

ثامناً: ومن الشروط الهامة في الحجّة أن يكون قادراً على إيصال مراد الله سبحانه
وتعالى إلى الناس المكلفين المحجوجين؛ إذ لا فائدة في وجود عالم عاجز عن تبليغ
ما علم، وتعليمه للناس، فلا يكون العاجز عن التبليغ حجّة لله تعالى، قال عنه:

(١) التوبة: الآية ١٠٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٦٨.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾^(١). وجاء في زيارتهم عليهم السلام: «وبينتم فرائضه، وأقمتم حدوده، ونشرت شرائع أحكامه، وسنتتم سنته، وصرتم في ذلك منه إلى الرضا [أي رضا ربكم] وسلمتم له القضاء»^(٢)، وهذا المقطع من الزيارة يدل على أن الله تعالى قضى بأن الأئمة المعصومين عليهم السلام حجة الله على المكلفين المحجوجين.

ولما كان الناس المحجوجون غير معصومين عن الزيادة والنقصان والغفلة والنسيان، فلا بد من وجود حجة بينهم وعليهم كما تقدم في الرواية «كلما زاد المؤمنون شيئاً ردهم، وإن نقصوا شيئاً تممهم لهم»^(٣)، سواء أكان المحجوجون في بلده وحضوره، أم كانوا في مشارق الأرض ومغاربها، وسواء كانوا عارفين به وبمكانه، أم كان غائباً، كما قال الحجة عليه السلام: «إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء»^(٤) واصطلمكم الأعداء»^(٥). وسواء كان في دار الدنيا، أم في عالم البرزخ، أم في عالم الآخرة، كما ورد في الزيارة: «السلام عليك يا شجرة الندي، وصاحب الدنيا، والحجة على جميع الورى في الآخرة والأولى»^(٦).

(١) الأنعام: الآية ١٤٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٢، الزيارة الجامعة الكبيرة. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٠٦. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٩٧.

(٣) الصقار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٣٥١. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٧٨.

(٤) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. ومنه الحديث: «قال له: أأنت تحزن؟ أأنت تُصيبك اللأواء؟». والحديث الآخر: «من صبر على لأواء المدينة». ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٤، ص ٢٢١. وفي لسان العرب: «اللأواء المشقة والشدة، وقيل: القحط. يقال: أصابتهم لأواء وشصاء، وهي الشدة، قال: وتكون اللأواء في العلة». ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٥، ص ٢٣٨.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٨.

(٦) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣٠٤.



معنى (كلمة الله)

وفي تفسير (كلمة التقوى) وجوه:

الوجه الأول: أنها الإيثار، فكونهم كلمة التقوى؛ لكون ولايتهم مشروطة في تحقّقه، كما ورد في الزيارة الجامعة «وبمواالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة»^(١).

الوجه الثاني: أنها كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولا شك أن ترتّب الآثار عليها موقوف على الإقرار بإمامتهم والإذعان بولايتهم، كما ورد في حديث السلسلة الذهبية عن الإمام الرضا عليه السلام، عن جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول: «سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: سمعت الله جبرئيل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي. قال: فلما مرّت الراحلة نادانا: بشر وطها، وأنا من شروطها»^(٢).

الوجه الثالث: أن كلمة التقوى هي العهد الذي عهده الله في الإمام علي عليه السلام وذريته، ففي الحديث في معنى كلمة التقوى قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ الله جبرئيل عهد إلي في علي عهداً، قلت: يا ربّ، بيّنه لي. قال: استمع. قلت: قد سمعت. قال: إنّ علياً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين، من أحبّه أحبّني، ومن أطاعه أطاعني»^(٣).

الوجه الرابع: أن المراد من الكلمة هي الدعوة إلى الإسلام كما قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾^(٤)، فهم عليهم السلام كلمة التقوى؛ لكونهم الدعاة إلى

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥٣٣. وراجع شرح الفقرة في: شبر، عبد الله، شرح الأنوار اللامعة: ص ١٨٨.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ١٤٥. قال الشيخ الصدوق في ذيل الحديث: «من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنّه إمام من قبل الله جبرئيل على العباد، مفترض الطاعة عليهم».

(٣) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ١٢٦.

(٤) التوبة: الآية ٤٠.

شرائع الإسلام وجوامع الأحكام، فهم المثل الأعلى^(١)، فالإمام المثل الأعلى وأئمة الهدى الأمثال العليا^(٢).

الوجه الخامس: أنّها بمعنى الحجّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾^(٣)، أي بحججه، فإنّهم حجج الله على الخلق، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أحد واحد، تفرّد في وحدانيّته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً ﷺ وخلقني وذريّتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتجّ على خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء...»^(٤).

الوجه السادس: أنّ الكلمة هي الخلق البديع كما يقال لعيسى عليه السلام أنّه كلمة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...﴾^(٥)؛ لأنّ عيسى خلقه بأمره من دون أب، فشابه البدعيّات، فأهل البيت عليهم السلام كانت عليهم الصفات الإلهية، وفيهم العجائب الربّانية، فهم مشاهبون للبدعيّات، وهم كلمات الله التامّات، خلقهم الله لإرشاد المتّقين إلى طرق التقوى والصّلاح، وهدايتهم إلى سبيل الفلاح والنجاح^(٦).

ولعلّ الأقرب من الوجوه المتقدّمة أنّهم عليهم السلام نور واحد كما ورد في حديث النورانية.

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٠، ورد في الزيارة الجامعة: «السلام على أئمة الهدى، ومصاييح الدجى، وأعلام التقى، وذوي النهى، وأولي الحجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى، ورحمة الله وبركاته».

(٢) النازي الشاهرودي، الشيخ علي، مستدرک سفينة البحار: ج ٩، ص ٣١٩.

(٣) الأنفال: الآية ٧.

(٤) الحليّ، حسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات: ص ٣٢.

(٥) النساء: الآية ١٧١.

(٦) أنظر: الشريف الكاشاني، الملاحيب الله، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص ١٥٣.



معنى (العروة الوثقى)

وأما تفسير (العروة الوثقى)؛ فإن (العروة) في اللغة معروفة^(١)، و(الوثقى) مؤنثة الأوثق، ويقال: العروة الوثيقة، وهي العروة المستحكمة التي يُستمسك بها، فشبهوا ﷺ بها؛ لأنَّ المستمسك بهم لا يضلُّ ولا يهوى. وجاءت في القرآن الكريم بمعنى الإيمان، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ...﴾^(٢). وفي بعض الأخبار أنَّ (العروة الوثقى) هي التسليم لأهل البيت ﷺ^(٣).

الخاتمة والتوصيات

١. أثبت البحث أنَّ أسلوب الأئمة ﷺ في الزيارات - ولا سيَّما زيارة الإمام الحسين ﷺ - من الأساليب الأدبية العالية، كالأدعية الواردة عنهم ﷺ، متأثرة بأسلوب القرآن الكريم.
٢. يشير البحث إلى أنَّه يصحَّ الاعتماد على روايات فضل زيارة الإمام الحسين ﷺ في ترتيب الأثر على تركها.
٣. أثبت البحث أنَّ بعض المقاطع من زيارته ﷺ هي بمثابة تأسيس لكثير من القضايا الدينية والعقدية في ولاية أهل البيت ﷺ.
٤. يرجَّح البحث أنَّ في بعض فقرات زيارة الإمام الحسين ﷺ ثبوت الإمامة والعصمة لأهل البيت ﷺ.
٥. أثبت البحث أنَّ الأئمة ﷺ هم نور واحد، وهم حجَّة الله على الخلق، خلقهم الله لإرشاد المتقين إلى طرق التقوى والصلاح.

(١) أنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج ٢، ص ٤٠٦.

(٢) البقرة: الآية ٢٥٦.

(٣) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ٢، ص ٦٣ وما بعدها.

ويوصي الباحث بأن زيارة الأئمة عليهم السلام - وخاصة الإمام الحسين عليه السلام - تحتاج مزيداً من البحث والدراسة، لذا ينبغي إجراء دراسة معمّقة ودقيقة في نقاط الاشتراك والافتراق في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، واستظهار الدلائل المتعدّدة لمضامينها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء)، السيّد عبد الله شبر (ت ١٢٢٠هـ)، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣ . البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، قم.

٤ . بصائر الدرجات، محمد بن حسن بن فروخ الصفّار (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق: حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.

٥ . تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، إيران - طهران.

٦ . تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي (ت نحو ٣٢٩هـ)، تحقيق: السيّد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف، العراق - النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ.

٧ . تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٨ . الثاقب في المناقب، أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة

- (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق: نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
٩. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، نشر: منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ ش.
١٠. جنّة الحوادث في شرح زيارة وارث، الملاّ حبيب الله الشريف الكاشاني (ت ١٣٤٠هـ)، تحقيق وتعليق: نزار الحسن، مكتبة هيئة الأمين عليه السلام، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
١١. الخصائص الحسينية، الشيخ جعفر التستري (ت ١٣٠٣هـ)، انتشارات الشريف الرضي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ.
١٢. دار السلام فيما يتعلّق بالرؤيا والنام، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٣٠هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
١٣. روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠هـ)، بنياد فرهنگ إسلامي، إيران - قم المقدّسة.
١٤. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، النعمان بن محمد القاضي المغربي (ت ٣٦٣هـ) تحقيق: السيّد محمد الحسيني الجلاّلي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
١٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
١٦. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة (رجال النجاشي)، أحمد بن علي النجاشي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيّد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.
١٧. قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري القميّ (ت ٣٠٤هـ)،

تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٨ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

١٩ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، ومؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٠ . كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ)، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي (فرع خراسان): عباس التبريزيان، محمد رضا الذاكري (طاهريان)، عبد الحليم الحلي، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش.

٢١ . كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد بن عبد الله السيوري (ت ٨٢٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر (شريف زاده)، أشرف على تصحيحه وإخراج أحاديثه: محمد باقر البهبودي، المكتبة الرضوية، طهران، ١٣٨٤ / ١٣٤٣ش.

٢٢ . لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، إيران - قم، ١٤٠٥هـ / ١٣٦٣ق.

٢٣ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢٤ . مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي (من أعلام القرن التاسع الهجري)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م.

٢٥ . المزار، محمد بن جعفر المشهدي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق:



جواد القيومي الأصفهاني، مؤسّسة النشر الإسلامي، ونشر القيوم، إيران - قم،
الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٦. المزار، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق:
محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة
الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٧. مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ)، تحقيق
وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، ١٤١٨هـ.

٢٨. مسند الإمام الرضا عليه السلام، تجميع وترتيب: عزيز الله عطاردي الخبوشاني، المؤتمر
العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٦هـ.

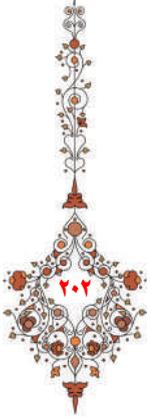
٢٩. مصباح المتهجّد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسّسة
فقه الشيعة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد المقرئ الفيومي
(ت ٧٧٠هـ)، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣١. معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه
القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، مؤسّسة النشر التابعة لجماعة
المدرّسين، قم المقدّسة، ١٣٧٩هـ.

٣٢. مَنْ لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه
القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق:
علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم
المقدّسة، الطبعة الثانية.

٣٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن
محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي،
محمود محمد الطناحي، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم
المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ش.



أهمية زيارة الإمام الحسين عليه السلام في روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام

حسن تركاشوند

مدير قسم الكلام والمعارف في معهد بحوث الحج والزيارة
وطالب بحث الخارج في الحوزة العلمية/ قم المقدسة

ترجمة: الشيخ علي ماجد البدرابي

شعبة الترجمة، مؤسسة وارث الأنبياء

للدراستات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

The Importance of Ziyara in the Narrations of the Infallible Imams (PBUT)

Hasan Tarkashvand

Head of the Department of Theology at the Institute
of Hajj and Ziyara Studies and
student at Bahath Kharej level
at the Islamic Seminaries in Qom.

Translated into Arabic by: Shaykh Ali Majed al-Badrawi
Department of Translation, The Warith al-Anbiya Institute
for Specialized Studies on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH)

ملخص البحث

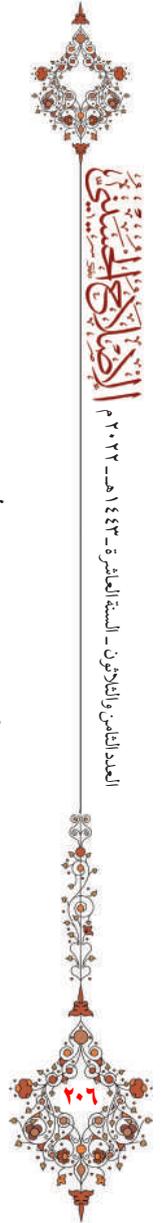
[يتناول البحث مجموعة من النصوص الروائية التي تؤكد أهمية زيارة الإمام الحسين عليه السلام والآثار المترتبة عليها، مبيّناً أنّها من أفضل الزيارات التي ورد التأكيد عليها في موروثنا الروائي. ومن هنا؛ تطرّق البحث إلى ذكر جملة من الآثار المادّية والمعنوية التي تترتب على فعل الزيارة، والتي تنعكس بركاتها وآثارها على الزائر في الدارين. كما أشار إلى الآثار السلبية المترتبة على ترك الزيارة، فذكر جملة من الروايات التي تحذّر من ترك الزيارة، وتعتبره من الجفاء بحق أهل البيت عليهم السلام، بل إنّ بعض النصوص اعتبرت تارك الزيارة ناقص الإيمان، وخارجاً عن مذهب أهل البيت عليهم السلام].

[الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، الزيارة، الآثار، القصد، القبر]

Abstract

This study deals with a series of texts from the narrations, which ascertain the importance of visiting Imam al-Husayn (PBUH) and the implications therein. Among the visitations emphasized in the heritage of the narrations, the visitation of Imam al-Husayn (PBUH) is among the most revered ones. Therefore, the material and spiritual implications of this visitation are mentioned in this study, together with the sustenance reflected on the visitor in this world and the hereafter. The negative consequences of refraining from undertaking Ziyara (visitation) are also discussed where the researcher mentions the narrations warning against refraining from undertaking Ziyara, and that consider this an act of negligence towards the Household (PBUT). Some reports further consider the refrainer's act indicative of a deficient faith, and that said person has left the sect of the Household (PBUT).

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), Ziyara, implications, objective, grave.



المقدمة

تُعتبر الزيارة واحدة من الحقائق العميقة التي تحمل بين طياتها معانٍ كبيرة، التي كانت وما تزال موضع تأكيد مختلف الأديان التوحيدية، ولا شك بأن لها الأثر الكبير في ارتقاء الأهداف الإنسانية والدينية العالية. لقد كان هناك وعلى مرّ التاريخ أناس استمرّت حياتهم وشخصيّتهم وأفكارهم بعد مماتهم. ويعتبر الحضور بين يدي هؤلاء الأفراد وزيارتهم بعد شهادتهم له من التأثير والفعالية والقيمة العالية والإلهام ما كان لهم في حياتهم.

كما أنّ زيارة مرآد الشخصيات الإلهية تعتبر دعماً للحقّ والعدل والفضيلة؛ ذلك أنّ كلّ زائرٍ يدخل إلى مرقد صاحب ذلك المشهد الشريف عارفاً بمقامه وأهدافه فإنّه يأخذ من صاحب القبر إلهاماً ويكتسب أصول مدرسته وتعاليمها ويستحضرها، وكلّ سلام وزيارة يقوم بها الزائر سيكونان مليئين بهذه التعاليم والإلهامات.

والمصداق البارز والأمثل لهذه الشخصيات هي الوجود المبارك للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولمولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وللأئمة المعصومين عليهم السلام، فزيارة هؤلاء الأطهار هي دليل على احترام مقامهم، واتباع طريقهم، وتجديد العهد بهم، والوفاء لولايتهم، وإحياء لذكورهم وثقافتهم وتعاليمهم^(١). يقول الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أتمّتهم شفعاءهم يوم القيامة»^(٢).

(١) أنظر: محدثي، جواد، فرهنگ عاشورا (ثقافة عاشوراء): ص ٢٠٣.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٤٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ١٢٤. [في رواية البحار ذكرت عبارة: (وحسن الأداء) بعد عبارة: (تمام الوفاء بالعهد)] (المحرّر).



إن من أفضل الزيارات وأقدسها التي جاءتنا في الموروث الديني والروايات الإسلامية هي زيارة سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء، ولم ترد في زيارة أي واحد من الأئمة بل حتى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله هذا القدر من التوصية. فقد جاء في الأحاديث أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام أفضل من زيارة الكعبة، وأنّ ثواب زيارته يعادل عشرات بل مئات أضعاف ثواب الحجّ والعمرة^(١). وقد جاءت نصوص الروايات بصورة تُظهر بأنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعتبر في حدّ الفريضة للشيعة، ويعتبر تركها أمراً منهيّاً عنه. بل جاء في بعض الروايات أنّه لا يوجد أي سبب ولا أي خطر يحول دون زيارة الحسين عليه السلام، ويعتبر ترك زيارته جفأً له، فقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجلّ»^(٢).

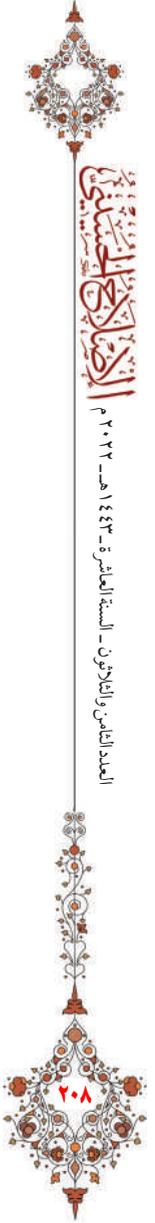
كما روي - في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام - عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: «... وزيارته مفترضة على من أقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ»^(٣). وجاء في بعض الروايات بأنّ الشوق إلى زيارة الحسين عليه السلام علامة أهل الجنة، ويُعرف به الصدق في ادعاء محبّة أهل البيت عليهم السلام، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من أراد أن يعلم أنّه من أهل الجنة فليعرض حبّنا على قلبه فإنّ قبله فهو مؤمن، ومن كان لنا محبّاً فليرغب في زيارة قبر الحسين عليه السلام، فمن كان للحسين عليه السلام زوّاراً عرفناه بالحبّ لنا أهل البيت، وكان من أهل الجنة، ومن لم يكن للحسين عليه السلام زوّاراً كان ناقص الإيمان»^(٤). ومع استشعار المؤمنين أنّ قبر سيّد الشهداء عليه السلام الحقيقي هو في قلوبهم وفي

(١) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٦١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢١. المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٢٦. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٣٤٠.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٠٦. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٤٦.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٩٣.



قلوب محبّيه، ولكن حرمة المطهر يعتبر الشاهد والمذكّر بتضحياته وأصحابه وإيثارهم في سبيل الله. وهذا ما شرف تلك الأرض التي فيها المرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام؛ وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «موضع قبر الحسين عليه السلام منذ يوم دفن فيه روضة من رياض الجنة»^(١).

من المناسب بداية أن تكون لنا إشارة إلى شرف وآثار هذا المرقد الشريف، ثم بعد ذلك نتعرّض إلى أهميّة زيارة هذا المرقد الطاهر وآثار تلك الزيارة وبركاتها.

المحور الأوّل: آثار المرقد المطهر للإمام الحسين عليه السلام وبركاته

١. محلّ نزول ملائكة الله

يقول الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: «قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً، روضة من رياض الجنة، وفيه [ومنه] معراج الملائكة إلى السماء، وليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلّا وهو يسأل الله أن يزوره؛ ففوج يهبط وفوج يصعد»^(٢).

٢. موضع لإجابة الدعاء وقضاء الحاجات

لقد جعل الله سبحانه وتعالى بركات في ذلك المرقد الشريف جزاءً للإيثار والتضحية التي بذلها سيّد الشهداء عليه السلام من أجل حفظ الإسلام وهداية البشرية، ومن تلك البركات هي استجابة الدعاء وقضاء الحوائج فيه، يقول الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: «إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعدّ أيام زائريه جائئاً وراجعاً من عمره»^(٣).

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧٩. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤١٦.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٢. البحراني، هاشم بن سليمان، مدينة معجز الأئمّة الاثني عشر: ج ٤، ص ٢٠٤.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٣١٧. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٢٣.



وفي رواية أخرى يُظهر الإمام الصادق عليه السلام أن مرقد الإمام الحسين عليه السلام موضع لقضاء حوائج الدنيا والآخرة، ويقول: «يا شعيب... ولا دعا عنده أحد دعوة إلا استجيبت له عاجلة وآجلة...»^(١).

٣. الصلاة تماماً للمسافر فيه

من جملة الأماكن التي يكون فيها المسافر مخيراً بين القصر والتمام هو الحرم الطاهر للإمام الحسين عليه السلام. وربما كان السبب في ذلك هو أن ذلك المكان يعتبر بمثابة الوطن للإنسان، أو أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعطي لزائر الحسين عليه السلام ثواباً أكثر بسبب عبادته الأكثر.

عن أبي شبل، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام أزور قبر الحسين عليه السلام؟ قال زر الطيب وأتم الصلاة عنده. قال: أتم الصلاة عنده؟ قال: أتم. قلت: فإن بعض أصحابنا يروي التقصير. قال: إنما يفعل ذلك الضعفة»^(٢).

٤. قبول الصلاة

إن العبادات التي يقوم بها الإنسان حتى تكون مؤثرة - وبغض النظر عن شرط صحتها - يُشترط في قبولها أن تكون كاملة كذلك، وشرط قبول العبادة وكما لها يعود في الحقيقة إلى روح العبادة، أي أنه مضافاً إلى ظاهرها ورعاية جوانبها أتمها توصل الإنسان إلى القرب الإلهي والسمو المعنوي.

جاء في المصادر الإسلامية شروط من أجل قبول العبادات، وبالذات قبول الصلاة التي تعتبر النموذج البارز للعبادة، وتجسيداً للعبودية، حيث إن مراعاة تلك الشروط يعتبر شرطاً في قبول الصلاة. ومن الشروط: الإيذان بالله^(٣)، قبول ولاية

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٧.

(٣) المائدة: الآية ٥. والنحل: الآية ٩٧.

الأولياء الإلهيين^(١)، التقوى^(٢)، حضور القلب، أداء حق الناس^(٣)، وغيرها. وتحقيق هذه الشروط يعتبر أمراً صعباً جداً، وربّما القليل من يمكنهم النجاح في توفير جميع هذه الشروط فتقبل صلاته بين يدي الله سبحانه وتعالى. ولكن من جملة الألفاظ الإلهية على عباده، أن جملة من الآثار الخاصة بالضريح المطهر لسيد الشهداء عليه السلام هي أن الله سبحانه وتعالى يقبل الصلاة التي يصلّيها المؤمنون في ذلك المكان.

ورد عن شعيب العرقوفي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت له: من أتى قبر الحسين عليه السلام ما له من الثواب والأجر جعلت فداك؟ قال: يا شعيب، ما صلّى عنده أحد الصلاة إلا قبلها الله منه...»^(٤).

المحور الثاني: آثار زيارة مرقد سيد الشهداء عليه السلام وبركاته

إن من أفضل الزيارات قدسية وفضيلة من بين العبادات التي جاءتنا في الموروث الروائي في الإسلام وتمّ التأكيد عليها، هي زيارة الإمام الحسين عليه السلام، التي تحمل أهمية قصوى؛ حيث إنّه لم يُذكر لأيّ واحد من المعصومين عليهم السلام هذا القدر من التأكيد. فزيارة الإمام الحسين عليه السلام كانت وما زالت الأمانة التي يتمنّاها كلّ رجل وامرأة مسلمين، حيث إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تحمل خصوصية خاصة، فأولئك الذين ينالهم التوفيق ويذهبون لزيارة ذلك المرقد الطاهر، يتعلّمون في حضرته معاني العشق والفضيلة والكمال، فكلّ زائر يزور بمعرفة وعلم بمقام صاحب المرقد وأهدافه، فإنّه يستلهم منه أصول وتعاليم مدرسته، فكلّ زيارة وكلّ سلام على الإمام عليه السلام يحمل بين طياته الكثير من التعاليم والإلهامات.

(١) «من دان الله بعبادةٍ يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول». الحرّ العاملي، محمد بن

الحسن، وسائل الشيعة: ج ١، ص ٩٠.

(٢) المائدة: الآية ٢٧.

(٣) «من صلّى ولم يركّ لم تقبل صلاته». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٦، ص ١٢.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٢. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل

الشيعة: ج ١٤، ص ٥٨٣.



فعلى كلِّ زائر أن يسعى جاهداً حتى يأخذ الفيض من دار الشفاء هذه، ليعالج بها أوجاع قلبه وروحه، حتى يتزيّن ظاهره وباطنه بالجمال والكمال، ويتطهّر من الأدران والملوثات.

وقد جاء في الروايات الإسلامية الكثير من الآثار والبركات في زيارة قبر سيّد الشهداء عليه السلام. وبالطبع أنّ تلك الزيارة هي التي تكون عن معرفة وعلم بمقام الإمام ومنزلته، والمراد من أن يكون الزائر عارفاً بحقّ الإمام عليه السلام، هو أن يكون لديه اليقين بأنّه إمام وقُدوة وأُسوة وقائد، أي أنّه يستحقّ الاتّباع، فمن المناسب والضروري أن يقتدوا به ويتبعوه في جميع الأمور الجزئية منها والكلّية. فعلى الناس أن يصدّقوا بأنّ طاعة الإمام هي من الواجبات، وأنّ أمره أمر الله ونهيه من الله، فهكذا تصديق لا يتحقّق إلا إذا تحقّق لنا التصديق بأنّ وجود الإمام المعصوم هو بمقتضى الرحمة والعدل الإلهيين في الأرض واللفظ بالعباد.

على الزائر الحقيقي أن يتحلّى بهذا الاعتقاد، وهو أنّ الإمام عليه السلام غريب وغير معروف كما يستحقّ من المعرفة في جميع العوالم، وأنّ حقّه لم يُعرَف ولا يُودَى. على الزائر أن يتحلّى بهذه العقيدة وهي أنّ الإمام عليه السلام شاهد على جميع أمور العالم وفي جميع العوالم، سواء أقال العباد منها أم أفعالهم، وشهيد وناظر عليهم. فالإمام له إشراف كامل على جميع العالم، فهو يعلم كلّ جزء منّا، بل حتى نوايانا، بمقتضى ما ألهمه الله عز وجل.^(١) ومن هنا؛ يمكن أن نتناول بعض آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهي:

١. الكون في أمان الله عز وجل

إنّ أحد آثار زيارة سيّد الشهداء عليه السلام هو أنّ الزائر له عليه السلام يكون هو وأمواله في أمان الله طيلة أيام الزيارة، وأنّ الله سبحانه وتعالى سوف يحفظه في الآخرة كذلك. سُئل الإمام الصادق عليه السلام عمّا هي أقلُّ آثار زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام؟ فقال الإمام عليه السلام في

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٣٥.

جواب ذلك: «إنّ أدنى ما يكون له أنّ الله يحفظه في نفسه وماله حتى يرده إلى أهله، فإذا كان يوم القيامة كان الله أحفظ له»^(١).

٢. كان كمن زار الله عز وجل

يقول زيد الشحام: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ماذا لزائر الإمام الحسين عليه السلام من الربح؟ فقال عليه السلام: كان كمن زار الله في عرشه. قال: قلت: ما لمن زار أحداً منكم [أحدكم]؟ قال: كمن زار رسول الله»^(٢).

٣. غفران الذنوب

إنّ الله غفّار الذنوب، أي أنّه يعفو عن المذنبين بسبب توبتهم أو قيامهم بأعمال الخير والبرّ. ومن أفضل أعمال الخير التي جعل الله لها أثراً عظيماً كرامة لسيد الشهداء، هي زيارة مرقده الشريف، ومن آثارها غفران الذنوب، فعن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل حول ذلك، أنّه قال: «فإذا انقلبت من عند قبر الحسين عليه السلام ناداك مناد... طوبى لك أيها العبد، قد غنمت وسلمت، قد غفر لك ما سلف فاستأنف العمل...»^(٣).

٤. السبق في الدخول إلى الجنة

يقول الراوي: سمعت الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ لزوّار الحسين بن علي عليه السلام يوم القيامة فضلاً على الناس. قلت: وما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنة قبل الناس بأربعين عاماً»^(٤).

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٩٠.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٤٧. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٩.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٣.

(٤) المصدر السابق: ص ١٣٧. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٢٥.



ه. عدم احتساب أيام الزيارة من عمر الزائر

عن الإمام الرضا عليه السلام، عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن أيام زائري الحسين عليه السلام لا تُحسب من أعمارهم، ولا تُعدّ من آجالهم»^(١).

٦. مجالسة أهل البيت عليهم السلام في الجنة

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من أراد أن يكون في جوار نبيّ صلى الله عليه وآله وجوار عليّ وفاطمة، فلا يدع زيارة الحسين بن علي عليه السلام»^(٢).

وقال عليه السلام في رواية أخرى: «إن الله تبارك وتعالى جعل ملائكة موكلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ الرجل بزيارته واغتسل ناداه محمد صلى الله عليه وآله: يا وفد الله، أبشروا بمرافقتي في الجنة»^(٣).

وورد أيضاً: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين زوّار الحسين بن علي. فيقوم عنق من الناس لا يحصيهم إلا الله تعالى فيقول لهم: ما أردتم بزيارة قبر الحسين عليه السلام؟ فيقولون: يا رب، أتيناه حباً لرسول الله وحباً لعلّي وفاطمة، ورحمة له ممّا ارتكب منه. فيقال لهم: هذا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فالحقوا بهم، فأنتم معهم في درجاتهم، الحقوا بلواء رسول الله. فينطلقون إلى لواء رسول الله فيكونون في ظلّه، واللواء في يد علي عليه السلام حتى يدخلون [يدخلوا] الجنة جميعاً، فيكونون أمام اللواء وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه»^(٤).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٦. أنظر: المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٣٤٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٧.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٣.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٤١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

٧. نيل ثواب الحج والعمرة

جاء في بعض الروايات أنّ ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام يعادل ثواب حجة كاملة مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله (١)، وجاء في بعضها أيضاً ما يعادل ثواب ثلاث حجج مع النبي صلى الله عليه وآله (٢)، وفي بعض آخر ثواب ثمانين حجة مبرورة (٣).

وربّما أنّ السبب في هذا الاختلاف هو الكيفيات ودرجات زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ ذلك أنّ نوايا الزائرين ودرجات إخلاصهم وكيفية وزمان ذهابهم إلى الزيارة، والأموال التي يبذلونها في هذا الطريق، تختلف فيما بينهم. وعدد هذه الروايات كثير جداً، وقد أشرنا هنا إلى نموذج واحد منها.

يقول الراوي: سألت الإمام الصادق عليه السلام: «ما ثواب من يذهب لزيارة قبر الإمام الحسين بن علي عليه السلام عارفاً بحقه، وتكون زيارته من دون تكبر ولا استعلاء؟ أجب الإمام عليه السلام: يكتب له ألف حجة مقبولة وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقيماً كتب سعيداً، ولم يزل يخوض في رحمة الله» (٤).

٨. طول العمر وسعة الرزق

يُنقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله» (٥).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٣٦.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٦٢.

(٤) المصدر السابق: ص ١٤٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٠.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥١. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل

الشيعة: ج ١٤، ص ٤٤٥.



٩. مرافقة الملائكة

روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «أربعة آلاف ملك شعث غبر، يكون الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، فلا يأتيه أحد إلا استقبلوه، ولا يرجع أحد من عنده إلا شيعوه، ولا يمرض أحد إلا عادوه، ولا يموت أحد إلا شهدوه»^(١).

١٠. الزهراء عليها السلام تطلب له المغفرة

يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الأمر: «إن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله تحضر زوار قبر ابنتها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم»^(٢).

كانت هذه نماذج من الروايات التي بينت ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام. وهناك في الموروث الروائي آثار كثيرة أخرى تمّ بيانها أيضاً؛ آثار مثل: تباهي الله سبحانه وتعالى بالزوار، غيرة الآخرين ممّا يناله الزوار، نيل ثواب صلاة سبعين ألف ملك بجوار ضريح الإمام، إعطاء صحيفة أعمال الزائر بيمينه، تبديل سيئاتهم إلى حسنات، سرور أهل البيت عليهم السلام من الزوار، حرمة أجساد الزوار على نار جهنم، نيل ثواب الشهادة في سبيل الله، نورانية الزائر، ثواب إعتاق ألف رقبة، تسهيل سكرات الموت، وغيرها. ويمكن لمن يرغب في المزيد أن يراجع المصادر الروائية^(٣).

ربّما يمكننا إرجاع الاختلاف في الأخبار المتعلقة بآثار الزيارة إلى اختلاف الأشخاص وأعمالهم، وكذلك إلى زيادة الخوف وقلته في طريق الزيارة، وكذلك قرب أو بعد الطريق، أو غير ذلك؛ حيث إنّ كلّ عمل خير تختلف مراتبه باختلاف مراتب

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٨٩. ابن بابويه، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٨٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٥٥. الطبرسي، ميرزا حسين النوري، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ١٠، ص ٢٤٢.

(٣) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات. والحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة. والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار. وابن بابويه، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال.

الإخلاص والمعرفة والتقوى، وبقية الشروط التي توجب كمال العمل، فيكون ثوابه وقيمته مختلفين عن غيره. ومضافاً إلى ذلك أنه في العديد من الأحاديث كان الأئمة عليهم السلام يحدثون الناس على قدر وعيهم وإيمانهم وقدرتهم على الاستيعاب الفكري.

المحور الثالث: آثار ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام وعواقبها

جاء في العديد من روايات أخرى آثار وعواقب لمن ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ونحن نشير هنا إلى نماذج منها.

١. نقص الإيمان

«مَنْ لَمْ يَأْتِ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ شِيعَتِنَا كَانَ مُنْتَقِصَ الْإِيمَانِ مُنْتَقِصَ الدِّينِ، وَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ كَانَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

٢. الجفاء

عن زرارة، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام؟ قُلْتُ: سِتَّةَ عَشَرَ فَرَسَخًا. قَالَ: أَوْ مَا تَأْتُونَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: مَا أَجْفَاكُمْ!»^(٢).

٣. الحرمان من الخير

روي أنّ مجموعة من الرجال يجلسون عند الإمام الباقر عليه السلام؛ إذ دخل عليهم رجل، فسلمّ وجلس، فسأله الإمام عليه السلام: «من أيّ البلدان أنت؟ فقال له الرجل: أنا رجل من أهل الكوفة، وأنا محبّ لك موالٍ. فقال له أبو جعفر عليه السلام: أفتزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ جمعة؟ قال: لا. قال: ففي كلّ شهر؟ قال: لا. قال: ففي كلّ سنة؟ قال: لا. فقال له أبو جعفر عليه السلام: إنك محروم من الخير»^(٣).

(١) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٥٦. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٩٣.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٣٥.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٩٢.



٣. عدم كونه شيعياً

قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَأْتِ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام - وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَنَا شِيعَةٌ حَتَّى يَمُوتَ - فَلَيْسَ هُوَ لَنَا بِشِيعَةٍ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَهُوَ مِنْ ضَيْفَانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

الموارد التي ذكرناها ما هي إلا نماذج معدودة من عواقب ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وفي الروايات آثار وعواقب عديدة أخرى.

وخلاصة القول: ما يستفاد من الروايات الواردة في خصوص زيارة مرقد سيّد الشهداء عليه السلام هو أنّ زيارته إذا تمت بجميع المقدمات والشروط الضرورية لقبول الزيارة الصحيحة، فإنّ لها آثاراً وبركات دنيوية وأخروية عديدة - تخرج عن التصوّر والإدراك البشري أحياناً - تحدث للزائر بشكل مستمرّ، وبعض منها عبارة عن:

- تثبيت العقائد والمعتقدات الدينية للزائر، والحيلولة دون تزلزله في المسائل الاعتقادية، والشرك والكفر.

- استيناس الزائر مع الله بشكل أكبر، والاستغائة والتمسك بأعتاب شخصية لها منزلة واعتبار عند الساحة الإلهية، حيث إنّ هذا الأمر يسبّب الراحة النفسية ويبعث الأمل في قلب الزائر.

- المعرفة بشكل أكبر بسلوك المزور وشخصيته وأهدافه العالية في الحياة، وهذا الأمر في حدّ ذاته يؤدّي إلى تربية الزائر وحركته الصحيحة في طريق نفس الأهداف العالية للإمام.

- تعلّم درس الكفاح والثورة ضدّ الباطل والظلم.

- الإعلان عن قبول ولاية الأئمة والوفاء لحكمهم وسلطتهم؛ ممّا يؤدّي إلى الاستعداد وقبول حكومة الإمام صاحب الزمان عليه السلام.

(١) المصدر السابق: ص ١٩٣. الحَرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٣٢.

المصادر والمراجع

- ١ . الأُمالي، أبو جعفر محمد بن علي المعروف بـ(الصدوق)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٢ . الأُمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٣ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، وإبراهيم الميانجي، ومحمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ٤ . تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ.ش.
- ٥ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه المعروف بـ(الصدوق)، منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ.ش.
- ٦ . فرهنگ عاشورا (ثقافة عاشوراء)، جواد محدّثي، نشر معروف، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٣٧٦هـ.ش.
- ٧ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧هـ.ش.
- ٨ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: عبد الحسين الأميني التبريزي، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٦هـ.
- ٩ . كتاب المزار، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بـ(المفيد)، تحقيق: محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ١٠ . مدينة معاجز الأئمّة الاثني عشر، هاشم بن سليمان البحراني، مؤسّسة المعارف



الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

١١ . المزار الكبير، محمد بن جعفر بن المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني،

مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

١٢ . مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق

ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

١٣ . من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه المعروف بـ(الصدوق)، تحقيق: علي

أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.

١٤ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي،

تحقيق: عبد الرحيم الرّبّاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة

الخامسة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.



زيارات الإمام الحسين عليه السلام
قراءة في عوامل النهضة وأهدافها

الشيخ ميثم اليعقوبي
ماجستير في العلوم الإسلامية/ العراق

The Ziyaras of Imam al-Husayn (PBUH)
– A Study of the Uprising’s Factors and Objectives

Shaykh Maytham al-Yakoubi
Master’s degree in Islamic Sciences – Iraq

ملخص البحث

تعتمد فكرة البحث في هذا المقال على قراءة مستفيضة في نصوص الزيارات المأثورة عن أئمة الهدى عليهم السلام، الواردة بحق المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ وذلك من أجل الوقوف على أهمّ العوامل والأهداف الباعثة لحدوث هذه النهضة المعطاء، التي قادها سيّد الشهداء عليه السلام في معركة الطفّ الخالدة، والتي صارت منارةً للمجاهدين والثائرين على الظلم والطغيان في كلّ زمان ومكان.

سرنا في هذا المقال على وفق منهج العرض التحليلي لنصوص الزيارات المأثورة المشار إليها؛ وذلك من أجل اكتشاف دلالتها على جملة المفاهيم (العوامل والأهداف) المطروحة في البحث، يسبقه إيقاف القارئ الكريم على تحديد المراد من تلك المفاهيم على المستويين اللغوي والاصطلاحي.

ومن جملة ما توصلنا إليه من نتائج هو أنّ الزائر من خلال ما يقرأه من نصوص - سواء وقف أمام مولاه عليه السلام أم زاره عن بُعد - يستلهم الدروس والعبر في التضحية والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتعبأ نفسه بضرورة اتباع منهج الحقّ ورفض الطواغيت والجهاد ضدهم.

الكلمات المفتاحية: النهضة الحسينية، الزيارة، المأثور، نصوص، العوامل، الأهداف.

Abstract

The focal point of this study is an extensive reading of the texts of the reported visitations-texts (Ziyaras) from the Guiding Imams (PBUT) of the Master, Abu Abdullah al-Husayn (PBUH). The aim is to understand the most important factors and objectives behind this generous uprising led by the Master of the Martyrs (PBUH) at the eternalized Battle of al-Taff which has become a beacon for the fighters and revolters against injustice and tyranny anywhere and everywhere.

The analytical presentative approach of the aforementioned reported visitation-texts is applied in this article to recognize its connotations (factors and objectives). Before this, a linguistic and terminological definition of these terms is presented for the reader.

Among the results reached, is that the visitor – through what he recites of visitation-texts, regardless of whether he is present at the Shrine, or recites from a distance – derives valuable lessons about sacrifice and striving, and of enjoining good and forbidding evil. The visitor will also feel the necessity of following the right path, and rejecting the tyrants, and fighting them.

Keywords: The uprising of Imam al-Husayn (PBUT), Ziyara, authentic reports, text, factor, objective.



المقدمة

تعكس زيارة الإمام المعصوم عليه السلام مدى الوفاء والولاء والارتباط الوثيق الذي يكنّه الزائر لمزوره، ويجعله مستعداً للاقتداء بسيرته العطرة، واستلهاج الدروس والعبر من حياته الشريفة، فالأئمة عليهم السلام أحياء عند ربهم يُرزقون، يرون مقام الزائر، ويسمعون كلامه، ويردّون سلامه كما ورد في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة: «وأعلم أنّ رسلك وخلفاءك أحياء عندك يُرزقون، يرون مكاني في وقتي هذا وزماني، ويسمعون كلامي، ويردّون عليّ سلامي، وأنت حجبت عن سمعي كلامهم، وفتحت باب فهمي بلذيق مناجاتهم»^(١).

وجاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «وأشهد يا موالى أنّكم تسمعون كلامي، وترون مقامي، وتعرفون مكاني، وتردّون سلامي»^(٢).

وفي زيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من رجب: «وأشهد أنّك تسمع الكلام، وتردّ الجواب»^(٣).

ولا ريب أنّ الحضور في مرقد أهل البيت عليهم السلام يُعتبر من مصاديق أداء حقّ المودّة لهم، فقد روى الحسكاني في (شواهد التنزيل) عن ابن عباس أنّه قال: لما نزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٤)، قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: «عليّ وفاطمة وولدهما»^(٥).

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٥٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥١.

(٣) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، المزار: ص ١٦٣.

(٤) الشورى: الآية ٢٣.

(٥) الحاكم الحسكاني، عبد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ج ٢، ص ١٨٩.

وروى ابن قولويه القمّي في باب ثواب زيارة رسول الله ﷺ وزيارة أمير المؤمنين والحسن والحسين ﷺ: عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «قال الحسين ﷺ لرسول الله ﷺ: ما جزاء من زارك؟ فقال: يا بني، من زارني حيّاً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة حتى أُخلّصه من ذنوبه»^(١).

والزيارات الماثورة عن أئمة أهل البيت ﷺ مليئة بكنوز المعارف والتعاليم الحقة في العقيدة والأخلاق، حتى اختصت بعض الكتب بنقل الزيارات فقط، من قبيل: كتاب (كامل الزيارات) للعلامة ابن قولويه القمّي، و(المزار) للشيخ المفيد، و(المزار الكبير) لابن المشهدي، وغيرها من الكتب. ولا شك في أنّ زيارات الإمام الحسين ﷺ الماثورة تجعل الزائر على بصيرة ومعرفة بصفات الإمام ﷺ وعظيم منزلته عند الله عز وجل، ومعرفة مدى المظلومية والمأساة التي لاقاها في سبيل إحياء دين جدّه المصطفى ﷺ، والأهداف التي كان يتوخاها من نهضته المباركة.

وستكون هيكله بحثنا في هذا المقال على الشكل التالي:

المبحث الأول: زيارة الإمام الحسين ﷺ وأهميتها.

المبحث الثاني: زيارة الإمام الحسين ﷺ بالمأثور وأنواعها.

المبحث الثالث: بيان أهمّ عوامل وأهداف النهضة الحسينية في الزيارات الماثورة.

المبحث الأول: زيارة الإمام الحسين ﷺ وأهميتها

زيارة الإمام الحسين ﷺ هي الحضور عن قرب روحاً وجسداً عند قبره الشريف، وهناك روايات دلّت على هذا الأمر، وبيّنت مدى أهميته، من قبيل ما روي عن أبي جعفر ﷺ، أنّه قال: «من لم يأت قبر الحسين ﷺ من شيعةنا كان منتقص الإيمان، منتقص الدين، وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة»^(٢).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥٥.

كما أنّ هناك روايات دلّت على فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام عن بُعد مع تعذّر الحضور عند مرقد الطاهر، منها: رواية حنان بن سدير، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا سدير، وما عليك أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ جمعة خمس مرّات، وفي كلّ يوم مرّة. قلت: جُعلت فداك، إنّ بيننا وبينه فراسخ كثيرة. فقال: تصعد فوق سطحك، ثمّ تلتفت يمنةً ويسرةً، ثمّ ترفع رأسك إلى السماء، ثمّ تتحرّى نحو قبر الحسين عليه السلام، ثمّ تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته. يكتب لك زورة، والزورة حجةٌ وعمرة. قال سدير: فربّما فعلته في النهار أكثر من عشرين مرّة»^(١).

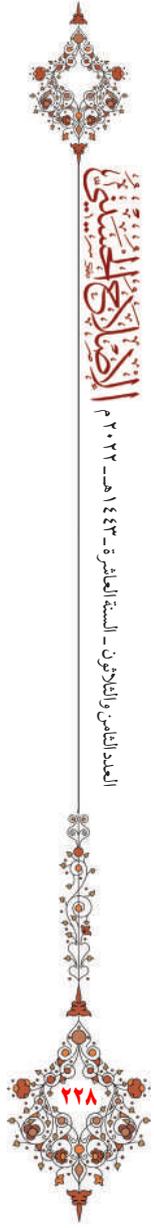
لقد اهتمّ أهل البيت عليهم السلام اهتماماً بالغاً في زيارة قبر سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث كانوا يحثّون ويؤكّدون على الالتزام بهذه الشعيرة الإلهية المقدّسة، ويُعلّمون أصحابهم آداب الزيارة وكيفية أدائها، وقد ذكروا أحاديث كثيرة وصلت إلى حدّ التواتر في فضل زيارته عليه السلام، والثواب العظيم الذي يظفر به الزائر لمرقد الشريف؛ باعتبار أنّ هذه الشعيرة هي من أفضل الطاعات بعد العبادات الواجبة، وأتمّها تحطّ الذنوب، وتدفع البلاء في الدنيا، وتُتمّي الرزق، وتطيل العمر، وغير ذلك من الآثار العجيبة.

ومن تلك الروايات ما روي عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: «إنّ الحسين صاحب كربلاء قُتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً؛ فألى الله عز وجل على نفسه ألاّ يأتيه لهفان، ولا مكروب، ولا مذنب، ولا مغموم، ولا عطشان، ولا من به عاهة. ثمّ دعا عنده وتقرب بالحسين بن علي إلى الله عز وجل إلاّ نفس الله كربته، وأعطاه مسألته، وغفر ذنبه، ومدّ في عمره، وبسط في رزقه، فاعتبروا يا أولي الأبصار»^(٢).

(١) المصدر السابق: ص ٤٨٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٣١٣.





وعن شعيب العقرقوفي^(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ أتى قبر الحسين (صلوات الله عليه) ما له من الثواب والأجر جعلت فداك؟ قال عليه السلام: يا شعيب، ما صلّى عنده أحد صلاة إلاّ قبلها الله منه، ولا دعا عنده أحد دعوة إلاّ استجيبت له عاجلةً وآجلةً. فقلت: جعلت فداك، زدني. قال عليه السلام: يا شعيب، أيسر ما يقال لزائر الحسين بن علي عليه السلام: قد عُفِرَ لك يا عبد الله، فاستأنف العمل عملاً جديداً»^(٢).

كما ورد الحثّ على زيارته عليه السلام للرجال والنساء على حدّ سواء، فقد ورد أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال لأُمّ سعيد الأحمسية: «يا أمّ سعيد، تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت: نعم. فقال لي: زوريه؛ فإنّ زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء»^(٣).

كما ورد التأكيد والحثّ على زيارته حتّى في حال الخوف وعدم الأمن، ممّا يُعطينا صورة واضحة عن مدى الخطر الذي كان يُحيط بالزائرين، والخوف من السلطات الظالمة الذي كانوا يشعرون به عند المجيء إلى زيارة قبره عليه السلام، ومن تلك الروايات ما رواه ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ قلبي يُنازعني إلى زيارة قبر أبيك، وإذا خرجت فقلبي وجلّ مشفق حتّى أرجع؛ خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المصالح. فقال: يا ابن بكير، أما تُحِبُّ أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنّه مَنْ خاف لخوفنا أظله الله في ظلّ عرشه، وكان يُحدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزح الناس ولا يفزح، فإن فزع وقرته الملائكة، وسكنت قلبه بالبخارة»^(٤).

(١) بفتح أوّله وسكون الثاني، مركّب من (عقر) و(قوف) ك(بعلبّك)، قرية من نواحي دُجَيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ، وإلى جانبها تلّ عظيم من تراب يُرى من خمسة فراسخ كأنّه قلعة عظيمة، وعن بعض: إنّه مقبرة الملوك الكيانيين الذين كانوا قبل آل ساسان من النبط، وذكر أهل السّير أنّ عقرقوف تُنسب إلى عقرقوف بن طهمورث الملك المشهور. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٤، ص ١٣٧.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٣٥.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٣٧.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٥٧.

إنَّ زيارته عن خوف لها ثواب خاصّ، يقول زرارة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟ قال: يؤمنه الله يوم الفرع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن، هذا يومك الذي فيه فوزك»^(١).

وورد في بعض الأحاديث ما يظهر منه وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام وإن اختلف الفقهاء في استفادة الوجوب الشرعي من ذلك، وذهب المشهور من علمائنا إلى أن زيارته عليه السلام مستحبة، ومن تلك الروايات رواية أم سعيد الأحسية المتقدمة، وما ورد عن عبد الرحمن بن كثير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لو أن أحدكم حجّ دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام، لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ حقَّ الحسين عليه السلام فريضة من الله تعالى واجبة على كلِّ مسلم»^(٢).

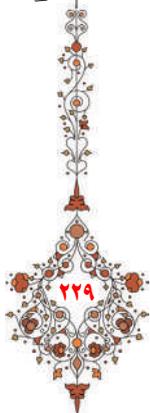
ووردت روايات تذكر سنناً وأداباً خاصّة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ينبغي للزائر الإتيان بها: كالطهارة من الأدران المعنوية والمادّية، والتكبير والتهليل والتسبيح لله تعالى حتى يهيمّ الزائر نفسه ظاهرياً وباطنياً للحضور عند الإمام عليه السلام. وقد أفرد المحدث الشيخ عباس القمّي رحمته الله باباً خاصّاً في كتابه (مفاتيح الجنان) عنونه بـ: (فيما على الزائر مراعاته من الآداب في طريقه إلى الزيارة وفي ذلك الحرم الطاهر)^(٣).

ومن تلك الروايات التي ذكرت آداب الزيارة مارواه الكليني بسنده عن الحسين بن ثوير، قال: كنت أنا ويونس بن ظبيان والمفضل بن عمر وأبو سلمة السراج جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام، وكان يونس أكبرنا سنّاً، فقال: «...جعلت فداك، إنّي أريد أن أزوره، فكيف أقول؟ وكيف أصنع؟ قال: إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات، ثمّ البس ثيابك الطاهرة، ثمّ امش حافياً؛ فإنّك في حرم من حرم الله وحرم رسوله، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والتعظيم لله عز وجل كثيراً، والصلاة

(١) المصدر السابق: ص ٤٥٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٢.

(٣) أنظر: القمّي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٠٩-٦٢١.



على محمدٍ وأهل بيته، حتى تصير إلى باب الحاير، ثم تقول: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته، السلام عليكم يا ملائكة الله وزوار قبر ابن نبي الله، ثم اخطُ عشر خطواتٍ، ثم قف وكبر ثلاثين تكبيراً، ثم امش إليه حتى تأتيه من قبل وجهه، فاستقبل وجهك بوجهه، وتجعل القبلة بين كتفيك، ثم قل: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته...»^(١).

ومن الأهمية الكبيرة التي تمثلها زيارة الإمام الحسين عليه السلام أنها تُعتبر مظهراً من مظاهر البيعة له عليه السلام، والتزام وتعهد أمام الله تعالى بالاتباع والسير على نهجه، والبراءة من أعدائه، وعرض النصر عليه (صلوات الله عليه)، كما يُشير إلى ذلك ما ورد في الزيارات المتعددة نظير: «اللهم إنك مننت عليّ بزيارة مولاي وولايته ومعرفته، فاجعلني ممن ينصره وينتصر به، وممن عليّ بنصري لدينك في الدنيا والآخرة...»^(٢).

وعندما يقرأ الزائر الزيارات الماثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام، فإنه سوف يكون على بصيرة ومعرفة بما تضمّنته تلك الزيارات من المضامين العقدية، والمعارف الدينية، والقيم الأخلاقية، ويكون على معرفة بالإمام عليه السلام ومنزلته عند الله عز وجل، وكيف أنه عليه السلام ضحّى بكل ما لديه من أجل الدين وهداية البشرية، فيكون مصداقاً لقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «مَنْ أتى الحسين عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»^(٣).

والحد الأدنى من المعرفة أن يعلم الزائر بأن المزور هو حجة الله ومفترض الطاعة ولازم الاتباع، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان معنى: «عارفاً بحقه» أنه قال:

«يَعْلَمُ أَنَّهُ إِمَامٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ، غَرِيبٌ شَهِيدٌ»^(٤).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٦.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٢٣٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٢.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٨٣.

ولا شك في أن معرفة الإمام ستؤدي إلى معرفة الله تعالى؛ لأن الإمام المعصوم هو المظهر الأتم لأسماء الله تعالى وصفاته العليا، وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١)، قال عليه السلام: «نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا»^(٢).

وقد عقد ابن قولويه القمي الباب الرابع والخمسين من كتابه (كامل الزيارات) تحت عنوان: (ثواب من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه)^(٣)، ومن جملة الروايات التي ذكرها تحت هذا الباب ما رواه بإسناده عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: «من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٤).

وتعتبر زيارة الإمام الحسين عليه السلام نحواً من المشاركة معه في معركة كربلاء، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان كمن تشحط بدمه بين يديه»^(٥).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله يوم القيامة ملطخاً بدمه، كأنما قُتل معه في عصره. وقال عليه السلام: من زار قبر الحسين يوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه»^(٦).

لذا نرى الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري عند زيارته لقبر الإمام الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر سنة ٦١ من الهجرة قال: «والذي بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالحق، لقد شاركنكم فيما دخلتم فيه. قال عطية: فقلت لجابر: وكيف؟! ولم نهبط وادياً، ولم نعل

(١) الأعراف: الآية ١٨٠.

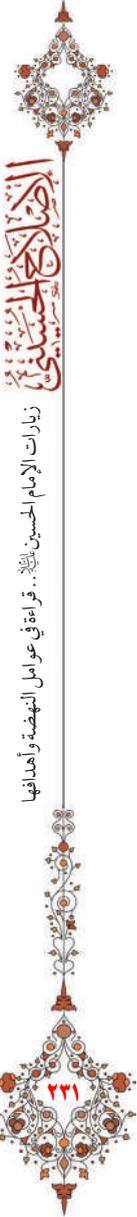
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٤٤.

(٣) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٢-٢٦٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٦٣.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٢٤.

(٦) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٥١-٥٢.



جبلاً، ولم تضرب بسيف، والقوم قد فُرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت الأزواج؟ فقال لي: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: مَنْ أَحَبَّ قوماً حُشِرَ معهم، وَمَنْ أَحَبَّ عمل القوم أُشْرِكَ في عملهم، والذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً، إنَّ نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين ﷺ وأصحابه»^(١).

المبحث الثاني: زيارة الإمام الحسين ﷺ بالمأثور ونوعاها

أولاً: الزيارة بالمأثور

الزيارة بالمأثور: هي قراءة نصوص الزيارات المأثورة عن الأئمة المعصومين ﷺ في المشهد الطاهر لأيّ واحد منهم ﷺ، فلا ينبغي للزائر أن يزور الإمام ﷺ بكلّ لفظ يُريده، بل يقرأ الألفاظ الواردة عن الأئمة المعصومين ﷺ؛ لذا نرى الأئمة ﷺ قاموا بتعليم طرق التخاطب وكيفية الزيارة التي يُزار بها الإمام ﷺ من قبل شيعته ومواليه، بل يؤكّدون - أحياناً - تأكيداً بالغاً أن تكون الزيارة بهذه الكيفية وهذه الكلمات الصادرة عنهم ﷺ، كقول أبي عبد الله الصادق ﷺ للمفضّل: «يا مُفضّل، إذا أتيت قبر الحسين بن علي ﷺ فقف بالباب، وقل هذه الكلمات؛ فإنّ لك بكلّ كلمةٍ كفلاً من رحمة الله...»^(٢).

وقوله ﷺ لصفوان بن مهران الجمال بشأن زيارة عاشوراء: «تعاهد هذه الزيارة، وادعُ بهذا الدعاء، وزرْ به؛ فإنّي ضامن على الله تعالى لكلّ مَنْ زار بهذه الزيارة، ودعا بهذا الدعاء من قُرب أو بُعد أنّ زيارته مقبولة، وسعيه مشكور، وسلامه واصل غير محجوب، وحاجته مقضية من الله بالغاً ما بلغت، ولا يُحَيِّبه...»^(٣).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ١٣١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٩٩-٣٠٠.

وروى الكليني بسنده عن عبد الرحيم القصير، قال: دخلت على الصادق عليه السلام فقلت: جعلت فداك، قد اخترعت دعاءً من نفسي، فقال عليه السلام: «دعني من اختراعك، إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصل ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله...»^(١).

ثانياً: نوعا الزيارة بالمأثور

ورد العديد من الزيارات المأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام في زيارة المولى سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، منها مطلقة، ومنها خاصّة.

النوع الأوّل: الزيارات المطلقة

وهي استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام بصورة مطلقة، من دون ذكر وقت معيّن أو يوم معيّن، من قبيل ما ورد عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين، إنّه من خرج من منزله يُريد زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام، إن كان ماشياً كتب له بكلّ خطوة حسنة ومحام عنه سيئة، فإن كان راكباً كتب الله له بكلّ حافر حسنة وخطّ بها عنه سيئة، حتى إذا صار في الحاير كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يُقرؤك السلام، ويقول لك: استأنف العمل؛ فقد غفر الله لك ما مضى»^(٢).

وتُعتبر زيارة (وارث) من أشهر الزيارات المطلقة، فقد روى الشيخ الطوسي في المصباح عن صفوان، قال: استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولاي الحسين عليه السلام وسألته أن يعرّفني ما أعمل عليه، فقال عليه السلام: «... فإذا أتيت باب الحائر فقف وقل: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق... ثم تأتي باب القبّة وقف من

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٤٧٦.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٩١.



حيث يلي الرأس، وقل: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله...»^(١).

النوع الثاني: الزيارات المخصوصة

وردت زيارات عديدة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام للإمام الحسين عليه السلام في أوقات خاصة ومناسبات معينة، وقال المحقق التستري في كتابه (الخصائص الحسينية): «وهي تقرب إلى ثلاثين مخصوصة، بالنسبة إلى الزمان والأوقات، وخصوصيتها في زيادة الأجر معلومة، ولكن لكل واحدة أيضاً أثر خاص وفضيلة خاصة»^(٢).
ومن تلك الزيارات المخصوصة:

١. زيارة عاشوراء: وهي التي يُزار بها في اليوم العاشر من المحرم، والنص المأثور لهذه الزيارة هو: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، (السلام عليك يا خيرة الله وابن خيرته)، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين...»^(٣).
٢. زيارة الأربعين: وهي زيارة العشرين من صفر، وقد روى الشيخ في (التهذيب) و(المصباح) عن صفوان الجمال، قال: قال لي مولاي الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين: «تزور عند ارتفاع النهار، وتقول: السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله وابن صفيه...»^(٤).
٣. زيارة أول شهر رجب: وهي الزيارة الرجبية، ونصها: «السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن خاتم النبيين، السلام عليك يا ابن سيد المرسلين، السلام عليك يا ابن سيد الوصيين، السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا حسين بن علي...»^(٥).

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧١٧-٧٢٠.

(٢) التستري، الشيخ جعفر، الخصائص الحسينية: ص ٢٢٣.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٧٣.

(٤) المصدر السابق: ص ٧٨٨. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٣.

(٥) (الشهيد الأول)، محمد بن مكي، المزار: ص ١٤٢.

٤ . زيارة النصف من رجب: ويُسمّى - أي النصف من رجب - بالغفيلة؛ لغفلة عامّة الناس عن فضله، وجاء النصّ المأثور لهذه الزيارة: «السلام عليكم يا آل الله، السلام عليكم يا صفوة الله، السلام عليكم يا سادة السادات، السلام عليكم يا ليوث الغابات...»^(١).

٥ . زيارة النصف من شعبان: وقد جاء نصّ الزيارة كالآتي: «الحمد لله العلي العظيم، والسلام عليك أيها العبد الصالح الزكي، أودعك شهادةً منّي لك تقربني إليك في يوم شفاعتك...»^(٢).

٦ . زيارة ليلة القدر: روى ابن المشهدي بالإسناد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا أردت زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فلتأت مشهده بعد أن تغتسل وتلبس أطهر ثيابك، فإذا وقفت على قبره فاستقبله بوجهك واجعل القبلة بين كتفيك، وقل: السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة فاطمة سيّدة نساء العالمين...»^(٣).

٧ . زيارة ليلتي عيد الفطر وعيد الأضحى: والنصّ المأثور لهذه الزيارة هو: «يا مولاي يا أبا عبد الله، يا بن رسول الله، عبدك وابن أمتك، الذليل بين يديك، والمصغر في علوّ قدرك، والمعترف بحقك، جاءك مستجيراً بك، قاصداً إلى حرمك، متوجّهاً إلى مقامك، متوسّلاً إلى الله تعالى بك...»^(٤).

٨ . زيارة يوم عرفة: وقد جاء النصّ المأثور لهذه الزيارة كالتالي: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً... السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام على أمير المؤمنين، السلام على فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، السلام على الحسن والحسين...»^(٥).

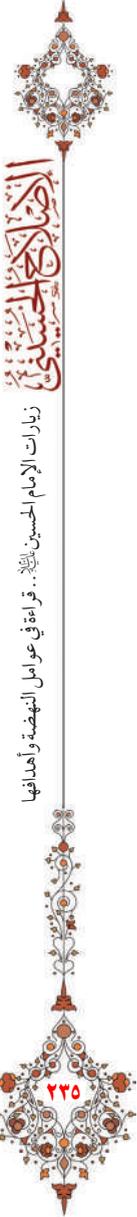
(١) المصدر السابق: ص ١٦١.

(٢) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٤٩٨.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤١٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٢١.

(٥) المصدر السابق: ص ٤٦٢.



وغيرها من الزيارات المخصوصة، قال العلامة المجلسي في موسوعته (بحار الأنوار): «زيارته (صلوات الله عليه) في الأيام الشريفة والأوقات الفاضلة، أشرف وأفضل، لا سيّما الأيام المختصّة به، والأيام التي ظهر فيها فضله وكرامته كيوم المباهلة، ويوم نزول هل أتى، ويوم ولادته عليه السلام، والأشهر أنّه ثالث شعبان... وكذا يناسب زيارته في يوم انتقال يزيد قاتله إلى أسفل درك الجحيم، وهو الرابع عشر من ربيع الأول»^(١).

المبحث الثالث: بيان أهمّ عوامل النهضة الحسينية وأهدافها في الزيارات المأثورة

لقد قام الإمام الحسين عليه السلام بنهضته العملاقة الجبّارة، التي جسّد فيها جميع أبعاد الإسلام، وأصبح يوم عاشوراء محطة إلهام للأحرار، ولمعظم الثورات والحركات التي حدثت بعد النهضة الحسينية، ولأجل معرفة عوامل النهضة الحسينية المباركة وأهدافها فإنّ هناك عدّة طرق، منها الزيارات الكثيرة المأثورة للإمام الحسين عليه السلام التي صدرت عن أئمّة الحقّ عليهم السلام، والتي سلّطت فيها الأضواء على الجهود التي بذها الإمام عليه السلام في سبيل الإسلام، والتضحية لإعلاء كلمة الحقّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصديّ للظلم والجور والفساد، ونصرة المظلومين والمضطهدين، وإقامة الحقّ والعدل في ربوع البلاد.

هذا؛ وسنقف فيما يلي من نقاط على أهمّ العوامل والأهداف الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها للنهضة الحسينية المستوحاة من نصوص الزيارات المأثورة للإمام الحسين عليه السلام.

النقطة الأولى: إنقاذ الناس من الجهالة وحيرة الضلالة

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة العشرين من صفر: «وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»^(٢).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٠١.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٨٨.

وورد في زيارة عيدي الفطر والأضحى: «وبذل مهجته فيك حتى استنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»^(١).

وهذا النص المبارك يوضح الهدف الأسمى في النهضة الحسينية الذي ضحى الإمام عليه السلام بمهجته الشريفة من أجله، ألا وهو استنقاذ العباد من أمرين: الجهالة، وحيرة الضلالة.

الأمر الأول: الجهالة

الجهل: نقيض العلم، وقد جهله فلان جهلاً وجاهلاً، وجاهلاً عليه^(٢). واستعمل الجهل في الروايات مقابل العقل؛ حتى أن الشيخ الكليني عليه السلام في بداية كتابه (أصول الكافي) عنون القسم الأول منه بعنوان: (كتاب العقل والجهل)، وذكر فيه روايات كثيرة.

ومن التقسيمات التي ذُكرت للجهل، تقسيمه إلى: بسيط، ومركب.

فالجهل البسيط: هو أن يجهل الإنسان شيئاً ويعلم أنه جاهل بهذا الشيء. والجهل المركب: هو الذي لا يعلم بأنه جاهل، بل يرى نفسه أنه من أهل العلم، وهذا أخطر أنواع الجهل، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المرض الخطير في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٣﴾﴾.

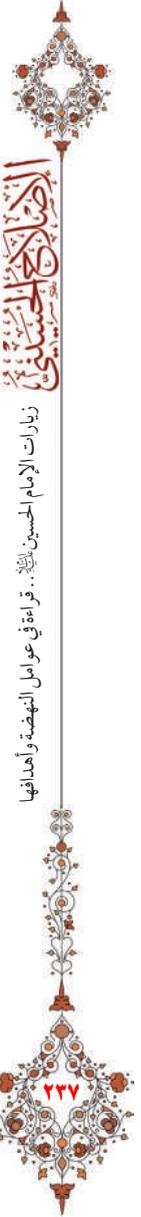
وقال صاحب (تفسير الكاشف) عند تفسير هذه الآية: «ويتلخص المعنى بأن أخسر الناس صفةً، وأخبهم سعياً، هو الجاهل المركب، الذي يرى جهله علماً، وشره خيراً، وإساءته إحساناً»^(٤).

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤٢٤.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ١٢٩.

(٣) الكهف: الآيتان ١٠٣-١٠٤.

(٤) مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف: ج ٥، ص ١٦٤.



والجهل يُعتبر من أخطر الموانع التي تقف عائقاً دون اتباع الناس للهدى وسبيل الحق، فنرى أنّ أساس الجحود هو الجهل؛ فالجاهل يعبد صنماً لا يضر ولا ينفع، وربّما كان الصنم من تمرٍ يأكله عندما يجوع، وقسم آخر يعبد البقرة ويقدّسها ويحترمها، بل وصل الجهل إلى درجة أنّ الشخص يقتنع حتى بالمتناقضات، فيقول هكذا: سيّدنا يزيد عليه السلام قتل سيّدنا الحسين عليه السلام! وعندما تقول له: أيعقل أن يكون الظالم والمظلوم بمنزلة سواء؟ فيقول: كلّهم عدول مجتهدون، اجتهدوا فأخطؤوا، ولكلّ أجره.

الأمر الثاني: حيرة الضلالة

الحيرة: «من حار يحار حيرةً وحيراً، أي تحير في أمره ولم يكن له مخرج، فمضى وعاد إلى حاله»^(١).

والضلالة: «الضاد واللام أصل صحيح يدلّ على ضياع الشيء وذهابه في غير حقّه، يقال: ضلّ اللبن في الماء، بمعنى: استهلك وضاع»^(٢). وما كان ضدّ الهدى والرشاد فهو ضلال وضلالة»^(٣).

وللضلال مقدمات وأسباب تؤدّي إليه، منها:

أولاً: مخالفة أمر الله تعالى ومعصيته، كما في قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٤).

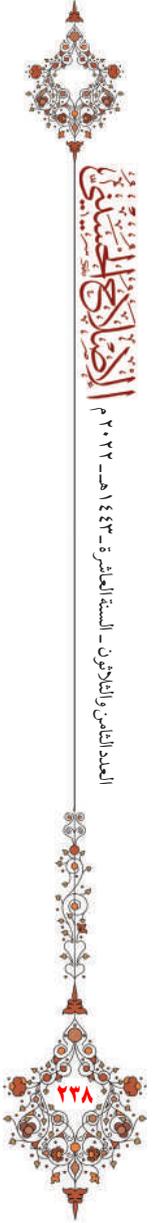
ثانياً: اتباع الهوى، كما في قوله تعالى: ﴿... قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا

(١) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٨٠، مادة (حير).

(٢) انظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٣٥٦.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٣٩٠.

(٤) الأحزاب: الآية ٣٦.



وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢).

ثالثاً: الانسياق وراء الشهوات التي يزينها الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٢﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿... وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٤).

رابعاً: ارتكاب الظلم والفسق والكفر، وذلك في قوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ (٥)، ﴿... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (٦)، ﴿... يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (٧).

ومن أهداف بعثة الأنبياء ﷺ هي محاربة الجهل ورفعهم عن الناس، والسير بهم على الصراط المستقيم، وهو ما فعله خاتم الأنبياء النبي محمد ﷺ، حيث يقول الإمام أمير المؤمنين ع في ذلك: «بعثه والناس ضلال في حيرة، وخابطون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل، فبالغ ﷺ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة» (٨).

ونرى بعد تسلط الحزب الأموي على الدولة الإسلامية وتغلغلهم في الجسد الإسلامي، خصوصاً بعد صلح الإمام الحسن ع، أنه سعى معاوية بن أبي سفيان

(١) الأنعام: الآية ٥٦.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) الحج: الآيتان ٣-٤.

(٤) النساء: الآية ٦٠.

(٥) إبراهيم: الآية ٢٧.

(٦) البقرة: الآية ٢٦.

(٧) غافر: الآية ٧٤.

(٨) نهج البلاغة: ص ١٤٠، الخطبة ٩٥.

ومن بعده ابنه يزيد إلى طمس معالم الدين من أجل تثبيت حكم بني أمية وسلطانهم، فعمدوا إلى تحريف النصوص المباركة، ووضع الأحاديث المكذوبة، التي منها طاعة ولي الأمر وإن كان ظالماً أو فاجراً، والتي تحاول إضفاء الشرعية للحكام ووجوب طاعتهم وإن أخذوا أموال الناس ظلماً وعدواناً، واستولوا على مقدرات الناس، بل عليهم السمع والطاعة^(١).

وكذا عمدوا إلى نشر العقائد الباطلة كعقيدة الجبر، وأن الإنسان مجبور على عمله، وحتى الحاكم، فهو مجبور على حكم المجتمع، ولا يحق لأحد الاعتراض عليه؛ لأنه مجبور. والترويج بأن معاوية خليفة الله الذي مكّنه الله لأن يكون الحاكم والولي، وأن مخالفته عصيان للأمر الإلهي، وقد أفصح معاوية بحقيقة اعتقاده هذا من خلال مقولته: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي»^(٢).

لقد عاصر الحسين عليه السلام جميع تلك الأحداث التي كادت أن تقضي على الإسلام، فنهض بتلك الملحمة البطولية التي أراد من خلالها إنقاذ كل البشرية مهما كان لونها وعرقهم، «ليستنقذ عبادك» من الجهالة والتهيه والحيرة والضلالة، وتعود شجرة الإسلام غضة طرية، فكان عليه السلام حريصاً على هداية القوم، داعياً لهم بالنصح؛ لما فيه خير دنياهم وصلاح آخرتهم حتى آخر لحظة من حياته، «فأعذر في الدعاء، ومنح النصح»^(٣).

(١) أنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ٦، ص ١٧، وص ٢٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٤، ص ٨، وج ٧، ص ٨٨.
 (٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج ٣، ص ٤٣.
 (٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٨٨.

النقطة الثانية: إقامة القسط والعدل

نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأول من رجب، والنصف من رجب وشعبان: «أشهد أنك قد أمرت بالقسط والعدل، ودعوت إليهما»^(١). وفي زيارة أخرى: «إنك أمرت بالقسط ودعوت إليه»^(٢).

والقسط لغة: «الحِصَّةُ والنَّصِيبُ». يُقال: أخذ كل واحد من الشركاء قِسطَه، أي حِصَّتَه»^(٣).

وقد ورد القسط في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ...﴾^(٤)، وقوله أيضاً: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلَّيْتَمَى بِالْقِسْطِ﴾^(٥)، وقوله كذلك: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾^(٦).

والمعاملة بالقسط لا تتضمن بالضرورة مبدأ المساواة بين الناس، فهي لا تعني أن يُعطى كل منهم النصيب نفسه، ولكن يُعطى كل ما يستحق وإن كان أكثر مما يُعطى إلى الطرف الآخر.

والعدل: هو ضد الجور، وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وقيل: هو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط^(٧).

(١) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٦١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٠.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٧، ص ٣٧٧، مادة قسط.

(٤) آل عمران: الآية ١٨.

(٥) النساء: الآية ١٢٧.

(٦) الرحمن: الآية ٩.

(٧) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج ١٥، ص ٤٧١.



وقد ورد العدل في القرآن الكريم بمعانٍ عديدة، منها:

١ . الاستقامة: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي

الْقُرْبَىٰ...﴾^(١).

٢ . الإنصاف: كقوله عزّ من قائل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ

بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ...﴾^(٢).

٣ . الفدية: كقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعَدَّلَ كَعَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾^(٣).

وإلى غير ذلك من المعاني التي تدلّ على أنّ العدل في كافة السياقات القرآنية يتضمّن فكرة التساوي والمساواة.

ويُعتبر العدل أبرز الصفات الإلهية بعد التوحيد، كما في دعاء العديلة: «إِلَّا أَنِّي اعتقدت توحيدك وعدلك»^(٤).

وهو من أفضل سمات الكمال التي سعى الأئمة عليهم السلام لتحقيقها في المجتمع، فنقرأ في الإذن للدخول في السرداب المقدّس وفي البقاع المنوّرة للأئمة عليهم السلام: «وبعثهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة»^(٥). كما نقرأ في زيارة الناحية المقدّسة عندما يُحاطب الإمام الحجّة عليه السلام جدّه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «وتبسط العدل وتنشره، وتنصر الدين وتُظهره»^(٦).

ونرى أنّ الهدف من بعثة الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الوحي والكتب هو: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٧)، لذا قام الإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة، وضحّى

(١) النحل: الآية ٩٠.

(٢) المائدة: الآية ٨.

(٣) الأنعام: الآية ٧٠.

(٤) القمّي، الشيخ عبّاس، مفاتيح الجنان: ص ١٦٠.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١١٥.

(٦) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٥٠٢.

(٧) الحديد: الآية ٢٥.



بنفسه من أجل مواصلة طريق الأنبياء وهدفهم، وقيام الناس بالقسط، وتحقق العدالة الاجتماعية، فهو عليه السلام الامتداد الحقيقي لخط الأنبياء ووارثهم؛ إذ نقرأ في زيارة الأربعين: «وأعطيته مواريث الأنبياء»^(١)، وفي زيارة وارث: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله»^(٢).

فقد ورث عليه السلام منهج جميع الأنبياء في الدعوة إلى الله، وتحرير الإنسان من العبودية، وإقامة العدل والقسط.

وهذا الهدف كان أحد عوامل نهضته المباركة؛ حيث يرّد الزائر في مرقد الطاهر: «أشهد أنك قد أمرت بالقسط والعدل، ودعوت إليهما»^(٣). فهو عليه السلام الإمام والمسؤول الأول في النهوض لإقامة العدل والقسط، والقضاء على الظلم، وقد تجسّد ذلك في رسالته التي أرسلها إلى أهل الكوفة: «فلعمري، ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله»^(٤).

وقال عليه السلام: «ونحن أهل بيت محمد، وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان»^(٥).

النقطة الثالثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نقرأ في الزيارات الماثورة للإمام الحسين عليه السلام هذا النصّ: «أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر»^(٦).

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٨٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٢٠.

(٣) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٦١.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٩.

(٥) المصدر السابق: ص ٧٩.

(٦) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٥٧.

قال ابن منظور: «المعروف: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبّحات، وهو من الصفات الغالبة، أي: أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا يُنكرونه. والمعروف: النَّصْفَةُ وحُسْنُ الصُّحْبَةِ مع الأهل وغيرهم من الناس. والمنكر: ضد ذلك جميعه»^(١).

وتعدّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ الفرائض الدينية، وأفضل العبادات، وأنبأ الطاعات، وقد ورد التأكيد الكبير عليها في الآيات القرآنية المباركة وروايات الأئمة الأطهار عليهم السلام، ففي بعض الآيات جعلها الله تعالى إحدى صفات خير أمة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾^(٢). وجعلها صفة من صفات المؤمنين، قال عز وجل: ﴿التَّائِبِينَ الْعَمِيدُونَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالسَّائِحُونَ السُّجُودُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وكان من أهمّ العوامل والأهداف والمبررات التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى الخروج هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما جسده الإمام عليه السلام من خلال مواقفه ووصاياه وخطبه التي ألقاها على مسامع الناس خلال مسيرته إلى الكوفة، فقد قال عند وداعه لقبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم وإني أحبّ المعروف وأكره المنكر»^(٤). وجاء في أحد مقاطع وصيته عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية لدى خروجه من المدينة: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٥).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٩، ص ٢٤٠.

(٢) آل عمران: الآية ١١٠.

(٣) التوبة: الآية ١١٢.

(٤) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٩.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

كما كتب عليه السلام إلى رؤساء أهل البصرة قائلاً: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت»^(١).

فالمنكر قد انتشر في البلاد الإسلامية، خصوصاً بعد اعتلاء معاوية ومن بعده ابنه يزيد عرش السلطنة، الذي عُرف بالفسق والمجون وسوء الخلق.

يقول الدميري في سيرة يزيد بن معاوية: «وكيف لا يكون كذلك وهو المتصيّد بالفهد، واللاعب بالنرد، ومدمن الخمر، ومن شعره في الخمر:

أقول لصحب ضمت الكأس شمـ لهم وداعي صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكلّ وإن طال المدى يتصرّم»^(٢).

إنّ يزيد لم يكن يعتقد بدين ولا شرع حتى راح يظهر ما كان يضمر من كفر وإلحاد، فهذا هو يتمثل بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^(٣)

كما أوضح الإمام الحسين عليه السلام أنواع المنكرات السياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية التي كان يُمارسها حكام بني أمية، بقوله عليه السلام: «ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غير»^(٤).

وقال عليه السلام: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّقاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلاّ برماً»^(٥). وقد تجلّى عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال نصوص الزيارات

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦٦.

(٢) الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى: ج ٢، ص ٣٠٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٨، ص ١٨٨.

(٤) المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٠٤.

(٥) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٤٥.



المأثورة التي ورد فيها هذا النصّ: «أشهد أنّك قد أقيمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر».

وورد عن عمار بن موسى الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «تقول إذا أتيت إلى قبره: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أبا عبد الله... أشهد أنّك قد حلّلت حلال الله، وحرّمت حرام الله، وأقيمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر...»^(١).

النقطة الرابعة: التولي والتبرّي

ورد في زيارة عاشوراء: «اللهم إني أتقرب إليك في هذا اليوم، وفي موقفي هذا وأيام حياتي، بالبراءة منهم واللعنة عليهم، وبالموالة لنبيك وآل نبيك عليه وعليهم السلام»^(٢).

التوليّ يأتي في اللغة «بمعانٍ كثيرة، منها: النصرة: ويقال تولّيت فلاناً أي اتخذته وليّاً»^(٣).

والتبرّي لغة: «برأ، أصل البرء والبراء والتبرّي: التقصّي بما يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، وبرئت من فلان، وتبرأت وبراءته من كذا، وبرأته، ورجل بريء، وقوم برآء وبريئون»^(٤).

والتوليّ والتبرّي في مدرسة أهل البيت عليه السلام يعني المحبة لأولياء الله والأئمة الأطهار عليه السلام وطاعتهم، والانصياع لأوامرهم والانقياد لهم، والبراءة من أعدائهم. وهما من فروع الدين، ومن الأركان المهمة للإيمان، وقد أشير لهما في كثير من الآيات

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجّد: ص ٧٧٥.

(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ١٤، ص ١٨٨.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٤٥.

والروايات، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾^(٢)، بل نزلت سورة كاملة باسم سورة براءة، افتتحت بقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).

وأما الروايات فمنها ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا»^(٤).

وعن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أوثق عُرى الإيمان أن تُحِبَّ في الله، وتُبْغِضَ في الله، وتُعْطَى في الله، وتمنع في الله»^(٥).

وورد في الزيارة الجامعة: «بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة، واثلت الفرقة، وبموالاتكم تُقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودّة الواجبة...»^(٦).

وفي نص آخر: «أشهد الله وأشهدكم أي مؤمن بكم وبما أمنتكم به، كافر بعدوكم، وبما كفرتم به، مُستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم، مُوالٍ لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومُعَادٍ لهم، سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، محقق لما حققتكم، مبطل لما أبطلتم»^(٧).

ونجد في معركة كربلاء أن أنصار الإمام الحسين عليه السلام قد أعلنوا عن مدى ولائهم العميق للإمام الحسين عليه السلام، والوقوف معه لنصرته، والبراءة من يزيد وأعوانه، فمما

(١) الشورى: الآية ٢٣.

(٢) التوبة: الآية ١١٤.

(٣) التوبة: الآية ١.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٥٨.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٢٥.

(٦) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٥٣٣.

(٧) المصدر السابق: ص ٥٣٠.



قاله نافع بن هلال بين يدي الإمام عليه السلام: «نوالي من والاك ونُعادي من عاداك»^(١).

كما قال عابس بن شبيب الشاكري: «أما والله، ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيءٍ أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله أنّي على هديك وهدى أبيك»^(٢).

وعند التأمل في مضامين زيارات الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّ من جملة المبادئ المهمة التي ورد التأكيد عليها بشكل جلي وصریح التويّي والتبرّي، وأنها سبب في التقرب إلى الله ورسوله، فنقرأ في زيارة عاشوراء: «يا أبا عبد الله، إني أتقرب إلى الله تعالى، وإلى رسوله، وإلى أمير المؤمنين، وإلى فاطمة، وإلى الحسن، وإليك بمولاتك، وبالبراءة ممن قاتلك ونصب لك الحرب، وبالبراءة ممن أسس أساس الظلم والجور عليكم»^(٣).

وفي نصّ آخر من الزيارة: «وأتقرب إلى الله ثمّ إليكم بمولاتكم وموالاة وليّكم، وبالبراءة من أعدائكم، والناصبين لكم الحرب، وبالبراءة من أشياعهم وأتباعهم، إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، ووليّ لمن والاكم، وعدوّ لمن عاداكم»^(٤).
ونقرأ في زيارة النصف من رجب: «إني أتقرب إلى الله بزيارتكم وبمحبّبتكم، وأبرأ إلى الله من أعدائكم»^(٥).

كما ورد التأكيد والحثّ في نصوص الزيارة على مسألة (اللعن) الذي هو بمعنى

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٣٨.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد: ص ٧٧٤.

(٤) المصدر السابق: ص ٧٧٥.

(٥) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، المزار: ص ١٦٣.

«الإبعاد والطرده من الخير»^(١)، والذي يُعتبر من أبرز مصاديق التبرّي، وهو منهج أسسه القرآن الكريم في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾^(٤).

وقد ورد اللعن في نصوص الزيارات على كلِّ مَنْ باشر بقتال الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته يوم عاشوراء، بل وكلِّ مَنْ رضي بالظلم والقتل الذي لحق بالعترة الطاهرة، وأعان الطغاة على ذلك، ومن تلك النصوص:

١ . ورد في زيارة وارث: «فلعن الله أُمَّة قتلتك، ولعن الله أُمَّة ظلمتك، ولعن الله أُمَّة سمعت بذلك فرضيت به»^(٥).

٢ . جاء في زيارة يوم عرفة: «فلعن الله أُمَّة أسرجت وأجملت وتميأت لقتالك يا مولاي يا أبا عبد الله... ولعن الله أُمَّة قتلتك، وأبرأ إلى الله وإليك منهم في الدنيا والآخرة»^(٦).

٣ . جاء في زيارة عاشوراء: «فلعن الله أُمَّة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أُمَّة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، ولعن الله أُمَّة قتلتكم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم»^(٧).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٣، ص ٣٨٧.

(٢) آل عمران: الآية ٨٧.

(٣) محمد: الآية ٢٣.

(٤) الأحزاب: الآية ٥٧.

(٥) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٢٤.

(٦) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤٦٣.

(٧) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٧٤.



إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الواردة في الزيارات، ويتّضح منها أنّ من دوافع نهضة الإمام الحسين عليه السلام المباركة هو إعلان الولاء والوقوف مع أئمة الحقّ، والاصطفاف مع الذين قاموا بالتضحية والاستشهاد في سبيل إعلاء لواء التوحيد، والبراءة والبغض من أعدائهم، والحكم على هذه الفئة الضالّة التي ارتكبت مجزرة كربلاء، وكلّ مَنْ وقف معهم ورضي بفعالهم الإجرامية، بأنّهم أعداء الله، وهم مخلّدون في النار، ويكون الزائر مصداقاً بارزاً لما يقرّأه في زيارة الأربعين: «اللهمّ إنّي أشهدك أنّي وليّ لمن والاه، وعدوّ لمن عاداه»^(١). وما يردّده في زيارة أبي الفضل العباس سلام الله عليه: «وأنا لكم تابع، ونصرتي لكم معدّة»^(٢).

ومن خلال اللعن والبراءة تبطل فكرة عقيدة الإرجاء التي روج لها بنو أمية، وهي عدم الحكم على أيّ أحد من المسلمين بالكفر أو استحقاق العذاب بمجرد أن يظهر الإسلام وإن جاء بما يوجب الكفر والإلحاد.

النقطة الخامسة: الجهاد في سبيل الله

ورد في الزيارة الأربعينية للإمام الحسين عليه السلام: «فجاهدكم فيك صابراً محتسباً، حتّى سفك في طاعتك دمه، واستبّيح حريمه»^(٣).

الجهاد في اللغة: مأخوذ إمّا من الجهد (بالفتح) وهو المشقّة، وإمّا من الجُهد (بالضمّ) وهو الوسع والطاقة^(٤). وعلى أيّ تقدير يكون معناه أن يُكابد المجاهد الأمور الشاقّة ويبدل ما لديه من الوسع والطاقة في سبيل الله تعالى.

(١) المصدر السابق: ص ٧٨٩.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٣٨٩.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٨٩.

(٤) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ٤، ص ٤٠٧.

واصطلاحاً: «بذل النفس وما يتوقّف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص، أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام، وإقامة شعائر الإيمان»^(١).

ويُعتبر الجهاد من فروع الدين، ووجوبه ثابت بالضرورة الدينية عند جميع المسلمين، وقد صدع به القرآن الكريم في آيات عديدة، كقوله تعالى: ﴿بِتَأْيِيدِ النَّبِيِّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ومن جملة عوامل النهضة الحسينية هو الجهاد في سبيل الله من أجل إحقاق الحق، والوقوف بوجه الحكم الأموي الذي استحلّ حرمت الله، ونكث عهوده، وخالف سنة رسول الله ﷺ؛ لذا نهض الإمام الحسين عليه السلام بهذه النهضة المباركة بما يُجتم عليه الواجب الديني من الجهاد ضدّ حكم الطاغية يزيد، حيث قال عليه السلام أمام الحرّ وأصحابه: «أيها الناس، إنّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله»^(٤).

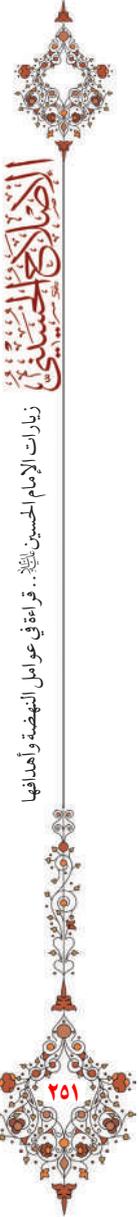
وعند التأمل في نصوص زيارات سيّد الشهداء عليه السلام المروية عن أهل البيت عليه السلام سوف نلمس بوضوح عامل الجهاد في سبيل الله في نهضته المباركة، بخلاف ما روج له الإعلام الأموي من أنّه عليه السلام خرج على إمام زمانه، وألقى بنفسه إلى التهلكة، لذا

(١) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٢١، ص ٣.

(٢) التوبة: الآية ٧٣.

(٣) التوبة: الآية ٤١.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٤.



نقرأ في زيارته المأثورة: «أشهد أنك جاهدت في سبيل الله حق جهاده، لم تأخذك في الله لومة لائم»^(١).

ونقرأ أيضاً: «أشهد أن الجهاد معك جهاد، وإن الحق معك وإليك، وأنت أهله ومعدنه»^(٢).

ونقرأ في زيارة أخرى أيضاً: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة... وبررت والديك، وجاهدت عدوك»^(٣).

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي توقفنا على أن الإمام الحسين عليه السلام قد طرح خلال مسيرته الجهادية دروساً عظيمة تتجلى فيها قيم العزة والكرامة، ورفض الذل والخضوع، فقال: «ألا وإن الدعوي ابن الدعوي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلة، وهيئات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله...»^(٤).

وقال: «والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد»^(٥).

وقال: «فإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً»^(٦). حتى أصبحت عبارة (هيئات منّا الذلّة) شعاراً تصدح به حناجر كلّ المجاهدين والأحرار في العالم في رفض الظلم والذلّ، ومقارعة الطغاة والظلمة، والمطالبة بالحق والعدل، وتقديم أروع صور الجهاد والتضحية والشهادة في سبيل نصره الدين، والذبّ عن أعراض المسلمين، وليس ببعيد عنّا ما قدّمه الأحرار من بطولات كبيرة في مواجهة المعاصرة ضدّ فلول داعش، واستجابتهم المذهلة لفتوى الجهاد الكفائي

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٧٢.

(٣) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٦٣.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٩.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٢٣.

(٦) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٤٥.

التي أصدرها آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف)،
وبسالتهم في الدفاع عن أرض العراق ومقدّساته حتى تحقيق النصر، ممّا جعلوا العالم
كلّه يقف مندهشاً أمام تلك التضحيات المذهلة.

الخاتمة

ممّا تقدّم نرى أنّ النصوص الماثورة الواردة في زيارات المولى أبي عبد الله عليه السلام قد
سلّطت الضوء على نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وبيّنت نوعية أهدافها ومبادئها؛ ممّا يجعل
الزائر من خلال ما يقرأه من نصوص - سواء وقف أمام مولاه عليه السلام أم زاره عن بُعد -
يستلهم الدروس والعبر في التضحية والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
وتتعباً نفسه بضرورة اتباع منهج الحقّ ورفض الطواغيت؛ ممّا جعل الحكومات
الظالمة على امتداد الزمن أن تقف بشدّة لمنع الزوّار من زيارة القبر الشريف، حتّى
قاموا بهدمه ومحو آثاره أكثر من مرّة، فقد ذكر العلامة المجلسي في (بحاره) باباً تحت
عنوان: (جور الخلفاء على قبره الشريف)^(١).

إلا أنّ كلّ هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح، ولم يجن أصحابها إلاّ الخيبة
والخسران والذلّ والهوان، وبقي قبر الإمام الحسين عليه السلام عنواناً للأحرار، وخير دليل
على ذلك زيارة الأربعين، هذه الزيارة المليونية التي لا يضاهاها أيّ تجمع بشري على
مستوى الكمّ أو الكيف، وقد أصبحت نبراساً لجبهة الحقّ، وشوكة في أعين الأعداء.
يقول دعبل الخزاعي:

زُرَ خَيْرَ قَبْرٍ بِالْعِرَاقِ يُزَارُ وَاَعْصِ الْحِمَارَ فَمَنْ نَهَاكَ حِمَارُ
لَمْ لَا أَزُورِكَ يَا حَسِينُ لِكَ الْفِدَا قَوْمِي وَمَنْ عَطَفَتْ عَلَيْهِ نِزَارُ
وَلِكِ الْمَوَدَّةُ فِي قُلُوبِ ذَوِي النَّهْيِ وَعَلَى عَدُوِّكَ مَقْتَةٌ وَدِمَارُ^(٢)

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لما يحبّ ويرضى، ويجعلنا وجميع المؤمنين ممّن وعى نهضة

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٩٠-٤٠٩.

(٢) الخزاعي، دعبل، ديوان دعبل الخزاعي: ص ١١٤.

الحسين عليه السلام، وممن يسير على نهجه، وينظر إلى الزيارة على أنها امتداد وتخليد لتلك النهضة الخالدة لإحياء الإسلام، ونشر العدل والقسط، ورفض الظلم والظالمين، والتضحية بكل غالٍ ونفيس لأجل المبدأ المقدس.

السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* نهج البلاغة.

١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

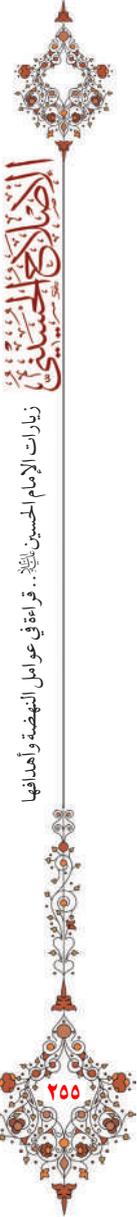
٢. الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح

- وضبط: نخبة من العلماء الأجلّاء، مؤسّسة الأعلّمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٦. تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٧. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
٨. تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ. ش.
٩. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ. ش.
١٠. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عبّاس القوچاني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٥هـ. ش.
١١. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي (ت ٨٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٢. الخصائص الحسينية، الشيخ جعفر التستري (ت ١٣٠٣هـ)، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
١٣. ديوان دعبل الخزاعي، دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلّمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٤. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبّيد الله بن عبد الله الحسكاني النيسابوري



- (ت ٤٩٠هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ١٥ . صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ١٦ . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٧ . الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ١٨ . الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ. ش.
- ١٩ . كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٠ . لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم - إيران، ١٤٠٥هـ.
- ٢١ . اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، نشر أنوار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٢ . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، مكتبة المرتضوي، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
- ٢٣ . مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، منشورات دار الهجرة ايران - قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٢٤ . المزار الكبير، أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بابن المشهدي (ت في القرن

السادس الحجري)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، نشر القيوم، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ..

٢٥. المزار، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيّد محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٢٦. المزار، محمد بن مكّي العاملي الشيهر بالشهيد الأوّل (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٧. المصباح (جنت الأمان الواقية وجنت الايمان الباقية)، إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢٨. مصباح التهجد، أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

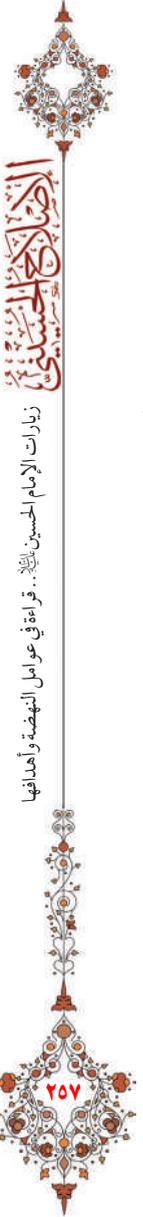
٢٩. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٣٠. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

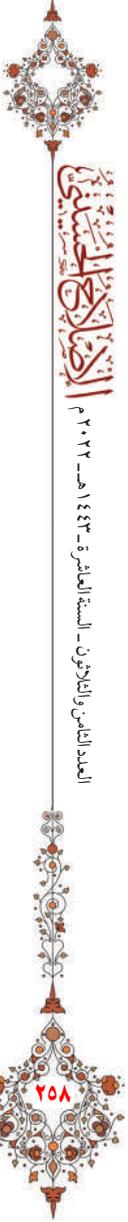
٣١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم المقدّسة، ١٤٠٤هـ.

٣٢. مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القميّ (ت ١٣٥٩هـ)، تعريب: السيّد محمد رضا النوري النجفي، مكتبة العزيزي، ٢٠٠٦م.

٣٣. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمّد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، مكتب: نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.



- ٣٤ . الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دارالسلاسل، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- ٣٥ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.



**وظيفةُ الفَصْلِ والوَصلِ في بناءِ النصِّ
زيارةُ عاشوراءِ مثلاً**

م. د. أحمد موفق مهدي
كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة/ العراق

**The Role of Separation and Connection
in the Composition of Texts
– The Ziyara of Ashura as a Sample**

Dr. Ahmad Muwaffaq Mahdi
College of Education for Human Sciences
– University of Basra, Iraq

ملخص البحث

يتناول البحث وظيفة الفصل والوصل في بناء النصّ في زيارة عاشوراء، وقد اقتضت خطة البحث أن يكونَ في مبحثين هما: وظيفة الفصل في بناء النصّ، ووظيفة الوصل في بناء النصّ. ويبيّن البحث أنّ موضوع الفصل والوصل من أدقّ موضوعات علم البلاغة وأعمقها؛ لما يحتاج الناظر فيه من إدامة النظر وإطالة الوقوف أمام النصوص، فأسلوب الفصل والوصل من أهمّ معايير الاتّساق والانسجام في نصوص زيارة عاشوراء، وأنّ معظم مواضع الفصل التي وردت في الزيارة الشريفة هي: كمال الاتّصال، وكمال الانقطاع، وشبه كمال الاتّصال، في حين لم يرد شبه كمال الانقطاع، وغيرها من المواضع غير متداولة.

وحقّقت الفواصل الموجودة بين الجمل الواردة في الزيارة الشريفة دلالات مقصودة من وراء النصّ البلاغي، وتمثّل ذلك في ذكر اللعن الدائم على أعداء أهل البيت عليهم السلام، والأخذ بثأرهم عليهم السلام؛ ومن أجل أن تُقدّم الفائدة للناس إذ لو وصل بين تلك الجمل لما تحقّق المعنى المراد، ولتحوّلت الأوامر إلى أوصاف حالها حال أماكن الجمل الخبرية.

الكلمات المفتاحية: النصّ، الفصل، الوصل، الزيارة، زيارة عاشوراء، كمال الاتّصال، كمال الانقطاع.



Abstract

This study deals with the role of separation and connection within sentences in the textual composition of the text of the Ziyara of Ashura. The topic of separation and connection is among the most delicate fields in the science of Rhetoric, as this study shows, due to the lengthy textual contemplation it requires. Separation and connection are among the important criteria for the observed consistency and integrity in the texts of the Ziyaras of Ashura.

The majority of separation and connection cases in the noble Ziyara text are as follows: complete connection, complete separation, and semi-complete connection. Semi-complete separation and other cases were not observed. The detected separations between the sentences in the noble Ziyara served as intentional denotations of the rhetoric of the text. These denotations include the constant proclamation of cursing the enemies of the Household (PBUH) and avenging them. If separation were not implemented between the sentences, then rhetorical intent would not have been achieved and the commands in the texts would have been read as mere adjectives.

Keywords: text, separation, connection, Ziyara, the Ziyara of Ashura, complete connection, complete separation.



إنّ البلاغة فنٌّ من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري، ودقّة إدراك الجمال، وتبيّن الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، فالبلاغة هي تأدية المعنى الجليل بعبارة فصيحة صحيحة، مع ملائمة كلّ الكلام للمواطن التي يقال فيها. وتحتوي البلاغة على ثلاثة علوم أساسية هي: علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع. وينضوي تحت كلّ علم من هذه العلوم عدد من المباحث.

ولعلم المعاني مباحث كثيرة، سنتناول الدراسة في هذا البحث مبحثاً منها وهو الفصل والوصل؛ لأنّه يعدّ واحداً من المباحث البلاغية المهمّة التي شغلت مجالاً واسعاً، فهو يمثّل - بلا شكّ - أدقّ أبواب البلاغة وأصعبها مسلكاً، وأنّ المتبّع للدراسات البلاغية عند العرب يخرج باقتناع مؤكّد في أنّ ظاهرة الفصل والوصل بين الجُمْل كانت من أكثر أركان علم المعاني احتفالاً بها، وتركيزاً على أهمّيّتها ودقّتها. حاولنا الوقوف على أبرز الأنواع في الفصل والوصل، وكان الذي يدفعني إلى ذلك أنّهما من أهمّ موضوعات علم البلاغة، وهما العلم بمواضع العطف أو الاستئناف، والتهديّ إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواضعها عند الحاجة إليها أو تركها؛ ومن هنا لمسنا أهمّيّة الموضوع، وتأكّدت غايتنا الأولى، وهي الوقوف على أهمّ مواطن الفصل والوصل، وبيانها وتحليلها في الزيارة الشريفة بصورة مباشرة، وحثّ الخطي لذلك.

وقد واجهنا عدّة صعوبات في ضوء مرحلة كتابة البحث، ومنها قلّة الدراسات السابقة على هذا الموضوع، وأنّ دراستنا بعنوان (وظيفة الفصل والوصل في بناء النصّ.. زيارة عاشوراء مثلاً) لم تحظْ بدراسة مستقلّة وافية على حدّ تنبّعي، ولم يبحث به من قبل، وهذا البحث هو أوّل دراسة أكاديمية في هذا المجال، فكان ذلك أحد أسباب اختيارنا لهذا الموضوع. وأيضاً واجهت صعوبة في عدم توفّر شروحات



لزيارة عاشوراء غير المشهورة - لأنّ دراستنا تتمحور في زيارة عاشوراء المشهورة وغير المشهورة - فقد حاولنا أن نشرح بعض الفقرات منها وإيضاحها. راجين من الله سبحانه القبول والتجاوز عمّا فيه من خلل وسهو وخطأ. ومع كلّ ما تقدّم نود أن نوّكّد أنّ هذه الدراسة فيها الأساليب الإنشائية والخبرية المشوّقة التي انماز بها هذا البحث، وتوجّهت دراستنا بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وتضمّنت الدراسة مقدّمة ومبحثين قد تضمّن كلّ منهما ثلاثة مطالب، ثم خاتمة بأهمّ النتائج.

المبحث الأول: وظيفة الفصل في بناء النصّ في زيارة عاشوراء

المطلب الأول: تعريف الفصل لغةً واصطلاحاً

إنّ الجُمْل في اللغة العربية تتوالى أحياناً منثورة، تستأنف واحدة في إثر الأخرى دون حاجة إلى رابط، وقد شغل هذا الأمر البلاغيين، فحاولوا أن يتبينوا مواطن الفصل بين الجمل ويحدّدوا مواقعها، وبعد أن تمّ لهم ذلك جعلوا هذا الموضوع قسماً مهماً من علم المعاني^(١).

أولاً: الفصل لغةً

جاء في (لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١هـ): «الفصل: الليث، والفصل: بون ما بين الشيتين، والفصل من الجسد: موضع المفصل، وبين كلّ فصلين وصل»^(٢). وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): «الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدلّ على تميّز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فصل الشيء فصلًا، والفصيل: الحاكم، والفصيل: ولد الناقة إذا افتصل عن أمّه، والمفصل: اللسان؛ لأنّ به تُفصل الأمور وتُميز، والمفاصل:

(١) أنظر: تيسير الوسيلة محمد علي، الفصل والوصل في الربع الأخير من القرآن الكريم: ص ٨.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٥٢١.

مفاصل العظام، والمفصل: ما بين الجبلين، والجمع مفاصل»^(١).

ونلاحظ أنّ مادّة (فصل) تدور حول الانقطاع والتمييز بين الشئين إذ لا يمكن الجمع بينهما.

ثانياً: الفصل اصطلاحاً

الفصل في الاصطلاح: هو «أنّ فصل بين جملتين، ويكون ذلك بترك العاطف»^(٢). وهو الاستغناء عن عطف الجمل بعضها على بعض برابط، وإنّما يتحقّق ذلك عندما يعرض لها ما يوجب ترك (الواو) فيه^(٣) عند نهاية كلّ عنصر حتى يشعر السامع بانتهاؤه. كما يعرف أيضاً بأنّه: وقوف الخطيب لعنصر تالي. ولا يخفى ما بين هذه المعاني من ترابط وصلة، ولا شكّ أنّ هذه المعاني الاصطلاحية قد اكتسبت مداليلها من خلالها ما توحى به تلك المعاني اللغوية.

المطلب الثاني: أهمية الفصل

عاش فنّ الفصل في وجدان الناطق العربي، الذي احتاج أن يقطع معنى عن معنى بقاطع، وهو فصله، يهدف إلى تحقيق غاية جمالية يسمو إليها؛ لأنّه يحرص على أداء فكرته في وضوح لا لبس فيه لتصل إلى المخاطب في جمال وجلال.

ولا نجد عبارة تكشف عن أهميّة هذا المبحث أفضل من عبارة شيخ البلاغة الجرجاني؛ إذ يقول «اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتّى لتام الصّواب فيه إلّا الأعراب الخالص، وإلّا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فتناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراداً، وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٦٥.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز: ص ١٥٦.

(٣) أنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية: ج ١، ص ١٠٣.



أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئِلَ عنها فقال: (معرفة الفصل من الوصل)^(١)؛ ذلك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلاّ كمل لسائر معاني البالغة^(٢).

يقول الجرجاني أيضاً: «وأعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه إنه خفي غامض، ودقيق صعب، إلاّ وعلم هذا الباب أعمق وأخفى، وأدقّ وأصعب»^(٣). يعدّ موضوع الفصل من أكثر موضوعات علم البلاغة المرتكزة على الذوق البياني؛ «لما لها من صلة بالمعنى المراد، فكم من متكلم أفسد معناه بالوصل، ولم يكن حقّه كذلك، أو بالفصل، والموضع موضع وصل؛ لذلك لم تكن قضية الفصل والوصل وأمرهما أمر حرف تُرك تارة ووُجد أُخرى، بل هو أمر يتعلّق بالمعنى الذي لا يصلح إلاّ بالوصل حيناً وبالفصل حيناً آخر»^(٤).

وتسهم دراسة موضوع الفصل والوصل في إبراز التلاؤم والتجانس في أجزاء الكلام؛ وذلك لـ (أنّ التلاؤم وعدم التلاؤم بين المعاني قضية جمالية فكرية، والبحث فيها مائج رجراج لا حصر لصوره، كالبحث في صور أمواج البحر، وكالبحث في صور حركات السحب وتشكيلاتها المتنوّعات الناتجة عن تقاربها وتباعدها، واجتماعها وافتراقها، مع اختلاف ألوانها وكثافتها في الأبعاد الثلاثة: الطول والعرض والعمق)^(٥).

تعالج ظاهرة الفصل والوصل قواعد الربط بين الجمل في النصّ بعيداً عن نطاق الجملة الواحدة، وانتقاء الشواهد المتفرّقة، والأمثلة المتجزّأة التي شاعت في أغلب علوم

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج ١، ص ٨٨.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ص ٢٢٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣١.

(٤) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني): ص ٣٢٠.

(٥) أنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية: ج ١، ص ٥٥١.

البلاغة العربية^(١)، وأيضاً هي معرفة المواطن التي تقتضي العطف وكيفية إيقاع حروف العطف في موقعها، أو تركها؛ لشدة الالتحام والاتصال بين أجزاء الكلام والعبارات.

المطلب الثالث: مواطن الفصل

كما عرفنا في تعريف الفصل بأنه الاستغناء عن عطف الجمل بعضها على بعض برابط^(٢)، فقد يفصل بينها لضرورة توجب ترك العطف مع بقاء تناسب النظم وعدم تفككه؛ إذ إنَّ الفصل لا يعني «تفكيك التركيب وانتقاء المناسبة؛ لأنَّ في ذلك إساءة إلى تلاحم النظم ووصفه»^(٣). وقد عدّها القزويني أربعة مواضع، هي: كمال الاتصال، كمال الانقطاع، شبه كمال الاتصال، شبه كمال الانقطاع^(٤). أمّا المحدثون فحدّدوا للفصل مواضع خمسة، هي: كمال الاتصال، كمال الانقطاع، التوسّط بين الكمالين، شبه كمال الانقطاع، شبه كمال الاتصال^(٥). وقد جاءت منه في الدراسات في زيارة عاشوراء المشهورة وغير المشهورة ثلاثة أنواع كانت مهيمنة أسلوبياً:

أولاً: كمال الاتصال

يتحقّق كمال الاتصال بأن تكون الجملة الثانية تأكيداً للجملة الأولى أو بياناً لها أو بدلاً منها، وهذا النوع من الجمل يقرّر بعضه بعضاً، وأنَّ جملة تتناسق من داخلها وتترابط بشكل يترك معه ذكر حروف العطف؛ لأننا في حالة العطف نكون كمن يعطف الشيء على نفسه^(٦)، وفي الحقيقة أنّ الشيء لا يعطف على نفسه. ويتحقّق كمال الاتصال بالصور الآتية:

- (١) أنظر: مصلوح، سعد عبد العزيز، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة: ص ٦٧.
- (٢) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٢٤٤.
- (٣) جمعة، عدنان عبد الكريم، اللغة في الدرس البلاغي: ص ١٩٧.
- (٤) أنظر: القزويني، جلال الدين محمد، الإيضاح في علوم البلاغة: ص ١٩٧-١٥٣.
- (٥) أنظر: د. عهدود عبد الواحد عبد الصاحب، السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية: ص ١٨٧.
- (٦) أنظر: التفتازاني، سعد الدين، شرح المختصر: ص ٢٢. والجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٢٢٧.



أ. الجملة المؤكدة الأولى

أن تكون الجملة الثانية بمنزلة التأكيد اللفظي أو المعنوي للجملة الأولى؛ وذلك لزيادة التقرير، أو لدفع توهم المجاز، أو لدفع توهم الغلط، فأشار الإمام الباقر عليه السلام في نصّ زيارة عاشوراء: «لَعَنَ اللَّهُ الْمَهْدِينَ هُمْ بِالْتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ»، فالإمام عليه السلام يشير إلى أولئك الذين فتحوا الطريق وسهّلوا الوسائل في إنزال مختلف أنواع الظلم على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فهذا المقطع من الزيارة يشير فيه الإمام عليه السلام إلى أولئك الذين مهّدوا الطريق لحدوث واقعة الطفّ الفجيعة التي قُتل فيها سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وأولاده وإخوته ومجموعة من أهل بيته، وقلة من الأصحاب الطاهرين، فهذه الأمة التي أرادت أن تطفئ نور الله تعالى، عليهم اللعنة الدائمة من أولهم إلى آخرهم في الدنيا والآخرة. أمّا في قوله عليه السلام: «بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ وَأَوْلِيائِهِمْ»، فهذه الجملة الشريفة من الزيارة تشير إلى مسألة التبرّي من أعداء الله جزءاً، فيعدّ اللعن مظهراً من مظاهر التبرّي، وقد جاءت مؤكدة للأولى وإن اختلفت في المعنى معها؛ لأنّ اللعن^(١) أصبح جزءاً من التبرّي^(٢) من أعداء أهل البيت عليهم السلام، لذا الجملة الثانية قرّرت ما أفادته الجملة الأولى من معنى وزادت عليه، فالفصل في الموصوف عمل على تأكيد قبح عمل القوم أو الأمة؛ وذلك عندما تأتي جملة ثانية تؤكّد الجملة الأولى.

(١) اللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله؛ لذا قال الراغب الأصفهاني: «اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره». الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن: ص ٤٥١.

(٢) التبرّي: وهو رفض ومعاداة من يبغض الله وأوليائه قلباً وعملاً؛ لذا عرّف الشيخ الطبرسي البراءة بأنّها: «انقطاع للعصمة، ورفع للأمان، وخروج من العهد». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٢٦٥.

ب. جملة البيان

أن تكون الجملة الثانية بياناً ونتيجة للأولى، أو أن يكون في الجملة الأولى إجمال في عدّة أمور تحتاج إلى تفصيل، فتأتي الثانية لتفصيل هذا الإجمال.

وجاء في الزيارة الشريفة: «اللَّهُمَّ وَالْعَنُ جَمِيعَ الظَّالِمِينَ لَهُمْ وَأَنْتَقِمُ مِنْهُمْ إِنَّكَ ذُو نِقْمَةٍ مِنَ الْمُجْرِمِينَ»^(١)، ففي هذا المقطع الشريف فصل بين «إِنَّكَ ذُو نِقْمَةٍ مِنَ الْمُجْرِمِينَ» - الذي استوحاه من قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾^(٢) - وبين

كلامه الأوّل «اللَّهُمَّ وَالْعَنُ جَمِيعَ الظَّالِمِينَ لَهُمْ وَأَنْتَقِمُ مِنْهُمْ»، لتكون الجملة الثانية بياناً ونتيجة للأولى. فهو يؤكّد أنّ ما جاء به الظالمون والمجرمون من قتلهم ريحانة رسول الله ﷺ جزاؤه اللعن الدائم عليهم؛ لأنّ الله تعالى أشار في كتابه الكريم إلى جواز لعن مَنْ يتخلف عن أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيهِ^(٣)؛ قال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٤)،

وقال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة منّي، مَنْ آذاها فقد آذاني، ومَنْ آذاني فقد آذى الله»^(٥)، وهؤلاء الظالمون ضربوا سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وظلموها وسرقوا حقّها قهراً وجبراً، وقتلوا بعلها وأولادها الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خيراً منهما»^(٦)، فكيف لا يأخذ الله تعالى بثأرهم وهم أوصياؤه وأحبّاءه!؟

لذلك جاء الدعاء عليهم باللعنة وطلب الانتقام منهم؛ وعلى هذا يكون بين

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٥٣٩.

(٢) السجدة: الآية ٢٢.

(٣) أنظر: الطهراني، أبو الفضل، شفاء الصدور في شرح زيارة عاشوراء: ص ١٢٩-١٣٠.

(٤) الأحزاب: الآية ٥٧.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ١، ص ١٨٦.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٦٣.

الجملة الثانية والأولى اتّصال معنوي أو دلالي؛ إذ إنّ الجملة الثانية جاءت مفسّرة وموضحة للأولى؛ لما تحمله من دلالة أوضح من دلالة الجملة الأولى، وقد عمل الفصل في هذا المقطع على زيادة إيضاح الجملة المفصولة عنها، وهي: «إِنَّكَ ذُو نِقْمَةٍ مِنَ الْمُجْرِمِينَ»، فهو يؤكّد أنّ الله تعالى سينتقم ممّن فعل ذلك بأوصيائه أشدّ الانتقام؛ لهذا قال تعالى متهدّداً لمن فعل ذلك: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾^(١)، إذ توعدّ الله تعالى المجرمين الذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام أن جعل لهم عقاباً، وهو لعنة الله عليهم والملائكة والناس أجمعين، فهذا هو جزاء عملهم، فأوردوا أنفسهم المهالك. وأيضاً بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢) يؤكّد الدعاء عليهم بالطرده والإبعاد من رحمة الله تعالى؛ بسبب أفعالهم وظلمهم لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فكانت هذه الجملة في غاية الوضوح والدلالة على ما يريده الإمام عليه السلام.

ثانياً: كمال الانقطاع

وهو الموضع الثاني من مواضع الفصل، وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام، كأن تختلفان خبراً وإنشاءً، ولفظاً ومعنى، أو تتفقان في الخبرية أو الإنشاء لفظاً وتختلفان معنى، أو أن تتفق الجملتان في الخبرية أو الإنشائية ولكن يغيب الجامع بينهما، فيتعيّن الفصل^(٣).

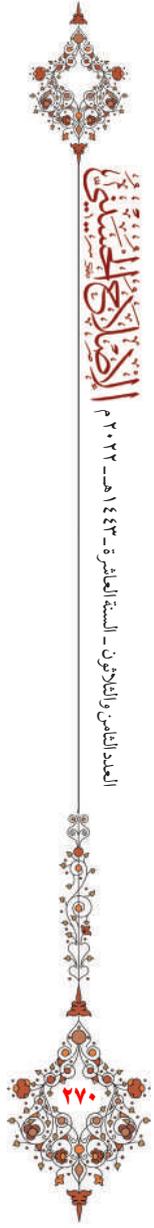
جاء في زيارة عاشوراء الشريفة: «اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ وَالْعَنْ مَنْ رَضِيَ بِقَوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ مِنْ أَوَّلٍ وَآخِرٍ لَعْنًا كَثِيرًا، وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نَارِكَ»^(٤)، فالجملة الشريفة الأولى (العين...) إنشائية طلبية لفظاً ومعنى، وأمّا الثانية (بقولهم) خبرية لفظاً ومعنى، وقد فصل بينهما؛ لاختلافهما في الخبرية والإنشائية، ولعلّه يكمن المعنى من كلامه عليه السلام: نحن

(١) السجدة: الآية ٢٢.

(٢) هود: الآية ١٨.

(٣) أنظر: التفتازاني، سعد الدين، شرح المختصر: ص ٢٢١.

(٤) الطباطبائي البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ص ٤١٩.



لا نلعن إلا رموز الكفر والنفاق، وأعلام الضلالة والبدعة، وعلى مَنْ رضي بقولهم وفعلهم وما ارتكبه بحق أهل البيت عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم كما جاء في محكم كتابه المبين: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(١)، أي يوم لا تنفع المعذرة فيه، ولا ينفعهم شيء من ظلمهم لآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) سوى اللعنة الإلهية، بمعنى البعد عن رحمة الله، وينزل على الظالمين العذاب الجسماني، ويوضعون في أسوأ مكان في نار جهنم^(٢).

ثالثاً: شبه كمال الاتصال

وهو الموضع الثالث من مواضع الفصل، وهو ما لو جاءت الجملة عقب ما يقتضي في النفس سؤالاً، أي إنَّ الجملة الأولى تحتوي سؤالاً مقدّراً وتأتي الجملة الثانية بمثابة جواب لها، والربط بين الجملتين هو رابط معنوي شعوري، فقد جاء في الزيارة الشريفة: «وَأَجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»^(٣)، فالجملة (إني أتقرب إليك بمحمد وآل محمد صلواتك عليه وعليهم أجمعين) هي جواب لسؤال يفهم في ضوء الجملتين الأوليين (وَأَجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)، وكأنَّ سائلاً يسأل: كيف تتحصّل الوجاهة عند الله في دار الدنيا والآخرة؟ فيأتي الجواب: (إني أتقرب إليك بمحمد وآل محمد صلواتك عليه وعليهم أجمعين)، بمعنى أن الزائر يطلب من ربه في هذه الفقرة من الزيارة أن يسدّه للعروج في مدارج العلم والعمل بواسطة الاعتصام بالعروة الوثقى، ومحبة نبي الأمة محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والتمسك بالحبل المتين، لكي يشمله رضا الله في الدنيا ويصل في الآخرة إلى مقام

(١) غافر: الآية ٥٢.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٢، ص ٩٢.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٥٣٩.

القرب ودرجة الأولياء، بجاه محمد وعترته الطاهرة عليهم السلام.

وقد ورد في جملة من الأدعية طلبُ الوجاهة عند الله تعالى بأهل البيت عليهم السلام، منها: ما ورد في الصحيفة السجادية ضمن دعاء اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان: «أتوجه إليك بمحمد صلى الله عليه وآله أمامي، وأئمتي عن يميني وشمالي، أتقربُ بهم إليك زُلْفَى... اللهم احشُرني في زميرهم، وأدخلني في شفاعتهم، واجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّين، برحمتك يا أرحم الراحمين»^(١).

ومنها: ما رواه الشيخ الكليني في (الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ كَانَ مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، إِذَا قَامَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَقَدِّمُهُمْ بَيْنَ يَدَي صَلَاتِي، وَأَتَقَرَّبُ بِهِمْ إِلَيْكَ، فَاجْعَلْنِي بِهِمْ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ...»^(٢).

وقد ورد طلب الوجاهة عند الله تعالى بسيد الشهداء عليه السلام باعتبار أن الزائر يزوره عليه السلام، ويجعله وسيلته إلى الله تعالى لتحقيق سؤله، كما هو ظاهر من سياقها، قال الإمام الباقر عليه السلام: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عليه السلام»، فالوجاهة على قسمين: الأوّل: وجاهة عرفية. والثاني: وجاهة شرعية.

وتوضيحهما: أن الوجاهة العرفية هي التي تكون بين الناس، ومع شديد الأسف أصبح الناس في هذا الزمن يبحثون عن الوجاهة العرفية، تاركين الوجاهة الشرعية، فيبحثون عن المناصب الاجتماعية، ووصل بهم الحال أن الشخص يرغب أن يُقصد ولا يُقصد الناس، يحب أن يُزار ولا يذهب لزيارة الآخرين. لذا حاول أئمة أهل البيت عليهم السلام أن ينزعوا هذه القضية من عند الناس، بحيث لا يكون تركيزهم على هذه الوجاهة العرفية، وإنما يكون نحو طلب الوجاهة الشرعية التي عند الله تعالى،

(١) الصحيفة السجادية: ص ٢٧٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٥٤٤.

فالإنسان المؤمن عندما يغفل عن ذكر الله تعالى، فإنَّ الشيطان يدخل من هذه النافذة ويوسوس له، ولكنَّ الوجيه سرعان ما يتنبه إلى هذه الغفلة، ويستغفر الله تعالى ويرجع إلى رشده وصوابه.

إنَّ أهل البيت عليهم السلام لا يريدون أن تكون هذه الواجهة دنيوية فقط، إنَّما يريدونها أن تكون شرعيةً، وهو أن يكون الإنسان وجيهاً عند الله تعالى، والذي يكون وجيهاً عند الله يكون وجيهاً عند الناس.

إذا؛ الواجهة الشرعية هي مطلب أهل البيت عليهم السلام، بمعنى: أيها الناس، اطلبوا الواجهة الشرعية من الله تعالى على الصعيد الدنيوي والآخروي معاً^(١). ولكي يصل الزائر إلى درجات عالية من الكمال في الدنيا والآخرة، فيتحقَّق ذلك بمحبَّتهم الكاملة والافتداء بسيرتهم الصالحة وأخلاقهم السامية، ففصل بينهما؛ لأنَّ بينهما شبه كمال الاتِّصال.

المبحث الثاني: وظيفة الوصل في بناء النصِّ في زيارة عاشوراء

المطلب الأوَّل: تعريف الوصل لغة واصطلاحاً

أولاً: الوصل لغة

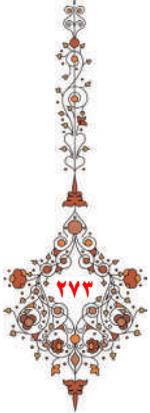
جاء في (لسان العرب): «وصل: وصلت الشيء وصالاً وصلة. والوصل: ضدُّ الهجران... واتَّصل الشيء بالشيء: لم ينقطع... وليلة الوصل: آخر ليلة من الشهر؛ لا تتَّصَّالها بالشهر الآخر»^(٢).

أصل هذه المادَّة (وصل) عند ابن فارس يدور على الاتِّصال، يقول: «الواو والصاد

(١) أنظر: مدوِّنة كتابات في الميزان، المصدر:

<https://www.kitabat.info/subject.php?id=34938>

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٧٢٦-٧٢٩.



واللام أصل واحد يدلّ على ضمّ شيء إلى شيء حتى يعلقه، ووصلته به وصلاً»^(١).
وتدور مادّة (وصل) على الجمع والضمّ والترابط بين شيئين بينهما نوع التقاء
وتقارب.

ثانياً: الوصل اصطلاحاً

هو عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو، وخاصّة إذا كان بينها صلة في المبنى
والمعنى، أو لدفع لبس يمكن أن يحصل^(٢). ويذكر القزويني (ت ٧٣٩هـ) في كتابه:
أنّ الوصل «عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه، وتمييز موضع أحدهما
من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنّ منها عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق
المأخذ، لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علماً بكنهه إلّا من أوتي فهم كلام العرب طبعاً
سليماً، ورزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً، ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على معرفة
الفصل من الوصل»^(٣).

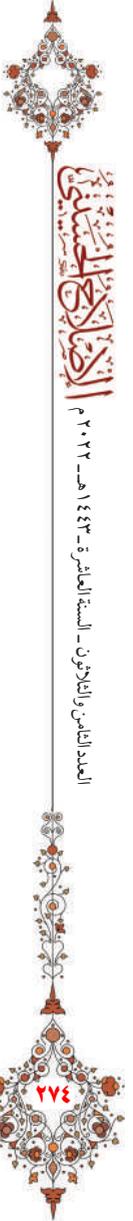
ويعرّفه السكاكي في كتابه: «ترك العاطف وذكره على هذه الجهات، وطى الجمل
عن البين ولا يقصد طيّها، وإتّها لمحكّ البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومضمار النظّار،
ومتفاضل الأنظار، ومعيّار قدر الفهم، ومسبار غور الخاطر، ومنجم صوابه وخطائه،
ومعجم وجلائه وصدائه، وهي التي إذا طبّقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة
بالقدح المعلى، وإنّ لك في إبداع وشيها اليد الطولى، وهذا فصل له فضل احتياج إلى
تقرير وافٍ، وتحرير شافٍ»^(٤).

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٦، ص ١١٥.

(٢) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٢٢٢.

(٣) القزويني، جلال الدين محمد، الإيضاح في علوم البلاغة: ص ١١٨-١١٩.

(٤) السكاكي الخوارزمي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص ١٥٠.



المطلب الثاني: أهمية الوصل

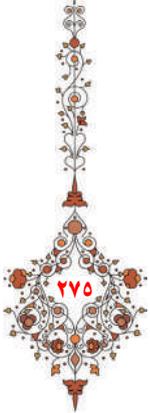
يعدّ موضوع الوصل من أكثر موضوعات علم البلاغة المرتكزة على الذوق البياني؛ لما لها من صلة بالمعنى المراد، فكم من متكلم أفسد معناه بالفصل ولم يكن حقّه، والموضع موضع وصل؛ لذلك لم تكن قضية الفصل والوصل وأمرهما أمر حرفٍ ترك تارة ووجد أخرى، بل هو أمر يتعلّق بالمعنى الذي لا يصلح إلا بالوصل حيناً، وبالفصل حيناً آخر^(١)، وبهذا يكون ضمّ فكرة إلى فكرة أخرى، ولفظ ذي معنى إلى لفظ آخر ذي معنى موافق أو مخالف، يتطلّب إدراكاً عالياً جداً قادراً على تمييز درجات حسن التلاؤم، ودرجات قبح عدم التلاؤم الذي يولّد في النفوس الصدّ أو النفرة أو الاستقباح، أو الحكم على الكلام بالركاكة، وسوء التركيب، وخروجه عن أطر الجمال الفني^(٢)، والنصوص تشعر أنّ الحسّ العربي المصنّف كان يتوقع الوصل حين لا يجد وصلاً، ويبحث عن الفصل حين يفتقده، وكان يفاضل بين رابط ورباط حتى يستقيم الشكل مع المضمون، وقصّة الذي رفض من الأعرابي قوله: (لا، عافاك الله) وطالبه بأن يقول: (لا، وعافاك الله) تدلّ على ذلك^(٣).

ويرى المراغي في بيان أهميّة الفصل والوصل أن لا بدّ من العلم بمواضع العطف أو الاستئناف، والتهدّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها؛ وذلك لأنّه صعب المسلك، لطيف المغزى، كثير الفائدة، غامض السرّ، لا يوفّق للصواب فيه إلا من أوتي حظاً من حسن الذوق، وطبع على البلاغة، ورزق بصيرة نقادة في إدراك محاسنها، ولصعوبة ذلك جعل حدّاً للبلاغة، ألا ترى إلى بعض البلغاء وقد سُئل عن البلاغة فقال: (هي معرفة الفصل والوصل)، فجعل ما سواه تبعاً ومفتقراً إليه، وليس بالخفي أنّه لم يرد بذلك إلا التنبيه على غموضه وجليل

(١) أنظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني): ص ٣٢٠.

(٢) أنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية: ج ١، ص ٥٥١.

(٣) أنظر: سلطان منير، الفصل والوصل في القرآن الكريم: ص ١٩١.



خطره، وأنّ أحداً لا يكمل في معرفته إلاّ كمل في سائر فنونها؛ فإنّ سبك الكلام وقوّة أسره وشدّة تلاحم أجزائه تحتاج إلى صانع صنع، وحاذق ماهر يبيّن بين أقسام الجمل التي تُفصل والتي توصل، فيرى الفرق واضحاً بين جملتين تمتزجان حدّ الامتزاج، حتى كانت إحداهما الأخرى، وجملتين لا تناسب بينهما، فإحداهما مُشتمّة والأخرى معرّفة، وجملتين هما وسط بين الأمرين، فيحكم بوجوب الفصل في النوعين الأوّلين، والوصل في النوع الثالث^(١).

ويبيّن العاكوب أنّه لا غنى للبلّغ عن المعرفة الدقيقة لمواقع الجمل، وما ينبغي أن يحدث فيها من عطف، ولا بدّ من الاستعمال الصحيح لحروف العطف وإيضاح معانيها؛ ليدلّ على تعلّق المعاني وشدّة اتّصالها.

وقد أشار العلماء القدماء بدقّة إلى هذا المبحث وأهمّيته من مباحث علم المعاني، فقد نوّه بأهمّية الوصل في الكلام لدلالته على تماسك بنائه، وقوّة وصفه، ووحدة معناه؛ إذ إنّ حذف الوصل في بعض الأقوال يؤدّي إلى تجزئة النصّ، وانعدام رونقه، وذهاب حسنه^(٢).

المطلب الثالث: مواطن الوصل

الوصل: هو «عطف بعض الجمل على بعض»^(٣). وهو أيضاً: «ربط معنى بمعنى حقيقي أو مجازي بأداة لغرض بلاغي»^(٤)، وذلك بواسطة أداة العطف، وهذه الأداة تمثّل واحدة من أبرز أدوات الربط على مستوى الجملة؛ إذ يعدّ الربط قرينة لفظية وخصيصة معروفة من خصائص التركيب النحوي للجملة، فالوصل عنصر في كلّ

(١) أنظر: المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة: ص ١٩٣.

(٢) أنظر: العاكوب، عيسى علي، الكافي في علوم البلاغة العربية: ج ١، ص ٢٩٩.

(٣) القزويني، جلال الدين محمد، الإيضاح في علوم البلاغة: ص ١٥١.

(٤) سلطان منير، بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ص ٢٦٣.

لغة من اللغات؛ لأنه يعمل على ربط أجزاء الكلام بعضها ببعضها الآخر في السياق، فيضفي بذلك سمة التماسك الشكلي على الجملة^(١)، فالجمع بين المعطوف والمعطوف عليه وجعلها أشبه ما يكونان بالشيء الواحد يجعل النصّ متماسكاً، وهذا التماسك النصّي إنّما يتحقّق في ضوء حضور حرف العطف، والعلامة الإعرابية، وأفعال المشاركة، ومعنى حرف العطف.

وتمثّل سياقات الوصل في نصّ زيارة عاشوراء ملمحاً أسلوبياً، وقد تمثّل حضورها في موضعين:

١. أن تكون الجملتان خبريتين لفظاً ومعنى، كقوله عَلَيْهِ: «حَلَّتْ بِفَنَائِكَ وَأَقَامَتْ فِي جَوَارِكَ وَوَفَدَتْ مَعَ زُورِكَ»^(٢)، فقد وصل بين الجمل الفعلية؛ لما بينها من التوسّط بين الكمالين المتمثّل في اتّفاقها بالخبرية لفظاً ومعنى، ومع وجود المناسبة التامة بينها، وعدم وجود مانع من العطف؛ لذلك عطف الإمام عَلَيْهِ كلّ جملة بحرف العطف الواو كما هو واضح بين الجمل.

٢. أن يكون للجملة الأولى محلّ من الإعراب، قصد إشراك الجملة الثانية في حكمها الإعرابي، من قبيل عطف مفرد على مفرد^(٣)، كقوله عَلَيْهِ: «أَنْ يُجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يُثَبَّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٤)، فالجملة الأولى في هذا المقطع (أن يجعلني معكم) التي تتكوّن من أداة النصب (أن) والفعل المضارع المنصوب بأداة النصب والمفعول به، لها موضع من الإعراب. وأمّا الجملة التي بعد الجملة الأولى (أن يثبت لي عندكم)، فهي تشارك الأولى في الحكم الإعرابي، وهذا الاشتراك في الحكم الإعرابي لا يتحقّق إلّا في ضوء الوصل؛ لذلك وصل عَلَيْهِ بين الجملتين بحرف العطف (الواو).

(١) أنظر: جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق (ترجمة عباس صادق الوهاب): ص ٢١٦-٢٢٠.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٥٣٨.

(٣) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٢٢٦. وأساليب المعاني في القرآن: ص ٢٤١.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٥٩.



والمراد من هذه الجملة: أن يجعله معهم في الدنيا توفيقه لمتابعتهم، وفي الآخرة أن يحشر معهم في درجاتهم، وأن يثبت له قدم صدق، والتثبيت بمعنى الإدامة على الحالة السابقة، وهي الثبات على الإيمان النافع للإنسان وعدم الإزاحة عنه، كما ورد في الزيارة الجامعة: «فثبتني الله أبداً ما حييت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم، ووفقتني لطاعتكم، ورزقتني شفاعتكم، وجعلني من خيار مواليكم»^(١).

والمراد بقوله **عَلَيْهِ**: (قدم صدق في الدنيا والآخرة) بمعنى أن يرزقني المحبة الخالصة، والطاعة التي لا يشوبها عصيان. وبالإضافة إلى ذلك (لسان صدق) هو الذكر الحسن والثناء الجميل، وسبب تخصيص التثبيت في هذا المقطع الشريف بالتثبيت في الدنيا؛ لكونها محلّ التغيير والتبدل.

أما الوصل بحروف العطف، فقد جاء بحسب ما تؤدّيه تلك الحروف من معانٍ ودلالاتٍ، منها:

أ. **الواو**: تؤدّي وظيفتها في إطلاق الجمع فضلاً عن دلالتها على العطف والتشريك، لكنّها قد يؤتى بها لتفيد إضافة إلى هذه الدلالة دلالات أخرى يُفصح عنها السياق، منها دلالة الترتيب، والجمع بين قضيتين، ووصل بعضها ببعضها الآخر. ويعمل حرف العطف (الواو) على وصل الجمل وتماسكها؛ فضلاً عن التدرّج في ترتيب الجمل وعرضها^(٢)، كما جاء في الزيارة الشريفة: «وَلَعَنَ اللهُ شِمْرًا، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَجْمَتْ وَنَنَقَبَتْ لِقِتَالِكَ»^(٣)، فحرف العطف (الواو) قام بالوصل بين الجمل في هذا المقطع من الزيارة الشريفة، وعمل أيضاً على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها، وهي لعن الأُمَّة التي أسرجت وأجمت

(١) المصدر السابق: ج ٩٩، ص ١٣١.

(٢) أنظر: حسن هادي نور، الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة: ص ٢٣٣.

(٣) ابن قولويه القمي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٩.

وتنقبت، لتتهيأ لقتال سيّد الشهداء عليه السلام، كما عمل على حصول الترادفية في النتيجة الواحدة.

وقد أضفى هذا الحرف تدرجاً في ترتيب الجمل وعرضها بصورة مرتبة ومتدرجة؛ لتعطي نتيجة واحدة، وهي: أن قتال سيّد الشهداء هو العلة والسبب الذي من أجله تنقبت هذه الأمة وأسرجت وأجمت وتهيأت، فاستحقوا اللعن من الله والعذاب الأليم^(١).

وقد يكون الوصل بحرف العطف (الواو) إذا كانت الجملتان متضادتين من حيث المعنى، كما جاء في الزيارة الشريفة: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ حَيَايَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»^(٢)، فإنّ العلاقة بين (الحياة والموت) علاقة تضادّ، وهذه العلاقة هي التي جمعت بين الجملتين من خلال حرف العطف (الواو)؛ لأنّ الذهن عندما يتصوّر أحد الضدّين فعندها يتصوّر الآخر، أي إنّ حضور أحدهما في العقل يستدعي حضور الآخر، فالموت يحضر في الذهن عند ذكر الحياة، والسواد يحضر في الذهن عند ذكر البياض، وهكذا.

وقد يأتي معنى التعليل والتبرير، كما ورد في الزيارة الشريفة: «السلام عليك وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، عليكم منّي جميعاً سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار»^(٣)، فعلى الرغم من التضادّ بين المفردتين (الليل) و(النهار) في الجملة إلا أنّهما قد اتّسقتا واتّحدتا باتجاه دعم النتيجة المطّردة وتقويتها بقوة حرف العطف (الواو)، الذي أفاد التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (السلام الكامل لكم جميعاً)، والمعنى: السلام منّي إليكم جميعاً دون تمييز، أو أستشني أحداً دون أحدٍ، أو جماعة منكم دون جماعة؛ لأنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام صاروا بمثابة نفسه لا يفرقون عنه، فقد

(١) أنظر: البلداوي، وسام برهان، تيجان الولاء: ج ٢، ص ٢٧٠.

(٢) ابن قولويه القمي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٢٨.



استشهدوا معه، ودفنوا معه، وهم في الملكوت معه.

ولشدة محبة الزائر للمولى الإمام أبي عبد الله عليه السلام أرتأى أئمتنا المطهرون (صلوات الله عليهم أجمعين) أن يكون سلامُ الزائر للإمام المعظم الحسين عليه السلام وأصحابه غير مشوبٍ بغير مرضاة الله تعالى؛ لأنَّ الزائر مهما كان مخلصاً في سلامه وحبّه، ينبغي أن يكون سلامه على المولى المعظم أبي عبد الله الحسين عليه السلام كاملاً غير منقوصٍ، وأنَّ إضافة السلام إلى الله تعالى وهو إشارة إلى أنَّ سلامه تعالى هو اللائق بهم، لا سلام الزائر الذي يشوبه النقص أحياناً، حين لا يكون همّه إلا الأجر والثواب، وهو نوع تجارة معهم، ولا ينبغي للمؤمن من الزائرين أن يتّصف بها دائماً، وحتى لو زارهم للحبِّ فسلم عليهم حبّاً لهم؛ فإنَّ سلامه عليهم يعتبر ناقصاً اتجاه ما قدّموه من فداءٍ وتضحياتٍ يعجزُ عن وصفها اللسان؛ لذا كان من اللائق بهم أن يكون السلام من الله تعالى عليهم^(١).

والسلام عليهم وإن كان مرتبطاً ببقاء الليل والنهار، لكنّه دائم بدوام الله تعالى، إذ دوامه عز وجل لا ينقطع ولا يبيد، وكذا سلامه عليهم لا ينقطع ولا يبيد، وكما أن أهل الجنة باقون ببقاء الله تعالى، فكذا سلامه (جلّ وعلا) باقٍ ولا يزول أبداً، ولعلّ كلمة (أبداً) إشارة إلى ما ذكرنا، أي بما أن الله تعالى لا يبيد ولا يفنى أبداً، فسلامه (جلّ وعلا) على سيّد الشهداء عليه السلام وأصحابه الميامين (صلوات الله عليهم أجمعين) لا يبيد أبداً. ولا يبعد أن التخصيص بسلام الله تعالى على الإمام الحسين عليه السلام دون سلام الزائر بسبب أن سلام الزائر منقطع لا محالة بعد موته - أي موت الزائر - لكنّ الله عز وجل هو الحي الذي لا يموت؛ لذا فسلامه (جلّ وعلا) لا ينقطع^(٢).

ب. الفاء: وتفيد دلالة الترتيب والتعقيب من دون إهمال أو تراخٍ^(٣)، وجاء في

(١) أنظر: العاملي، محمد جميل، نفحات الأبرار: ج ١، ص ٣٧٢-٣٧٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٧٤.

(٣) أنظر: المرادي، الحسن بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ٦١.

الزيارة المقدّسة: «وَالْعَنِ اللَّهْمَ الَّذِينَ مَهَبُوا مَالَهُ وَسَلَبُوا حَرِيمَهُ، وَلَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ وَلَا مَقَالَهُ، اللَّهْمَّ وَالْعَنِ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ فَرَضِي بِهِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»^(١)، فقد وصل حرف العطف (الفاء) الجملة (رضي به...) بالجملة التي قبلها من دون مهلةٍ أو تراخٍ؛ إذ أفادت التعقيب مباشرة، خلافاً لما تفيدُه (ثم) من معنى التراخي، فكان ما قبلها علةً وسبباً لما بعدها؛ وما يريده الإمام عليه السلام في هذا المقطع الشريف هو لعن كلِّ مَنْ رضي بهذا الفعل من أنواع الظلم والجور الذي جرى على أهل البيت عليهم السلام، والذي يجري الآن على محبِّي وشيعة أهل البيت عليهم السلام في العالم^(٢).

الخاتمة

قد بذلنا وسعنا من أجل إبراز بعض الجوانب في فنّ الفصل والوصل - الذي يحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيح والتحرير، لاسيما من الناحية التطبيقية بين الجمل، التي طالما تحدّث البلاغيّون عن مكانتها ودقّتها في اللغة العربية، من حيّز الدراسة النظرية المحدودة إلى حيّز أرحب وأوسع - هو الدراسة التطبيقية - في نصوص الزيارة الشريفة، وبيان دلالتها في ضوء هذه الدراسة، إذ تبين لنا أنّ نصوص زيارة عاشوراء الشريفة المشهورة وغير المشهورة جاءت متسلسلة متناسقة قد هيمنت عليها ثلاثة أنماط من الفصل، وهي: (كمال الاتّصال، وكمال الانقطاع، وشبه كمال الاتّصال). وأمّا الوصل فقد كان جليّاً ظاهراً كثير الورد، سواء بين الجمل أم المفردات، وتوصّلنا في دراستنا إلى النتائج التالية:

١ . يعدّ موضوع الفصل والوصل من أدقّ موضوعات علم البلاغة وأعمقها؛ لما

يحتاج الناظر فيه من إدامة النظر وإطالة الوقوف أمام النصوص.

٢ . أسلوب الفصل والوصل من أهمّ معايير الاتّساق والانسجام في نصوص زيارة

عاشوراء.

(١) ابن قولويه القميّ، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٠.

(٢) أنظر: الطهراني، أبو الفضل، شفاء الصدور في شرح زيارة عاشوراء: ص ٣٠٢.

- ٣ . إنّ معظم مواضع الفصل التي وردت في الزيارة الشريفة هي: (كمال الاتّصال، وكمال الانقطاع، وشبه كمال الاتّصال) في حين لم يرد شبه كمال الانقطاع، وغيرها من المواضع غير متداولة.
- ٤ . ورد من مواطن الوصل من حيث حروف العطف حرفان، وهما (الواو) و(الفاء)، ولم يرد غيرهما من حروف العطف ك: (حتى، بل، أو، أم، ثم).
- ٥ . حقّقت الفواصل الموجودة بين الجمل الواردة في الزيارة الشريفة دلالات مقصودة من وراء النصّ البلاغي، وتمثّل ذلك في ذكر اللعن الدائم على أعداء أهل البيت عليهم السلام والأخذ بثأرهم على طريقة الفصل؛ إذ لو وصل بين تلك الجمل لما تحقّق المعنى المراد، ولتحوّلت الأوامر إلى أوصاف حالها حال أماكن الجمل الخبرية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أولاً: الكتب

- ١ . الأصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٩٣هـ.
- ٢ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة الفقيه ناصر مكارم شيرازي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م / ١٤٢٨هـ.
- ٣ . الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد القزويني (ت ٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ.
- ٤ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي المعروف بالعلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م / ١٤٠٣هـ.
- ٥ . البلاغة العربية، حسن عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ٦٩٩١م / ٥٢٤١هـ.

- ٦ . بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. سلطان منير، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
- ٧ . البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ.
- ٨ . البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- ٩ . تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء، وسام برهان البلداوي، وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام في قسم الشؤون الفكرية والثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ.
- ١٠ . جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم - إيران، ١٣٧٠هـ.
- ١١ . الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن القاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م/١٤١٣هـ.
- ١٢ . دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، دار المدني، جدة - السعودية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢م/١٤١٣هـ.
- ١٣ . السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية، د. عهود عبد الواحد عبد الصاحب، دار الفكر، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م/١٤١٩هـ.
- ١٤ . شرح المختصر، سعد الدين التفتازاني، كتابفروشي كتبي نجفي، قم - كذرخان، د.ت.
- ١٥ . شرح زيارة عاشوراء، للعلامة حبيب الله الشريف الكاشاني، تحقيق: نزار الحسن، دار جلال الدين - مطبعة باقري، ١٤٢٤م/١٣٤٠هـ.
- ١٦ . شفاء الصدور في شرح زيارة عاشوراء، للعلامة أبو الفضل الطهراني، دار سلوني، مؤسسة البليغ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ.
- ١٧ . الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام، تحقيق: مؤسسة الإمام



المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، مؤسّسة الأنصاريان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٨ . علل الشرائع، أبو جعفر محمد بن علي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨٨هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ١٩٦٦م / ١٣٨٥هـ.

١٩ . علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي (ت ١٤٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.

٢٠ . الفصل والوصل في القرآن الكريم، منير سلطان، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م.
٢١ . في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، سعد عبد العزيز مصلوح، لجنة التأليف والتعريب والنشر جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٢٢ . الكافي في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب، منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٣م.

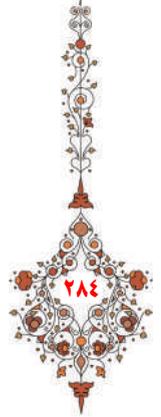
٢٣ . كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، د.ت.

٢٤ . لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٥٦م.

٢٥ . اللغة في الدرس البلاغي، عدنان عبد الكريم جمعة، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن - بريطانيا، ٢٠٠٨م.

٢٦ . اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة عبّاس صادق الوهّاب، ٢٠٠٩م.
٢٧ . مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القمّي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م / ١٤٢٧هـ.

٢٨ . مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكّاكي الخوارزمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.



٢٩. مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المكتبة الشيعية، د.ت.

٣٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣١. نفحات الأبرار في شرح زيارة عاشوراء المقدّسة، محمد جميل العامل، مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م/١٤٣٧هـ.

ثانياً: الأَطْرِيح والرسائل الجامعية

٣٢. البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام (رسالة ماجستير)، أحمد محمود أحمد، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م.

٣٣. الفصل والوصل في الربع الأخير من القرآن الكريم، تيسير الوسيلة محمد علي، رسالة ماجستير، جامعة الجزيرة - كلية التربية - قسم اللغة العربية، ٢٠١٨م/١٤٣٩هـ.

ثالثاً: البحوث

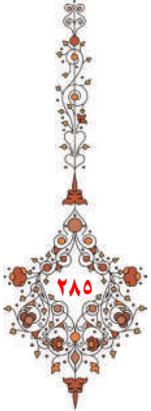
٣٤. ظواهر أسلوبية في شعر ابن دريد، د. أمين يوسف عودة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج ٨٦، ج ٣، ٢٠١١م.

٣٥. الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة، المدرّس الدكتور حسن هادي نور، مجلة كلية الآداب، جامعة المثني - كلية التربية، المجلد ١٩ - العدد ١٠١ حزيران ٢٠١٩: ١٥٦م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية

٣٦. مدوّنة كتابات في الميزان، المصدر:

<http://www.kitabat.info/subject.php?id=34938>



كَلِمَاتُ سَيِّدِ الْحَسَنِاتِ
حَسْبُ حَسْبِنَا

◆ أسلوب النداء في كلام سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة نحوية دلالية

أُسلوب النداء في كلام سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام

دراسة نحوية دلالية

أ. م. د. هاشم جبار الزرفي

وزارة التربية - الكلية التربوية المفتوحة / النجف الأشرف

**The Vocative Method in the Words of
The Master of the Martyrs Imam al-Husayn (PBUH)
- A Grammatical Semantical Study**

Assistant Professor Hashem Jabber al-Zurfi

Open Educational College – Holy Najaf, Iraq

ملخص البحث

الدراسة موسومة بـ: (أسلوب النداء في كلام سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام)..
دراسة نحوية دلالية، بيّنت أسلوب النداء في النصوص الشريفة الصادرة عن الإمام الحسين عليه السلام، وأنها لم تخرج عن أساليب الفصاحة المعهودة في كلام العرب، بالرغم من مجيئها على صور شتى وأنماط متعدّدة، وباستخدام أدوات متنوّعة في النداء. وأثبتت الدراسة النحوية لتلك الأنماط والصور أنّ دلالتها تنسجم مع الغرض الذي جاءت من أجله، ولا سيّما في جمل الدعاء التي تماشت نسقياً بالاطراد مع أسلوب النداء، فكلمها زادت جمل الدعاء كلما تكثرت أدوات النداء وأنماطه.

الكلمات المفتاحية: النداء، الدلالة، أسلوب، الإمام الحسين عليه السلام، النحو، التركيب، لغات العرب، المنادى، النحاة.

Abstract

This article aims to study the vocative method in the words of Imam al-Husayn (PBUH). It concludes, that although the examples of the vocative method were different and various, it does not contradict the customary Arabic style of articulation. The grammatic approach to these examples of the vocative method proved that their denotation corresponds with their objective. Expressly in the sentences containing supplication due to their consistency with the vocative method in relation to usage. The more sentences containing supplication, the more vocative cases.

Keywords: vocative, denotation, method, Imam al-Husayn (PBUH), grammar, composition, Arabic, vocative noun, grammarians.



المقدمة

الإمام الحسين عليه السلام سيد أهل البيت عليهم السلام في زمانه، وخامس الأئمة الطاهرين عليهم السلام، تربى في حضن الإيمان وترعرع في كنف الرسالة، وشهد شخوص الوحي، جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأباه علياً عليه السلام... واستمع الآي وتلقّف حكمة السماء من منبعها العذب، ونشأ في حجر جدّه رسول الله وأبيه علي عليه السلام. وتربى في حضن أمّه الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي الكريم صلى الله عليه وآله، فوضع من لبانها الطاهر سائغ الإيمان والعقيدة الحقّة.

ثمّ عكف على علم ربّاني تلقّاه من أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أخي رسول الله وصنوه وموضع سرّه وكهف علمه ووزيره، الذي هو منه بمنزلة هارون من أخيه موسى بن عمران، أو يوشع بن نون من موسى أيضاً، أو شمعون بن همون الصفا من عيسى بن مريم، أو آصف بن برخيا من سليمان بن داود، فكان - بحق - موضع العلوم وخزانة الأسرار.

فمن هنا تعلّم الإمام الحسين عليه السلام، وبين تلك الشخوص القدسية نشأ، ومن تلك الحجور الطاهرة انتهل المعرفة الربّانية، وارتشف من معين الحكمة الصافي، وأخذ من صنوف العلم ما لا يُحصى، فكانت كلماته تسيل علماً جمّاً، وتنهمر منها المواعظ الفريدة، وتتفجّر منها النوادر العجيبة، ولا غرو فهو الإمام المعصوم عليه السلام.

ولقد كان لأسلوب النداء في دعاء الإمام الحسين عليه السلام والنصوص الشريفة الصادرة عنه نصيب وافر من المعرفة، شكّل حلقة كبيرة من الشعور بالروحانية وكيفية تهيؤ العبد لمناجاة الله تعالى ومخاطبته وإفراغ زفرات همومه لربّه، فجاءت هذه الدراسة موضحة هذا الأسلوب في أقواله عليه السلام.

وقد قُسم البحث فيها على تمهيد تطرّق إلى تعريف النداء لغةً واصطلاحاً، ثمّ عامل النصب في المنادى، ثم أدوات النداء الواردة في دعاء الإمام الحسين عليه السلام. بعد



ذلك انقسم المقال - بحسب ما تقتضيه طبيعة البحث - على نداء العلم، ونداء النكرة المقصودة، ونداء المضاف، والشبيه بالمضاف. ثم خُصَّ البحث إلى أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث في ذلك.

أولاً: مدخل تنظيري للنداء

١. مفهوم النداء لغةً واصطلاحاً

أ. النداء لغةً: ذكر الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) أنّ النداء هو الدعاء، و«ناداه، أي دعاه بأرفع الصوت. وندى الحضر: بقاؤه ومدّه... وفلان أندى صوتاً من فلان، أي أبعد مذهباً وأرفع صوتاً»^(١).

وذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ) أنّ النداء في اللغة هو الصوت، وهو مشتق من الندى، وهو بعد الصوت. فقال: «والنداء: الصوت، مثل الدعاء والرغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداءً، أي صاح به. وأندى الرجل إذا حسن صوته»^(٢).

ب. النداء اصطلاحاً: ذهب أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) إلى أنّ «أصل النداء تنبيه المدعو ليقبل عليك»^(٣).

وذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) أنّ النداء تنبيه للمخاطب الذي قد يكون منشغلاً عن المخاطب، متباعداً عنه^(٤).

وقال العلوي (ت ٧٤٩هـ) في تعريفه: «ومعنى النداء هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك»^(٥).

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٨، ص ٧٨.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٨، ص ٥٠٩.

(٣) ابن السراج، محمد بن السري، الأصول في النحو: ج ١، ص ٣٢٩.

(٤) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ج ٢، ص ٧٦١-٧٦٢.

(٥) العلوي، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ص ٥٣٥.

اليعقوبي، أحمد بن محمد، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ج ١، ص ٥١٧.

فالنحاة والبلاغيون يذهبون إلى القول: إن النداء طلب يُراد به التنبيه، ولكن قد تنزاح هذه الدلالة إلى دلالات ثانوية لا يُراد بها التنبيه، بل هي دلالات بلاغية يدلُّ عليها السياق، وقد عني المدرس البلاغي بهذه الدلالات، وبين خصائصها وما تؤدِّيهِ من آثار جمالية في النصّ التي ترد فيه^(١).

٢. المنادى وعامل النصب فيه

المنادى كما يقول الرضي (ت ٦٨٦هـ): «هو المطلوبُ إقباله بحرفٍ نائبٍ منابٍ (أدعو) لفظاً أو تقديراً»^(٢).

ورأى ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) أنّه نوع من المفعول به، وهو منصوب لفظاً أو محلاً^(٣) بعامل هو موضع خلاف بين النحويين، ولهم في ذلك آراء ومذاهب، أهمّها: أولاً: العامل في المنادى فعل مضمر وجوباً، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): «وممّا يُنتَصَبُ في غير الأمر والنهي على الفعل المتروك إظهاره قولك: يا عبد الله، والنداء كله... حذفوا الفعل؛ لكثرة استعمالهم هذا في الكلام، وصار (يا) بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه قال: (يا)، أريد عبد الله، فحذف (أريد) وصارت (يا) بدلاً منها»^(٤).

وعلل السيوطي (ت ٩١١هـ) سبب الإضمار بما يأتي^(٥):

أ. ظهور معنى الفعل المضمر.

ب. النداء يُفيد الإنشاء، وإظهار الفعل يُوهم الإخبار؛ فتحاشوا إظهاره.

ج. طلب الخفة؛ لأن كثرة الاستعمال مظنة التخفيف.

(١) أنظر: السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم: ص ٣٢٣.

(٢) الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٤٤.

(٣) أنظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٢، ص ٢٥٠.

(٤) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ١، ص ٢٩١. وأنظر: المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٤،

ص ٢٠٢. ابن السراج، محمد بن السري، الأصول في النحو: ج ١، ص ٣٣٣.

(٥) أنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الموامع في شرح جمع الجوامع: ج ٢، ص ٢٥-٢٦.



د. حرف النداء عوض عن الفعل، فلا يُجمَع بين العوض والعوض منه.
ثانياً: العامل فيه معنوي، وهو القصد. ورُدَّ هذا؛ لعدم وروده في عوامل
النصب^(١).

ثالثاً: ذكر أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) وأبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ):
أنَّ العامل فيه حرف النداء النائب مناب الفعل، فسدَّ مسدّه في اللفظ والعمل^(٢).
رابعاً: ذكر الرضي، والصبّان (ت ١٢٠٦هـ)، والخضري (ت ١٣٨٨هـ): أنَّ
أدوات النداء أسماء أفعال بمعنى أدعو؛ لذا لا حذف ولا تقدير ولا نيابة^(٣).
والنداء أكثر دوراناً في كلام العرب؛ إذ استعمل في بادئ الأمر لجذب عطف
المخاطب على المتكلم، فهو أشبه ما يكون في تنبيه المتلقّي، وهذا يقول سيبويه: «وإنَّما
فعلوا هذا بالنداء؛ لكثرة في كلامهم؛ لأنَّ أوَّل كلِّ كلام لك به تعطف المتكلم عليك، فلمَّا
كثُر وكان الأوَّل في كلِّ موضع، حذفوا منه تخفيفاً؛ لأنَّهم ممَّا يُغيِّرون الأكثر في كلامهم،
حتى جعلوه بمنزلة الأصوات وما أشبه الأصوات من غير الأسماء المتمكِّنة»^(٤).
فالنداء تنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له حين تخصَّصه
من بين الناس بما تُريد من أمر أو نهي أو استفهام. قال سيبويه: «إنَّ المنادى مختصَّ من
بين أمته لأمر، أو نهي، أو خبرك»^(٥).

(١) أنظر: المصدر السابق.

(٢) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ج ٢، ص ٧٥٣-٧٥٤. أبو
البركات الأنباري، عبد الرحمن، أسرار العربية: ص ٢٠٧. أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، اللباب
في علل البناء والإعراب: ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٣) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٤٦. الصبّان الشافعي،
محمد بن علي، حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ج ٣، ص ١٩٧. الخضري،
محمد، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: ج ٢، ص ١٦٧.

(٤) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢٠٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٣١-٢٣٢.

وقال أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٨هـ) في ذلك: «قال سيويه: أول كل كلام النداء، وإنما يُترك في بعضه تخفيفاً؛ وذلك أن سبيل المتكلم أن يُنادي من يُخاطبه ليُقبل عليه، ثم يُخاطبه مخبراً له، أو مستفهماً، أو آمراً، أو ناهياً، وما أشبه ذلك. فإنما يترك النداء إذا علم إقبال المخاطب على المتكلم استغناءً بذلك. قال: وربما أُقبل المتكلم على مخاطبه وهو منصت له، مقبل عليه، مصغٍ إليه، فيقول له: (يا فلان) توكيداً، ثم يُخاطبه»^(١).

وفي القرآن الكريم نجد هذا متحققاً؛ إذ يصحب النداء فيه في الأكثر الأمر والنهي، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٢). وقد يصحب الاستفهام، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣).

ويرى الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أن كل نداء في كتاب الله يعقبه فهم في الدين^(٤). وإننا لنجد في دعاء الإمام الحسين عليه السلام - وهو بحضرة الذات الإلهية - إعقاب النداء بالأمر الذي خرج إلى معنى الدعاء، أو إعقاب النداء بالنهي الذي خرج إلى معنى الدعاء. أو قد يأتي بعد النداء بجملة خبرية، أو جملة منسوخة بـ: (إن)، أو شبه جملة متكوّنة من الجار والمجرور.

٣. أدوات النداء في دعاء الإمام الحسين عليه السلام

يؤدّي النداء بأدوات هي في حقيقتها أصوات يمتدّ بها الصوت؛ لتنبية المدعو^(٥)، وهذه الأدوات هي: (الهمزة، وأي، ويا، وهيا، وأيا، وآ، وآي، ووا)^(٦). منها ما

(١) الزجاجي، عبد الرحمن، كتاب اللّامات: ص ١١١ - ١١٢.

(٢) البقرة: الآية ٢١.

(٣) الصف: الآية ٢.

(٤) أنظر: جار الله الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف: ج ١، ص ٢٢٤.

(٥) أنظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصّل: ج ٢، ص ٢٩٠.

(٦) أنظر: اليميني، علي بن سليمان، كشف المشكل في النحو: ج ٣، ص ٣٣٠. ابن هشام، عبد الله بن

يوسف، شرح جمل الزجاجي: ج ٢، ص ٨٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في

شرح جمع الجوامع: ج ٢، ص ٢٥.

يُستعمل لنداء القريب، وهي: (الهمزة، وأي)^(١). ومنها ما يُستعمل لنداء البعيد ومن بحكمه، وهي: (يا، وأيا، وهيا، وآ، وآي)؛ «لأنَّ البعيد يحتاج لمدِّ الصوت لسمع، وهذه الأدوات مشتملة على حرف المدِّ»^(٢). وقد يستعملون ما للبعيد للقريب وبالعكس؛ لأغراض مجازية^(٣).

أمَّا الأداة (وا) فتستعمل في الندبة، وقد تخرج عنها إلى النداء والاستغاثة والتعجب^(٤)، كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله.

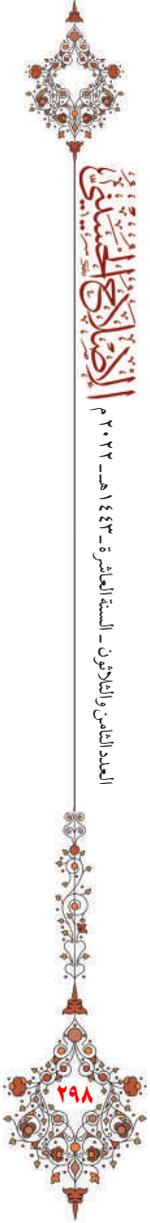
ولم يأت من أدوات النداء في دعاء الإمام الحسين عليه السلام إلاَّ الأدوات: (يا)، و(أي)، و(وا). وسأقصر حديثي عليهنَّ في أثناء البحث.

ثانياً: أقسام المنادى في كلام الإمام الحسين عليه السلام

الأول: المنادى المفرد

وهو ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف^(٥)، ومن أنواعه التي ذكرها النحاة هو (المنادى المفرد المعرفة)^(٦)، وهو نوعان:

- (١) أنظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٨، ص ٢٦.
- (٢) الخضري، محمد، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: ج ٢، ص ١٦٧.
- (٣) أنظر: سيويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢٣٠. ابن السراج، محمد بن السري، الأصول في النحو: ج ١، ص ٣٢٩.
- (٤) أنظر: الطائي، جمال الدين بن محمد، شرح الكافية الشافية: ج ٢، ص ٢٣. الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٤١٢. المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في شرح حروف المعاني: ص ٣٥١.
- (٥) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٥٠. ابن هشام، عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ج ٣، ص ٧٧.
- (٦) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٥٠. عباس حسن، النحو الوافي: ج ٤، ص ١٢.



أ. المنادى المفرد العلم

وهو ما كان التعريف فيه سابقاً على النداء، نحو: (يا محمد). ويُلقَق به كل ما يُنادى من المعارف الأخر المبنية أصالةً قبل النداء، كأسماء الإشارة نحو: (يا هذا)، والأسماء الموصولة نحو: (يا مَنْ آمن بالله).

وقد اختلف النحاة في حكم المنادى المفرد المعرفة؛ فذهب الكسائي (ت ١٨٩ هـ) - من الكوفيّين - إلى أنّه مُعَرَّب؛ إذ قال: «المنادى المفرد المعرفة مرفوع؛ لتجرّده عن العوامل اللفظية، ولا يعني أنّ التجرّد فيه عامل الرفع كما قال بعضهم في المبتدأ، بل المراد به أنّه لم يكن فيه سبب البناء حتّى يُبنى، فلا بدّ فيه من الإعراب»^(١).

أمّا البصريّون فذهبوا إلى أنّ المنادى المفرد المعرفة مبني في محلّ نصب؛ لأنّه مفعول^(٢)، وتابعهم الفراء (ت ٢٠٧ هـ) في البناء، إلّا أنّه ليس بفاعل ولا مفعول^(٣)، وسبب بنائه لإجرائه مجرى الأصوات^(٤). وقيل: لوقوعه موقع ضمير المخاطب المبني. وقيل: لوقوعه موقع كاف الخطاب^(٥).

(١) الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٤٩. وأنظر: أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين: ج ١، ص ٣٢٣، م ٤٥.

(٢) أنظر: أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين: ج ١، ص ٣٢٣، م ٤٥.

(٣) أنظر: المصدر السابق.

(٤) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ١٨٥. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، أمالي الزجاجي: ص ٨٣.

(٥) أنظر: أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين: ج ١، ص ٣٢٤-٣٢٥، م ٤٥. أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب: ص ٣٢٣-٣٢٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ج ٢، ص ٢٩.



نداء لفظ الجلالة

١- نداء (الله)

إنَّ لفظ الجلالة (الله) هو أعرف المعارف على الإطلاق؛ لذلك يدخل ضمن نداء المفرد المعرفة.

ولندائه أسلوبان، أحدهما (يا الله)، بقطع الهمزة، وهذا إحدى خصائص هذا الاسم الشريف، قال سيبويه: «واعلم أنَّه لا يجوز لك أن تُنادي اسماً فيه الألف واللام البتَّة؛ إلاَّ أنتم قد قالوا: يا الله، اغفر لي»^(١)؛ وذلك لأنَّ الألف واللام لا يُفارقان لفظ الجلالة، وهما عوض محض من همزة (إله)، الذي هو أصل لفظ الجلالة، وأنَّ نداءه ضرورة؛ لأنَّه منتهى كلِّ رغبة.

ومن العرب مَنْ يقول: (يا الله)، بقطع الهمزة، وهذا في التقدير كالواقف على (يا) والمبتدئ باسم الله، فكأنَّه لم يدخلها عليه^(٢).

ومن الجدير بالذكر أنَّ أداة النداء (يا) من أشهر الحروف وأكثرها استعمالاً؛ إذ يُستعمل في نداء القريب والبعيد^(٣)، إلاَّ أنَّ مجيئها لنداء القريب فيه ضرب من التوكيد^(٤)؛ ولذلك عدَّها النحاة أمَّ حروف النداء وأصلها^(٥).

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ١٩٥. وأنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٨٣. الأندلسي، محمد بن عبد الله، شرح التسهيل، القسم النحوي (المرادي): ص ٨٣٣.

(٢) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ج ٢، ص ٥٧٨-٥٧٩. الخباز، أحمد بن الحسين، توجيه اللمع: ص ٣٢٨. الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٨١.

(٣) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ٤، ص ٤٢٥. المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني: ص ٤٥١-٤٥٢.

(٤) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢٢٩-٢٣٠. عباس حسن، النحو الوافي: ج ٤، ص ١، ٥.

(٥) أنظر: الرماني، علي بن عيسى، معاني الحروف: ص ١٠٤. الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ٤، ص ٤٢٥.



وذكر أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) أن الحرف (يا) يكون للتنبيه والنداء، وقد يُجَرَّد للتنبيه فقط^(١)؛ لذا اختلف النحاة في معناها إن وليها أمر أو دعاء أو (ليت) أو (رَبِّ) أو (حَبَّذَا)، فهي في ذلك حرف تنبيه عند مَنْ لا يُجيز حذف المنادي، وحرف نداء والمنادي محذوف عند آخرين^(٢).

وُتَّعَمَلُ فِي الاسْتِغَاثَةِ وَالتَّعَجُّبِ، وَتُتَّعَمَلُ فِي النَّدْبَةِ إِذَا أَمِنَ اللِّبْسَ بَدَلًا مِنْ (وَا)، وَتُتَّعَمَلُ خَاصَّةً فِي نَدَاءِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ (اللَّهِ)، فَلَمَّا كَانَتْ كَذَلِكَ عَدَّهَا النُّحَاةُ أُمَّ الْبَابِ، أَوْ أُمَّ أَحْرَفِ النَّدَاءِ وَأَصْلُهَا^(٣)؛ «وَلِهَذَا لَا يُقَدَّرُ عِنْدَ الْحَذْفِ سِوَاهَا»^(٤).
وذهب الأستاذ عباس حسن إلى أن كلا الرأيين مقبول، ولكن الأول أولى؛ لصلاحيته لكل الاحتمالات^(٥).

وقد ورد نداء لفظ الجلالة ب: (يا الله) في دعاء الإمام الحسين عليه السلام: «يا الله، يا بديء لا بدء لك»^(٦).

المنادي لفظ الجلالة (الله) جاء مبيئاً على الضم؛ لأنه اسم علم، وأداة النداء (يا) تجرّدت من التنبيه إلى النداء المقصود به الدعاء والتضرع والخضوع لله عز وجل مع التعظيم^(٧)؛ لأنه لا يمكن تنبيه الله سبحانه وتعالى.

(١) أنظر: ابن جني، عثمان، الخصائص: ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) أنظر: المرادي، الحسن بن قاسم، الجني الداني في شرح حروف المعاني: ص ٣٥٥-٣٥٧. ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب: ج ١، ص ٤٨٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ج ١، ص ٢٥.

(٣) أنظر: الرماني، علي بن عيسى، معاني الحروف: ص ١٠٤. الخباز، أحمد بن الحسين، توجيه اللمع: ص ٣٢٠. الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ٤، ص ٤٢٥.

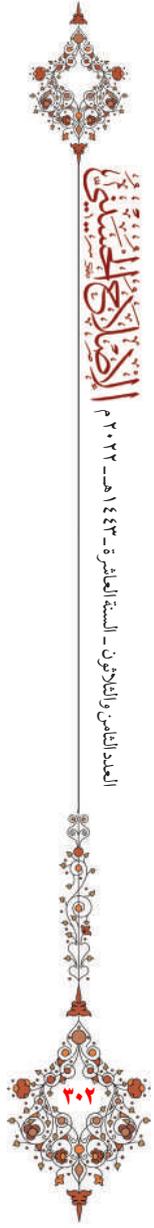
(٤) ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب: ج ١، ص ٤٨٨. وأنظر: المرادي، الحسن بن قاسم، الجني الداني في شرح حروف المعاني: ص ٣٥٥. عظيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ص ٣، ص ٥٢٠.

(٥) أنظر: عباس حسن، النحو الوافي: ج ٤، ص ٧.

(٦) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٩٥٢.

(٧) أنظر: ابن الشجري، هبة الله بن علي، أمالي ابن الشجري: ج ١، ص ٤١٨. ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٨، ص ٣٠.





والتكرار فيه أفاد معنى الاستبعاد وتأکید إقبال المنادى بالرحمة على الداعي، قال الزمخشري: «فإن قُلْتَ: فما بال الداعي يقول في جوارحه: (يا ربّ)، و(يا الله)، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وأسمع به وأبصر؟! قُلْتَ: هو استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها من مظانّ الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقرّبين؛ هَضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله، مع فَرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله»^(١).

ومن الجدير بالذكر أنّ البصريّين قد استثنوا اسم (الله) تبارك وتعالى من بين الأسماء المعرّفة بـ: (أل)، فأجازوا أن تُباشره أداة النداء؛ لأنّهم يرون أنّ (أل) لا تُفارقة، فتتزلّت فيه منزلة الحروف الأصلية، لذلك يجوز فيه ما لا يجوز في غيره. يقول سيبويه: «واعلم أنّه لا يجوز لك أن تُنادى اسماً فيه الألف واللام البتة؛ إلّا أنّهم قد قالوا: يا الله، اغفر لنا؛ وذلك من قبل أنّه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقه، وكثر في كلامهم فصار كأنّ الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الحروف»^(٢).

٢- النداء بـ: (اللهمّ)

أمّا الأسلوب الآخر لنداء لفظ الجلالة فهو (اللهمّ)، وهو لفظ خاصّ في نداء الله سبحانه وتعالى.

واختلف في تركيبه، فذهب البصريّون إلى أنّ الميم المشدّدة في (اللهمّ) عوض من (يا) في (يا الله)، قال الخليل: «اللهمّ نداء، والميم ها هنا بدل من يا»^(٣)، أخر تبرّكاً

(١) الزمخشري، جار الله بن محمود، تفسير الكشاف: ج ١، ص ٩٦. وأنظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٨، ص ٣٠. التفتازاني، مسعود بن عمر، المطول: ص ٤٣٠. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٤، ص ٢٧٠. والجوّار: التضرّع إلى الله بالدعاء. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ١، ص ٢٥٦.

(٢) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ١٩٥. وأنظر: الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويّين والبلاغيّين: ص ٢٥٩.

(٣) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ١، ص ١٩٦. وأنظر: ابن السّراج، محمد بن السري، الأصول في النحو: ج ١، ص ٣٣٨. أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين: ج ١، ص ٣٤١، م ٤٧.

بالابتداء باسم الله تعالى^(١)؛ لذا «لا يجوز الجمع بينهما»^(٢). وتُسمّى هذه الميم: «ميم الجمع بين الأسماء الحسنی، والصفات العُلا»^(٣).

أمّا الكوفيّون فذهبوا خلاف ذلك، وأصله عندهم: (يا اللهُ أُمَّنا بخير)، قال الفراء: «اللهم، كلمة نصّبها العرب... ونرى أنّها كانت كلمة ضُمَّ إليها أمّ، تُريد: يا اللهُ أُمَّنا بخير، فكثرت في الكلام فاختلطت، فالرفعة التي في الهاء من همزة أمّ لما تركت انتقلت إلى ما قبلها»^(٤).

وقد ردّ الزجاج (ت ٣١١هـ) رأي الفراء قائلاً: «وزعم أنّ الضمّة التي في الهاء ضمّة الهمزة التي كانت في أمّ، وهذا محال أن يُترك الضمّ الذي هو دليل على النداء للمفرد، وأن يُجعل في الله ضمّة (أمّ)، هذا إلحاد في اسم الله عزّ وجلّ»^(٥).

وكذلك ردّ الرضي الأسترآبادي رأي الفراء؛ لأنّك تقول: اللهم لا تُؤمّمهم بخير^(٦).

وقد ورد النداء بهذه الصيغة في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عدّة صور، وهي:

١. في بداية كلّ جملة، كقوله عليه السلام: «اللهم إنّك شاهد على هؤلاء القوم الملاحين؛ لإيهم قد عمدوا ألا يُيقوا من ذرية رسولك ﷺ»^(٧). جاء لفظ الجلالة (الله) من

(١) الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٢٨٢.

(٢) الزجاجي، عبد الرحمن، كتاب اللّامات: ص ٨٥.

(٣) السوسي، سعيد بن سليمان، تنبيه الطلب على معاني الألفية: ج ٢، ص ٨٩٦.

(٤) الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن: ج ١، ص ٢٠٣. وأنظر: الزجاجي، عبد الرحمن، كتاب اللّامات: ص ٨٥.

(٥) الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه: ج ١، ص ٣٣٢. وأنظر: النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن: ص ١٩٦.

(٦) الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٢٨٤.

(٧) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٥٧٦.

(اللَّهُمَّ) مبني على الضمّ في محلّ نصب منادى؛ «لأنّه وقع عليه الإعراب»^(١)، وقد دلّ على المدحة والتفخيم للمدعو، وهو الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ الداعي يعتمد إلى إظهار التفخيم ابتداءً؛ ليكون له مدخلاً حسناً لما يأتي بعده من طلب الدعاء^(٢).

وقوله ﷺ: «اللهم احبس عنهم قَطْرَ السماء، واحرمهم بركاتك»^(٣).

٢. وقد ورد النداء (اللهم) في الدعاء، وكان الإمام الحسين ﷺ يلجأ إلى تقسيم الدعاء على فقرات، كلّ فقرة تبدأ بـ: (اللهم)، وقد يعتمد إلى تقسيم الفقرة الواحدة على فقرات أصغر، كلّ منها يبدأ بـ: (اللهم)، كقوله ﷺ: «اللهم اكتب لي هذه الشهادة عندك؛ حتّى تُلقنيها يوم القيامة وقد رضيت بها عني، إنّك على كلّ شيء قدير.

اللهم لك الحمد حمداً تضع لك السموات كنفيتها، وتُسبّح لك الأرض ومن عليها.
اللهم لك الحمد حمداً يصعد أوّله ولا ينفد آخره، حمداً يزيد ولا يبديد، سرمداً أبداً لا انقطاع له ولا نفاذ، حمداً يصعد ولا ينفذ.

اللهم لك الحمد فيّ وعليّ ومعّي وقبلي وبعدي، وأمامي وورائي وخلفي، وإذا متّ وفُنيّت يا مولاي، ولك الحمد في كلّ عرق ساكن، وعلى كلّ عرق ضارب، ولك الحمد على كلّ أكلة وشربة وبطشة ونشطة، وعلى كلّ موضع شعرة.

اللهم لك الحمد كلّّه، ولك المنّ كلّّه، ولك الخلق كلّّه، ولك الملك كلّّه، ولك الأمر كلّّه، وبيدك الخير كلّّه، وإليك يرجع الأمر كلّّه، علانيته وسره، وأنت منتهى الشان كلّّه.
اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك فيّ، ولك الحمد على عفوك عني بعد قدرتك عليّ.

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ١، ص ٣٦٢.

(٢) أنظر: محمد إسماعيل عبد الله، دعاء الإمام علي ﷺ... دراسة نحوية أسلوبيّة: ص ٨٢.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٥٧٦.

اللهم لك الحمد صاحب الحمد، ووارث الحمد، ومالك الحمد، ووارث الملك،
بديع الحمد، ومبتدع الحمد، وفي العهد، صادق الوعد، عزيز الجند، قديم المجد.

اللهم لك الحمد رفيع الدرجات، مجيب الدعوات، منزل الآيات من فوق سبع
سموات، مخرج النور من الظلمات، مُبَدِّل السيئات حسنات، وجاعل الحسنات درجات.
اللهم لك الحمد غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذا الطَّوْلِ، لا إله إلا أنت
إليك المصير.

اللهم لك الحمد في الليل إذا يغشى، ولك الحمد في النهار إذا تجلَّى، ولك الحمد
في الآخرة والأولى، ولك الحمد عدد كلِّ نجم في السماء، ولك الحمد عدد كلِّ قطرة في
السماء»^(١).

إنَّ تكرار صيغة (اللهم) له أثره الكبير في الدعاء، وله الأثر الكبير أيضاً في نفسية
الداعي؛ إذ أسبغت هذه الكلمة بتكرارها جَوْراً روحياً يكاد يحسسه الداعي حين يدعو
ربه.

٣. وقد يرد النداء ب: (اللهم) مع السؤال كقوله ﷻ: «اللهم إني أسألك توفيق أهل
الهدى، وأعمال أهل التقوى، ومناصحة أهل التوبة، وعزم أهل الصبر، وحذر
أهل الخشية، وطلب أهل العلم، وزينة أهل الورع، وخوف أهل الجزع، حتى
أخافك»^(٢). وقوله سلام الله عليه: «اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن
الرحيم»^(٣).

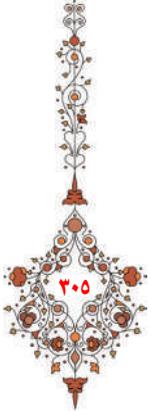
٤. ورد كثيراً النداء ب: (اللهم) وبعدها فعل أمر خرجت دلالته إلى الدعاء،
كقوله ﷻ:

«اللهم فأعطنا في هذه العشية ما سألناك، واكفنا ما استكفيناك، فلا كافي لنا سواك،

(١) المصدر السابق: ص ٩٣٨-٩٣٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٣٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٧٢.



ولا ربّ لنا غيرك، نافذ فينا حكمك، محيط بنا علمك، عدل فينا قضاؤك، اقض لنا الخير
واجعلنا من أهل الخير.

اللهمّ أوجب لنا بجدوك عظيم الأجر، وكريم الذخر، ودوام اليسر، واغفر لنا
ذنوبنا أجمعين، ولا تهلكنا مع الهالكين، ولا تصرف عنا رأفتك برحمتك يا أرحم الراحمين.
اللهمّ اجعلنا في هذا الوقت ممّن سألك فأعطيته، وشكرك فزدته، وتاب إليك
فقبلته، وتنصّل إليك من ذنوبه فغفرتها له، يا ذا الجلال والإكرام. اللهمّ وفقنا وسدّدنا
واعصمنا، واقبل تضرّعنا^(١).

فالنداء ب: (اللهمّ) جاء مقترناً بأفعال الأمر، وهي: (أعطنا)، (أوجب)،
(اجعلنا)، (وفقنا). وقد اختلف النحويّون في هذه الصيغة، فذهب البصريّون إلى
أنّها فعل أمر، وهي قسيم ثالث للفعل؛ إذ إنّ الفعل عندهم ثلاثة أقسام: الماضي،
المضارع، والأمر^(٢). أمّا الكوفيّون فجعلوا الفعل قسمين: ماضياً، ومضارعاً،
وذهبوا إلى أنّ صيغة الأمر (أفعل) مقتطعة من المضارع، وأصل (أفعل): (لتفعل)^(٣).
ويخلص أبو البركات الأنباري بعد عرض حُجج الفريقين إلى «أنّ فعل الأمر صيغة
مُرْتَجَلَةٌ قائمة بنفسها باقية في البناء على أصلها»^(٤).

وقد ذهب البصريّون إلى أنّ فعل الأمر مبنيٌّ على السكون؛ لأنّ الأصل في الأفعال
أن تكون مبنية، والأصل في البناء أن يكون على السكون^(٥)، وذهب الكوفيّون إلى

(١) المصدر السابق: ص ٩٥٦-٩٥٧.

(٢) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ١، ص ١٣٨. المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ص ٤،
ص ٨١-٨٢.

(٣) أنظر: الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن: ص ١، ص ٤٦٩. المخزومي، د. مهدي، مدرسة الكوفة
ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٤) أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين
والكوفيّين: ص ٢، ص ٥٤٨-٥٤٩.

(٥) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ١، ص ١٧. المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٢،
ص ١٣١.

أنه معرب، وإعرابه الجزم^(١)، ولا مقتضي لبنائه؛ لكونه مقتطعاً من المضارع فأعرب كأصله^(٢).

ويرى الدكتور أحمد عبد الستار الجواري أن ما ذهب إليه الكوفيون فيه نظر؛ ففعل الأمر: «أبعد صيغ الأفعال عن موجب الإعراب، وأقربها إلى معنى الحرف، وأحفظها بالبناء؛ لأنه يؤدي معنى، والمعاني حقها أن تؤدي بالحرف، وهو خال من معنى الزمن، مجرد لمعنى الطلب، فهو يشتمل على الحدث مقترناً بالطلب»^(٣).

وجاء الأمر في هذه النصوص على غير حقيقته، بل انزاحت فيه الدلالة إلى الدعاء؛ إذ إن الأمر يخرج إلى دلالة الدعاء إذا كان صادراً من الأدنى إلى الأعلى على سبيل التضرع والخضوع^(٤)، فالأمر جاء لغرض الدعاء، وقد صاحبتك تلكم الوجدانية (الروحية) في دعائه عليه السلام، وإن استعمال صيغة الأمر في هذا المقام قد أفصح عن ميزة أسلوبية في التعبير نصل من خلالها إلى معرفة القيمة الوظيفية الثانية التي انزاح إليها أسلوب الأمر، ألا وهي وظيفة الدعاء والتضرع.

٥ . يورد النداء بـ: (اللهم) في جملة اعتراضية، كقوله عليه السلام: «... واعفُ - اللهم - عنا وعافنا، فقد مددنا إليك أيدينا، وهي بذلة الاعتراف موسومة»^(٥).

وقوله عليه السلام: «وأسألك - اللهم - [يا إلهي] حاجتي التي إن أعطيتها لم يضرني ما

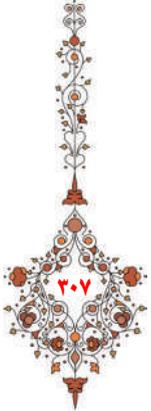
(١) الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن: ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) أنظر: الزجاجي، عبد الرحمن، كتاب اللامات: ص ٩٤. أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن، أسرار العربية: ص ٢٨١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ج ١، ص ٦٥.

(٣) الجواري، أحمد عبد الستار، نحو الفعل: ص ٥٩.

(٤) السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم: ص ٣١٩. الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ج ١، ص ٢٤٣. محمد بن عبد المطلب، البلاغة العربية.. قراءة أخرى: ص ٢٩٦.

(٥) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٩٥٦.



منعتني، وإن منعتها لم ينفعني ما أعطيتني، أسألك فكاك رقبتي من النار، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد»^(١).

٦ . ورد النداء بـ: (اللهم) مع الصلاة على محمد وآل محمد، وهذه الصيغة قد اشتهرت بها أدعية أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين^(٢)، كقوله ﷺ: «اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك ونبيك، وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين، وتمم لنا نعماءك، وهتنا عطاءك، واجعلنا لك شاكرين، ولآلائك ذاكرين، آمين ربّ العالمين»^(٣).

٧ . ورد النداء بـ: (اللهم) وبعده جملة اسمية من مبتدأ وخبر، كقوله ﷺ: «اللهم أنت تعلم أنهم دعونا لينصرونا، فخذلونا وأعانوا علينا»^(٤).

٨ . ورد النداء بـ: (اللهم) وبعدها جملة منسوخة، كقوله ﷺ: «اللهم إنك إن كنت حبست عنا النصر في الدنيا، فاجعله لنا ذُخراً في الآخرة، وانتقم لنا من القوم الظالمين»^(٥).

٩ . ورد النداء بـ: (اللهم) وبعدها شبه جملة من الجار والمجرور، كقوله ﷺ: «اللهم إليك أقبلنا موقنين [مؤمنين]، وليبتك الحرام آمين قاصدين، فأعنا على منسكنا، وأكمل لنا حجنا»^(٦).

في كل هذه الأمثلة اختصّ لفظ (اللهم) بالنداء، واستعمل لنداء الله سبحانه وتعالى، وقد جاء هكذا من دون حرف النداء، وقد أشار أبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـ) إلى حذف حرف النداء، وهو يرى «أنّ حذف حرف النداء إنّما يجوز في

(١) المصدر السابق: ص ٩٥٧.

(٢) أنظر: محمد إسماعيل عبد الله، دعاء الإمام علي عليه السلام.. دراسة نحوية أسلوبية: ص ٨٣.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٩٥٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٥٧٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق: ص ٩٥٦.

غير أساء الإشارة، وغير ما لا يمتنع عن لام التعريف إذا لم يكن مستغاثاً ولا مندوباً، ونحو: أطرق كرى وحارى لا تستنكري عذيري من الشواذ»^(١).

ما لحق بالماندى المفرد العلم في دعاء الإمام الحسين عليه السلام

يُلحَق بالماندى العلم كل ما يُنادى من المعارف الأخر المبنية أصالةً؛ كالاسم الموصول، وهو اسم دلّ على مُعيّن بوساطة كلام يُذكر بعده^(٢). ويُشترط في ندائه أن يكون مجرداً من (أل)^(٣)، نحو قول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا مَنْ دَلَعَ لسان الصباح بنطق تَبْلُجِه»^(٤). وكذلك اسم الإشارة، وهو ما وُضِعَ لمشار إليه محسوس بالبصر أو غيره، نحو: يا هذا^(٥).

ورد نداء الاسم الموصول في دعاء الإمام الحسين عليه السلام: «يا مَنْ استوى برحمائتِه فصار العرش غيباً في ذاته، محقت الأثار بالآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار، يا مَنْ احتجب في سرادقات عرشه عن أن تُدركه الأبصار، يا مَنْ تجلّى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاستواء، كيف تخفى وأنت الظاهر؟! أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟! إنك على كل شيء قدير، والحمد لله وحده»^(٦).

جاء النداء بالأداة (يا) مع قُرب المنادى في قلبه عليه السلام؛ تعظيماً لشأن المدعو^(٧)، وأفاد

(١) السكّاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم: ص ١٠٣. وأنظر: الأوسي، د. قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويّين والبلاغيّين: ص ٢٧٥.

(٢) أنظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٣، ص ١٠١.

(٣) أنظر: الزجاجي، عبد الرحمن، كتاب اللّامات: ص ٣٣. الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٨٣. عبّاس حسن، النحو الوافي: ج ٤، ص ١٢.

(٤) كلانتر، السيّد محمد، مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح: ص ٤.

(٥) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٥٠. الخضري، محمد، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: ج ١، ص ١٤٠.

(٦) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٩٦١-٩٦٢.

(٧) أنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ج ١، ص ٣٤٠.



النداء معنى الدعاء، والمنادى المبني قبل النداء، ومنه الاسم الموصول (مَنْ) يكون بعد حرف النداء مبنياً على ضمّ مقدرٍ منع من ظهوره علامة البناء الأصلي^(١).

ب: المنادى المفرد النكرة المقصودة في كلام الإمام الحسين عليه السلام

المنادى المفرد النكرة المقصودة، وهو ما كان التعريف فيه عارضاً في النداء؛ بسبب القصد والإقبال، نحو: (يا رجل).

وذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني أنّ من النحاة مَنْ «سوّى بين العَلَم والنكرة في أنّ كلّ واحد منهما قد تعرّف بوقوعه موقع أسماء الخطاب، وبُني لذلك»^(٢). وقد ذهب الأخفش (ت ٢١٥هـ) في النكرة المقصودة مذهب الكسائي في المنادى المعرفة على أنّها معربة لا مبنية، نحو: (يا رجل)^(٣).

وتبعها الرياشي (ت ٢٥٧هـ)، فزعم أنّ المنادى معرب والضمّة فيه ضمّة إعراب لا بناء^(٤).

ورد نداء النكرة المقصودة في دعائه عليه السلام، في نداء صفات الله سبحانه، منه قوله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا دائم يا ديموم، يا حيّ يا قيوم»^(٥).

المنادى (دائم، ديموم، حيّ، قيوم) نكرة مقصودة؛ إذ دلّ بالإقبال والقصد على فرد معروف، وهو الله سبحانه؛ لذا بُني على الضمّ.

ويجوز في (كائن) النصب؛ لأنّه نكرة موصوفة قبل النداء بالظرف (قبل)؛

(١) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٥٠. ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل: ج ٢، ص ٢٥٩. عامر سيعد نجم، أساليب الإنشاء في كلام السيدة الزهراء: ص ١٥٠.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح: ص ٢، ص ٧٦٨.

(٣) أنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ج ٢، ص ٢٩.

(٤) أنظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، شرح جمل الزجاجي: ج ٢، ص ٩١.

(٥) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٩٦٢.

فيكون من قبيل المنادى الشبيه بالمضاف، وهو رأي الكسائي^(١).

والمنادى على الضم؛ لأنه نكرة مقصودة مُقبلاً عليها؛ إذ دلّت بالإقبال والقصد على الله سبحانه، وأفادت معنى الدعاء بالتضرّع إلى الله عزّ وجلّ في طلب المغفرة والإحسان والتجاوز^(٢).

الثاني: المنادى المضاف

إنّ حكم المنادى المضاف هو النصب، وعلل الخليل النصب فيه لطول الكلام^(٣).

أ. المنادى المضاف إلى ياء المتكلم

ذكر الزمخشري أنّ إضافة المنادى إلى ياء المتكلم دليل المجاملة، واللفظ، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن^(٤). و«أنّ إضافة المخاطب بالنداء إلى نفسك يُشعره بالتحنّن عليه، وأنك منه وهو منك، فيكون ذلك سبباً لقبول ما يُلقى إليه، كقولك: (يا أخي، ويا صديقي)»^(٥).

وإذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم كان فيه لغات، هي:

١- اللغة الأولى

حذف الياء والاجتزاء بالكسرة عنها، قال سيبويه: «اعلم أنّ ياء الإضافة لا تثبت مع النداء كما لم يثبت التنوين في المفرد؛ لأنّ ياء الإضافة في الاسم بمنزلة التنوين...

(١) أنظر: النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن: ص ٧١٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، مع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ج ٢، ص ٣٠.

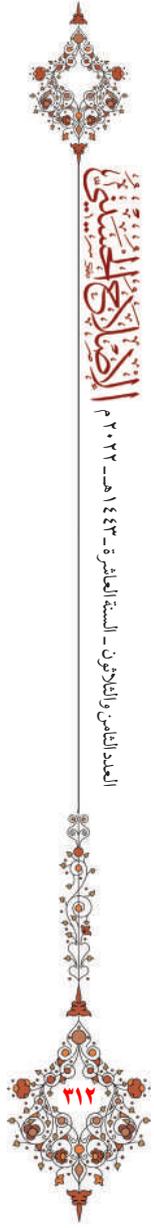
(٢) أنظر: عامر سيعد نجم، أساليب الإنشاء في كلام السيدة الزهراء: ص ١٥٠.

(٣) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ١٨٢.

(٤) أنظر: جار الله الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج ٣، ص ١٨.

(٥) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط: ج ١، ص ٢٠٥.





وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم؛ حيث استغنوا بالكسرة عن الياء»^(١).

وهذه اللغة هي الأكثر في كلام العرب، والأفصح عندهم^(٢).

وذهب رضي الدين الأسترابادي إلى أنّ هذه اللغة لا تجوز في كلّ منادى مضاف إلى ياء المتكلم، وإنّما تكون في الأسماء التي غلبت عليها الإضافة إلى الياء واشتهرت بها؛ لتدلّ الشهرة على الياء المغيرة^(٣).

وردت هذه اللغة في دعاء الإمام الحسين عليه السلام، وكما يأتي:

أ- أداة نداء (يا) + (ربّ)

ال: (ربّ) أحد صفات الله تعالى، ودلّ نداء ال: (ربّ) على الدعاء، وبإضافته إلى ياء المتكلم المحذوفة يُفيد معنى التوسّل إلى المخاطب واستعطافه؛ إذ كثر حذفها في نداء ال: (ربّ) سبحانه؛ «لعدم الإحاطة به عند التوجّه إلى الله تعالى؛ لغيبتنا نحن عن الإدراك»^(٤).

وقد جاءت على صور:

الصورة الأولى: في بداية كلّ فقرة، كقوله عليه السلام:

«الحمد لله العلي الواحد نحمده في سائر الشدائد

يا ربّ لا تغفل عن المعاند»^(٥).

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢٠٩. وأنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٤، ص ٢٦٤.

(٢) أنظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٢، ص ١٨١. ابن هشام، عبد الله بن يوسف، شرح جمل الزجاجي: ج ٢، ص ١٠٠.

(٣) أنظر: الأسترابادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٩٠.

(٤) الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ١، ص ٢٨٠. عامر سيعد نجم، أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء: ص ١٥٠.

(٥) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٥٢.

الصورة الثانية: على شكل جملة اعتراضية، كقوله ﷺ:

«..... قد قتلونا قتلة المناكد

فأصله - يارب - نار السرمد وأنت بالمرصاد غير خائف»^(١).

الصورة الثالثة: مكررة؛ لتعمل على إحداث نسق مناسب انسياقاً رائعاً، والتكرار فيها دليل التضرع إلى الله تعالى في طلب الرحمة، والاستغاثة به، والاستجارة يوم القيامة من النار^(٢). كقوله ﷺ:

«يارب يارب أنت مولاه فارحم عبيداً إليك ملجأه»^(٣).

ب - أداة نداء (يا) محذوفة + (ربّ)

كثر حذف حرف النداء مع المنادى المضاف، ولاسيما في ال: (ربّ)؛ لـ «أن المعنى معلوم بدليل الحال»^(٤).

وذكر الزركشي والسيوطي أن العلة من حذفه هو للدلالة على التعظيم والتنزيه؛ لأن النداء مُشَرَّبٌ بمعنى الأمر، فحُذفت (يا) من نداء ال: (ربّ)؛ ليزول معنى الأمر، ليخلص للتعظيم والتفخيم^(٥).

وعُلِّل الحذف أيضاً بأن الله سبحانه أقرب إلينا من أنفسنا؛ فلا يغيب عنه شيء؛ لذا استغني عنه، فإن الله تعالى قريب ممن يدعو، فهو سبحانه أقرب إلينا من جبل الوريد^(٦). قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ): «وإنما حُذف حرف النداء؛ لما كان أصله

(١) المصدر السابق: ص ٥٥٢.

(٢) أنظر: عامر سيعد نجم، أساليب الإنشاء في كلام السيدة الزهراء: ص ١٥١.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ: ص ١٠٠١.

(٤) الخباز، أحمد بن الحسين، توجيه اللمع: ص ٣٢٢.

(٥) أنظر: الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٣، ص ٢١٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإلتقان في علوم القرآن: ج ٣، ص ٦٢٧. ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن: ج ١، ص ٢٤٩.

(٦) أنظر: الوراق، محمد بن عبد الله، علل النحو: ص ٣٧٨. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ١، ص ٢٨٠.



تنبيه المنادى؛ لِيُقْبَلَ عليك، وكأنَّ الله ﷻ لا يغيب عنه شيء - تعالى عن ذلك - سَقَطَ حرف النداء؛ للاستغناء عنه»^(١).

كقوله ﷺ: «رَبِّ بَا أَنْشَأْتَنِي فَأَحْسَنْتَ صُورَتِي، رَبِّ بَا أَحْسَنْتَ بِي وَفِي نَفْسِي عَافَيْتَنِي، رَبِّ بَا كَلَأْتَنِي وَوَفَّقْتَنِي، رَبِّ بَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَهَدَيْتَنِي، رَبِّ بَا آوَيْتَنِي وَمَنْ كَلَّ خَيْرَ آتِيَّتِي وَأَعْطَيْتَنِي، رَبِّ بَا أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي، رَبِّ بَا أَغْنَيْتَنِي وَأَقْنَيْتَنِي، رَبِّ بَا أَعْنَيْتَنِي وَأَعَزَّزْتَنِي، رَبِّ بَا أَلْبَسْتَنِي مِنْ ذِكْرِكَ الصَّافِي وَيَسَّرْتَ لِي مِنْ صَنْعِكَ الْكَافِي، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَعْتَيْتَنِي عَلَى بَوَائِقِ الدَّهْرِ وَصُرُوفِ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، وَنَجَّيْتَنِي مِنْ أَهْوَالِ الدُّنْيَا وَكِرْبَاتِ الآخِرَةِ، وَكَفَّنِي شَرَّ مَا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ فِي الأَرْضِ»^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن هذا المقطع من الدعاء قد وصل إلى شغف قلوب الداعين؛ لأنَّه جاء بصيغة سهلة في اللسان، رقيق في النبر^(٣).

٢- اللغة الثانية

إثبات الياء ساكنةً في الوقف والوصل، جاء في الكتاب: «واعلم أنَّ بُقْيَانِ الياء لغة في النداء في الوقف والوصل، تقول: يا غلامي أَقْبِلْ. وكذلك إذا وقفوا. وكان أبو عمرو يقول: ﴿يَعْبَادُ فَاقْفُون﴾»^(٤)^(٥).

وهذه اللغة هي دون الأولى في الفصاحة^(٦). وقد جاء النداء بها على صور، منها:

أ- أداة نداء (يا) محذوفة + (إلهي)

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ١٧١. وأنظر: عامر سيعد نجم، أساليب الإنشاء في كلام السيدة الزهراء: ص ١٥٤.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ: ص ٩٥٠.

(٣) أنظر: محمد إسماعيل عبد الله، دعاء الإمام علي ﷺ... دراسة نحوية أسلوبية: ص ٨٩.

(٤) الزمر: الآية ١٦.

(٥) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢١٠.

(٦) أنظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، شرح جمل الزجاجي: ج ٢، ص ١٠٠.

والنداء بصيغة (إلهي) يوازي بكثرته النداء بصيغة (اللهم)، و«تأتي أهميتها لكونها تُقَرَّبُ المنادى من النفس؛ لكونها مضافة إلى (ياء المتكلم)، وبذلك تُشعر بقرب المنادى إلى المنادي، وهي متكوّنة من (نداء مضمّر) + (إله) + (ياء المتكلم)، وهي شبيهة بـ: (اللهم) في جميع مسائله تقريباً»^(١).

وقد ورد النداء بها في دعاء الإمام عليّ عليه السلام بالصور الآتية:

١. في أوّل الدعاء، كقوله عليه السلام: «إلهي، أنعمتني فلم تجدني شاكرًا، أبليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدة بترك الصبر. إلهي، ما يكون من الكريم إلّا الكرم»^(٢).

٢. في بداية كلّ فقرة، كقوله عليه السلام: «إلهي، علمت باختلاف الآثار وتنقّلات الأطوار أنّ مرادك منّي أن تتعرّف إليّ في كلّ شيء؛ حتى لا أجهلك في شيء. إلهي، كلّما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك، وكلّما آيسنتني أوصافي أطمعتني منك. إلهي، من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي؟! ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي؟!»^(٣).

٣. في بداية كلّ فقرة داخلية لـ: «تعدّ تقسيماً للدعاء الطويل؛ لإحداث مهلة في الدعاء، أو لترتيب الموضوع العامّ للدعاء على شكل فقرات صغيرة»^(٤)، كقوله عليه السلام: «إلهي، أنا الفقير في غنائي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟! إلهي، أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي؟! إلهي، إنّ اختلاف تدبيرك وسرعة طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء. إلهي، منّي ما يليق بلؤمي، ومنك ما يليق بكرمك. إلهي، وصفت

(١) محمد إسحاق بن عبد الله، دعاء الإمام عليّ عليه السلام... دراسة نحوية أسلوبية: ص ٨٥.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٩٤٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٥٩.

(٤) محمد إسحاق بن عبد الله، دعاء الإمام عليّ عليه السلام... دراسة نحوية أسلوبية: ص ٨٥.



نفسك باللطف والرأفة لي قبل وجود ضعفي، أفتمنعني منها بعد وجود ضعفي؟! إلهي، إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنّة عليّ، وإن ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجّة عليّ. إلهي، كيف تكلمني وقد توكلت لي؟ وكيف أضام وأنت الناصر لي؟ أم كيف أخيب وأنت الحفي بي؟ ها أنا أتوسّل إليك بفقرتي إليك، وكيف أتوسّل إليك بما هو محال أن يصل إليك؟ أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك؟ أم كيف أترجم بمقالي وهو منك برز إليك؟ أم كيف تُحَيِّب آمالي وهي قد وفدت إليك؟ أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت؟»^(١).

٤ . ورد النداء بها وبعدها فعل أمر خرج معناه إلى الدعاء، كقوله ﷺ: «إلهي، اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنك حتى أقبل عليك. إلهي، إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك، كما إنّ خوفي لا يُزِيلني وإن أطعتك، فقد رفعتني العوالم إليك وقد أوقعتني علمي بكرمك عليك»^(٢).

٥ . ورد النداء بها وبعدها جملة اسمية، كقوله ﷺ: «إلهي، أنت الغني بذاتك أن يصل إليك النفع منك، فكيف لا تكون غنياً عني؟»^(٣). «إلهي، أنا الفقير في غنائي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟ إلهي، أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي؟»^(٤).

٦ . ورد النداء بها وبعدها جملة فعلية، كقوله ﷺ: «إلهي، أمرتني فعصيتك، ونهيتني فارتكبت نهيك، فأصبحت لا ذابراً فاعتذر، ولا ذا قوّة فانتصر، فبأي شيء استقبلك؟»^(٥).

أو مسبوقة بالشرط، كقوله ﷺ: «إلهي، كلّمنا أحرصني لؤمي أنطقني كرمك، وكلّمنا

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ: ص ٩٥٨-٩٥٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٦١.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٦٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٩٥٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٩٥٣.



آيستني أوصافي أطمعتني منك. إلهي، مَنْ كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي؟ ومَنْ كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي؟»^(١).

٧. ورد النداء بها وبعدها جملة منسوخة، كقوله ﷺ: «إلهي، إنَّ اختلاف تدبيرك وسرعة طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء. إلهي، منِّي ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك. إلهي، وصفت نفسك باللطف والرأفة لي قبل وجود ضعفي، افتمنعني منها بعد وجود ضعفي؟»^(٢).

ب - أداة نداء (يا) + سيّدي

وردت جملة اعتراضية، كقوله ﷺ: «فها أنا ذا بين يديك - يا سيّدي - خاضعاً ذليلاً حصيراً حقيراً، لا ذو براءة فاعتذر، ولا ذو قوّة فانتصر، ولا حجة فاحتج بها، ولا قائل لم أجترح، ولم أعمل سوءاً»^(٣).

ج - أداة نداء (يا) محذوفة + سيّدي

ورد النداء بها في أوّل الفقرة، كقوله ﷺ: «سيّدي ومولاي، ألمقامع الحديد خلقت أعضائي؟! أم لشرب الحميم خلقت أمعائي؟! إلهي، لئن طالبتني بذنوبي لأُطالبنك بكرمك، ولئن حبستني مع الخاطئين لأُخبرنهم بحبي لك. سيّدي، إنَّ طاعتك لا تنفعك، ومعصيتي لا تضرك، فهب لي ما لا ينفعك، واغفر لي ما لا يضرك، فإنّك أرحم الراحمين»^(٤).

(١) المصدر السابق: ص ٩٥٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٥٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٥٤.

(٤) المصدر السابق: ص ٩٤٥.



٣- اللغة الثالثة

قلب الياء ألفاً لغرض الخفّة، قال سيبويه: «وقد يُبدلون مكان الياء الألف؛ لأتمّها أحفّ... وذلك قولك: يا ربّ، تجاوز عنّا. ويا غلاما، لا تفعل»^(١)؛ لأنهم استثقلوا الياء وقبلها كسرة فيما كثر استعماله وهو النداء، فأبدلوا من الكسرة فتحة، وكانت الياء متحرّكة فانقلبت الياء ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها^(٢).

وردت هذه اللغة في كلام الإمام الحسين عليه السلام، فيما نصّه: «عن إذك يا أباه يا أمير المؤمنين، وعن إذك يا أمّاه يا سيّدة نساء العالمين، وعن إذك يا أخاه الحسن الزكي، أختار لكم شيئاً من فواكه الجنة»^(٣).

الألف في المنادى (أباه) منقلبة عن ياء المتكلّم تخفيفاً، وأصله (يا أبي)، وألحقت بها هاء السكّت مضمومةً في الوصل لمُدّ الصوت، وهو مذهب الكوفيّين^(٤). ومجيء النداء بـ: (يا) تعظيم لتعظيم المخاطب، والأدب في المحادثة، وتنبية وتأكيد للمنادى من أجله الذي جاء به بأسلوب الاستفهام.

أصل المنادى (يا أمّاه) هو (يا أمّي)، قلبت الياء ألفاً تخفيفاً، وألحقت بها هاء السكّت مضمومةً في الوصل.

٤- اللغة الرابعة

قلب الياء ألفاً تخفيفاً، ثم حذفها والاجتزاء عنها بالفتحة؛ مبالغةً في التخفيف. وهذه اللغة لم يذكرها سيبويه، وذكرها أبو علي الفارسي^(٥).

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢١٠. وأنظر: المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٤،

ص ٢٥٢. الخباز، أحمد بن الحسين، توجيه اللمع: ص ٣٢٨.

(٢) أنظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٢، ص ٢٨٢.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٦.

(٤) أنظر: الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن: ج ٢، ص ٤٢٢.

(٥) أنظر: أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد، المسائل الشيرازيات: ج ١، ص ١٦٨. الأسترآبادي،

وردت هذه اللغة في موضع واحد، وذلك في وصيته لابنه الإمام السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«يا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ»^(١).

فإنَّ المَنادى (بُنَيَّ) جاء على صيغة التصغير، وهو تصغير لـ: (ابن)^(٢)، وأصل ابن (بنو)، ويُحتمل أن يكون (بَنِيًّا)^(٣)، وعندما أُضيف (بُنَيَّ) في النداء إلى ياء المتكلم، اجتمع ثلاث ياءات: ياء التصغير، وياء لام الكلمة، وياء الإضافة (ياء المتكلم)، أي: يا بُنَيَّ، ثمَّ أُبدلت الألف من ياء المتكلم، فصار: يا بُنِيًّا، ثمَّ حُذفت الألف اجتزاءً عنها بالفتحة، فصار: يا بُنَيَّ.

ويجوز وجه آخر لحذف الألف، وهو التقاء الساكنين: سكونها، وسكون اللام من كلمة (الجار)^(٤).

وجاء نداء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنه الإمام السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بصيغة التصغير (يا بُنَيَّ) تحبيباً له^(٥).

ووردت هذه اللغة في صورتين أُخريين، هما:

أ- يا + مولاي

كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا مولاي، أسمعني، أم ببصري، أم بلساني، أم بيدي، أم برجلي؟ أليس كلُّها نعمك عندي وبكلِّها عصيتك؟ يا مولاي، فلك الحجَّة والسبيل عليَّ، يا مَنْ سترني من الآباء والأمَّهات أن يزجروني، ومن العشائر والإخوان أن يُعيروني،

محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٩٠. الأزهرى، خالد بن عبد الله، شرح التصريح: ج ٣، ص ٥٨٠-٥٨١.

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عَلَيْهِ السَّلَامُ، موسوعة كلمات الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ص ٥٨٨.

(٢) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٣، ص ٤٥٤.

(٣) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١، ص ٣٦٦.

(٤) أنظر: الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه: ج ٣، ص ٤٤.

(٥) أنظر: السبكي، أحمد، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ج ١، ص ٦٨. الألويسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج ٢، ص ٥١٣.



ومن السلاطين أن يعاقبوني، ولو اطلّعوا - يا مولاي - على ما اطلّعت عليه منّي إذا ما انظروني، ولرفضوني وقطعوني، فهذا أنا ذا بين يديك يا سيّدي، خاضعاً ذليلاً حصيراً حقيراً، لا ذو براءة فأعتذر، ولا ذو قوّة فانتصر، ولا حجة فأحتج بها، ولا قائل لم أجترح ولم أعمل سوءاً، وما عسى الجحود لو جحدت - يا مولاي - ينفعني، وكيف وأنتي ذلك؟ وجوارحي كلّها شاهدة عليّ بما قد عملت [علمت] يقيناً غير ذي شكّ أنّك سائلي من عظام الأمور، وأنك الحكيم العدل الذي لا يجور، وعلدك مهلكي ومن كلّ عدلك مهربي، فإنّ تُعذّبني فبذنوبي يا مولاي بعد حجّتك عليّ، وإنّ تعفّ عني فبحلمك وجودك وكرمك، لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين»^(١).

ب - أداة نداء (يا) محذوفة + مولاي

قال الإمام عليه السلام: «وإذا صاح الشقراق يقول: مولاي، اعتقني من النار. وإذا صاحت القنبرة تقول: مولاي، تُب على كلّ مذنب من المؤمنين»^(٢).

والمولى كلمة من الأضداد تحتمل المعنى وضده، فيُطلق على العبد والسيّد، وقد أدّت معنى السيّد في هذا السياق؛ لأنّه عليه السلام قصد أن يكون الله تعالى سيّده وهو عبده.

٥ - اللغة الخامسة

حذف (الياء) وبناء المنادى على الضمّ، قال سيبويه: «وبعض العرب يقول: يا ربّ، اغفري لي. ويا قوم، لا تفعلوا»^(٣).

قال عليه السلام حين طلب لولده الرضيع شربة من الماء: «فأخذ الطفل وتوجّه نحو

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٩٥٣-٩٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩.

والشقراق: طائر صغير يُسمّى الأخیل، وهو أخضر مليح بقدر الحمّامة، وخضرته حسنة مشبعة، وفي أجنحته سواد. والقنبرة والقنبرة: عصفورة. المصدر السابق: ص ٤٩ الهامش.

(٣) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ص ٢، ص ٢٠٩. وأنظر: الخباز، أحمد بن الحسين، توجيه اللمع: ص ٣٢٩. ابن الحاجب، عثمان، الإيضاح في شرح المفصل: ص ١، ص ٢٨١.

القوم، وقال: يا قوم، قد قتلتم أخي وأولادي وأنصاري وما بقي غير هذا الطفل، وهو يتلظى عطشاً، فاسقوه شربة من الماء»^(١).

وقال عليه السلام أيضاً: «يا قوم، إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل... يا قوم، لقد جفّ اللبن في ثدي أمّه»^(٢).

إن أصل (يا قوم) هو (يا قومي)، فحذفت الياء تخفيفاً، وضمّ ما قبل الياء المحذوفة، والعرب تفعل هذا في كل اسم تغلب عليه الإضافة، و(القوم) أحد تلك الأسماء؛ «لأنهم إذا لم يُضيفوها إلى ظاهر أو إلى مضمّر غير المتكلم علم أنها مضافة إلى ياء المتكلم»^(٣). والمنادى (قوم) على نيّة الإضافة؛ لذا هو منصوب بفتحة مقدّرة منع من ظهورها ضمّة المشاكلة للمفرد المبني^(٤).

٦- اللغة السادسة

حذف الياء والتعويض عنها بـ: (تاء التانيث)، وهذا خاصّ في نداء الأب والأمّ، نحو قول: (يا أبت، ويا أمّت)^(٥). وفي (يا أبت)، و(يا أمّت) لغات، منها:

أ- إثبات (التاء) محرّكة بالكسر، كقولك: (يا أبت)، و(يا أمّت)، والأصل عند البصريين (يا أبي ويا أمّي)، فأبدلت من الياء تاء التانيث؛ لتناسبها في كون كلّ منهما من حروف الزيادة، وكسّرت؛ لتدلّ على الياء المحذوفة، «وإنما يلزمون هذه الهاء

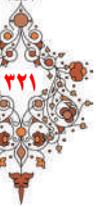
(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٧٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٢، ص ٢٨٢. وأنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٢٩. الأزهرى، خالد بن عبد الله، شرح التصريح: ج ٢، ص ١٧٨.

(٤) أنظر: الصبّان الشافعي، محمد بن علي، حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ج ٣، ص ٢٣١.

(٥) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢١١. النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن: ص ٤٣٧.



في النداء إذا أضفت إلى نفسك خاصّةً، كأنّها جعلوها عوضاً من ياء المتكلم»^(١). أمّا الكوفيون فقالوا: التاء للتأنيث، والياء مقدّرة بعدها، والأصل (يا أبتّي، ويا أمّتي)^(٢). والكسرة في (يا أبت) و(يا أمّت) زُحِلت من الحرف قبل الياء في (يا أبي)؛ لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحاً^(٣).

وجاء ذلك في قول الإمام الحسين عليه السلام لجده رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبت اسقني»^(٤). جاء المنادى (أبت) بالأداة (يا) لعلوّ شأنه، والتاء فيه للتفخيم، فهي كالتاء في علامة، والأبّ والأمّ مظنّتا التفخيم^(٥). والنداء بلفظ الأب يحمل صفة الرحمة والرأفة والشفقة^(٦).

وتُقلّب التاء في (يا أبت، ويا أمّت) عند الوقف هاءً، فنقول: (يا أبه، ويا أمّه)؛ لأنّها بمنزلة الهاء في عمّة وخالة، وهذا مذهب الخليل وسيبويه^(٧). أمّا الفراء فيقف بالتاء؛ لأنّها ليست للتأنيث المحض، كما في أخت و بنت، ولأنّ الياء في النية^(٨)، والأولى الوقف بالهاء؛ لانفتاح ما قبلها كما في ظلّمة وغُرقة، بخلاف تاء أخت و بنت^(٩).

وقد وردت التاء في (يا أبت) موقوفاً عليها بالهاء، كما في النصّ الآتي: «... فقام الحسين عليه السلام وقعد في حجره [أي في حجر جده عليه السلام]، فقال: يا أبه، لقد دخلت بيتنا فما

(١) المصدر السابق. وأنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المتعصب: ج ٤، ص ٢١٢. الألويسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج ١٢، ص ٥١٠.
 (٢) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٩١.
 (٣) أنظر: الزمخشري، جار الله بن محمود، تفسير الكشّاف: ج ٢، ص ٤٢٥.
 (٤) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٥٥.
 (٥) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٩١.
 (٦) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١١، ص ٧٩.
 (٧) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢١٠-٢١١.
 (٨) أنظر: الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن: ج ٢، ص ٣٢.
 (٩) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٩١.

سُررنا بشيء كسرورنا بدخولك، ثم بكيت بكاءً غمناً، فما أبكاك؟ فقال: يا بُني، أتاني جبرئيل عليه السلام آنفاً فأخبرني أنكم قتل، وأنّ مصارعكم شتى. فقال: يا أبة، فما لمن يزور قبورنا على تشبّتها؟ فقال: يا بُني أولئك طوائف من أمتي، يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتّى أُخلّصهم من أهوال الساعة ومن ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنة»^(١).

ب - أن تلحق (التاء) ألف، كقولك: (يا أبتا)، و(يا أمّتا). وأصل هذه اللغة هو: (يا أبتي) و(أمّتي)، ولاستتقالم ياء بعد كسرة أبدلوا من الكسرة (فتحة) ثم قلبوا (الياء) ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها^(٢).

وذكر ابن جنّي أنّ هذه اللغة قد جمعت بين العوض والمعوّض منه؛ فالتاء المبدلة من ياء المتكلم في (يا أبتا) قد اجتمعت معها؛ لأنّ الألف منقلبة عن الياء^(٣).
 وذهب رضي الدين الأسترآبادي إلى جواز هذه اللغة؛ لأنّها جمعت بين عوضين، ولم يعد ذلك جمعاً بين العوض والمعوّض منه^(٤).

قال الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسين عليه السلام: «أتفاخري يا حسين؟ قال: نعم، يا أبتاه إن شئت»^(٥).

النداء بـ: (يا أبتاه) دليل الرحمة والشفقة واللين والتودّد مع التعظيم والتفخيم^(٦).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٢٦.

(٢) أنظر: ابن جنّي، عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢، ص ٢٣٨-٢٣٩. الزمخشري، جار الله بن محمود، تفسير الكشاف: ج ٢، ص ٤٢٥. ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٢، ص ٢٨٣.

(٣) أنظر: ابن جنّي، عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢، ص ٢٣٩.

(٤) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٩٢.

(٥) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٨.

(٦) أنظر: الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٩١. الطباطبائي،

محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٧٩.



ب. المنادى المضاف إلى مضاف إلى ياء المتكلم

إذا نودي المضاف إلى مضافٍ إلى ياء المتكلم، كان فيه لغات، منها:
أ- إثبات الياء ساكنة؛ لأنَّ ما اتَّصلت به الياء غير منادى، فهو بمنزلة المجرور في غير النداء، نحو: (يا بن أخي)^(١).

وردت هذه اللغة في كلامه ﷺ قائلاً: «يا ولي نعمتي، يا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وربِّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، وربِّ محمد خاتم النبيين، وإله المنتجبين، ومنزل التوراة والإنجيل والزيور والقرآن العظيم»^(٢).
جاء المنادى (يا ولي نعمتي) بالأداة (يا) تعظيماً لشأنه، وإضافته إلى نفسه إشارة إلى اللطف، والرفق، والأدب الجميل، والخلق الحسن، وإظهار للتودد، والتحبُّب إليه، ومبالغة في مدحه^(٣).

ب- حذف الياء تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال إذا كان المنادى (ابن عمِّ، أو ابن أمِّ)، وبقية الكسرة دليلاً عليها^(٤)، كقراءة: ﴿يَبْنُوْمْ﴾^{(٥) (٦)}؛ «وذلك أنه لما جعلها اسماً واحداً صارت بمنزلة زيد، ثمَّ أضافه كما تضيف زيداً فتقول: يا زيد، لا تفعل»^(٧).
وردت هذه اللغة في قوله ﷺ حين جاءه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن

(١) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢١٣. المبرِّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٤، ص ٢٥٠.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ: ص ٩٥١.

(٣) أنظر: الزمخشري، جار الله بن محمود، تفسير الكشَّاف: ج ٣، ص ١٨. ابن الشجري، هبة الله بن علي، أمالي ابن الشجري: ج ١، ص ٤١٨. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ١٥٦.

(٤) أنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ج ٢، ص ٢١٤. الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٩٢.

(٥) طه: الآية ٩٤.

(٦) أنظر: النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن: ص ٥٤٧.

(٧) المبرِّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٤، ص ٢٥١.

هشام، فقال: «يا ابن عمّ، إنّ الترحّم نظارتي عليك، وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك؟»

قال: يا أبا بكر، ما أنت ممن يُستغش ولا يتهم، فقل.

قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك، وأنت تُريد أن تسير إليهم، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويُخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره، فأذرك الله في نفسك.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله يا بن عمّ خيراً، فقد اجتهدت رأيك، ومهما يقضي الله من أمر يكن.

فقال أبو بكر: إنّ الله، عند الله نحتسب أبا عبد الله عليه السلام ^(١).

دلّ النداء باستعمال (ابن عمّ) مضافاً إلى ياء المتكلم على التودّد والتحبّب والأدب في المحادثة ^(٢).

ثالثاً: المنادى الشبيه بالمضاف

هو الاسم الذي يأتي بعده شيء من تمام معناه، وسُمّي مطوّلاً أيضاً؛ لأنّه قد طال بمعموله كالمضاف، سواء أكان هذا المعمول مرفوعاً بالمنادى، نحو: يا حسناً وجهه. أم منصوباً به، نحو: يا مكرماً ضيفه. أم مجروراً بحرف جرّ، نحو: يا رفيقاً بالعباد. أم نعتاً له قبل النداء، نحو: يا رجلاً كريماً ^(٣).

أمّا حكم المنادى الشبيه بالمضاف فهو النصب كالمضاف، فذ: «إذا ناديت اسماً

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) أنظر: الزمخشري، جار الله بن محمود، تفسير الكشاف: ج ٣، ص ١٨. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ١٥٦.

(٣) أنظر: الخباز، أحمد بن الحسين، توجيه اللمع: ص ٣١٩. الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٣٥٤. الخضري، محمد، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: ج ٢، ص ١٧١. عبّاس حسن، النحو الوافي: ج ٤، ص ٢٩.



موصولاً بشيء هو كالتام له، فحكمه حكم المضاف... ويكون معرفة ونكرة»^(١).

وسُمِّيَ شبيهاً بالمضاف من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن الأول عامل في الثاني، كما أن المضاف عامل في المضاف إليه.

الوجه الثاني: أن الثاني من تمام معنى الأول ومتّصل به، كما أن المضاف إليه تمام

معنى المضاف.

الوجه الثالث: أن الثاني يفيد الأول تخصيصاً كما أن المضاف يتخصّص بالمضاف

إليه^(٢).

والمنادى المضاف أو الشبيه بالمضاف جاء في مواضع كثيرة في دعاء الإمام عليّ،

وقد كثر في نداء صفات الله تعالى، كقوله عليّ: «يا كاشف الغمّ، يا فارح الهمّ، يا باعث

الرسول، يا صادق الوعد، اللهم إن كان لي عندك رضوان وودّ فاغفر لي ومنّ

اتبّعني من إخواني وشيعتي، وطيب ما في صُلبي، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله

على سيّدنا محمد وآله أجمعين»^(٣).

فالمنادى (كاشف) مضاف إلى (الغمّ)، والمنادى (فارح) مضاف إلى (الهمّ)،

والمنادى (باعث) مضاف إلى (الرسول)، والمنادى (صادق) مضاف إلى (الوعد)،

ويمكن أن يكون من إضافة اسم الفاعل إلى معموله، فهو شبيه بالمضاف.

(١) أنظر: ابن السراج، محمد بن السري، الأصول في النحو: ج ١، ص ٣٤٤. الجرجاني، عبد القاهر، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ج ٢، ص ٧٨٠. اليميني، علي بن سليمان، كشف المشكل في النحو: ج ٣، ص ٣٣٠.

(٢) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ج ٢، ص ٧٨١-٧٨٢. ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل: ج ٢، ص ٢٥٠.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليّ، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليّ: ص ٩٦٢.

وقال عليه السلام أيضاً: «يا قائماً على كل نفس بما كسبت، احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين»^(١).

المنادى (قائماً) منصوب؛ لأنه شبيه بالمضاف. ويجوز فيه البناء على الضم؛ فيكون من المنادى النكرة المقصودة الموصوفة، إلا أن العرب تؤثر النصب إذا نادى نكرة موصولةً بشيء^(٢). والنداء فيها دلٌّ على الدعاء.

الخاتمة

١. تعددت أنماط النداء في كلام الإمام الحسين عليه السلام؛ لتنسجم مع الغرض الذي جاء من أجله الدعاء.

٢. كان للدعاء بالكلمات: (اللهم)، (إلهي)، (رب) نصيب موفور في الدعاء؛ لما في هذه الكلمات من روحانية كبيرة، ولما لها من تصوير رائع لشعور العبد بالربوبية والذوبان في ساحة القدس الإلهية.

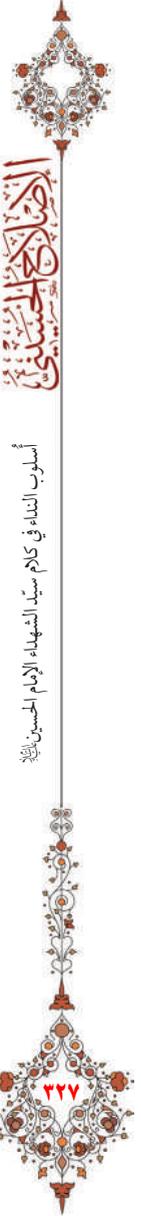
٣. يُريد الإمام الحسين عليه السلام من خلال الدعاء أن يُعلّمنا كيف يستقبل العبد ربه، وكيف يتهيأ ويفرغ زفرات همومه لربه، لا إلى غيره.

٤. كان أسلوب النداء يتماشى مع الدعاء تماشياً نسقياً مطّرداً، فكلّما زاد الدعاء زاد النداء.

٥. لم يخرج النداء عن أساليب العرب المعهودة في كلامها؛ لأنّ كلام الإمام عليه السلام هو لبّ الفصاحة وأهلها، فلم يتسرّب إليه ما تسرّب إلى الألسنة الأخرى من لكنة، أو فساد في التعبير.

(١) المصدر السابق: ص ٦١٥.

(٢) أنظر: الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن: ج ٢، ص ٣٧٥. النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن: ص ٧١٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ج ٢، ص ٣٠.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ . أساليب الإنشاء في كلام السيِّدة الزهراء عليها السلام .. دراسة نحوية بلاغية، عامر سعيد نجم عبد الله الدليمي، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ٢ . أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م.
- ٣ . أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: د. فخر صالح قداره، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٤ . الأصول في النحو، محمد بن السريّ ابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٥ . إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٦ . أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٧ . أمالي الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٨ . الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.



٩ . أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٦٦م.

١٠ . الإيضاح في شرح المفصل، عثمان بن عمر بن الحاجب النحوي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق وتقديم: د. موسى بنأي العلي، إحياء التراث الإسلامي، جمهورية العراق.

١١ . الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت - لبنان، ١٩٨٩م.

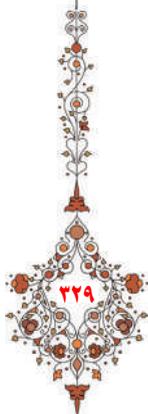
١٢ . البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: د. زكريا عبد المجيد التتوني، د. أحمد النجوني الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠١م.

١٣ . البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

١٤ . البلاغة العربية قراءة أخرى، الدكتور محمد عبد المطلب، الطبعة الثانية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٥ . التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

١٦ . التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، تصحيح وتدقيق: مركز



الإمام الحسن المجتبي للتحقيق والدراسات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،
١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٧. تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)،
وبحواشيه أربعة كتب: الأول: الانتصاف للإمام أحمد بن منير الإسكندري.
الثاني: الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشّاف للحافظ ابن حجر. الثالث:
حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشّاف. الرابع: مشاهد
الإنصاف على شواهد الكشّاف للشيخ محمد عليان. رتبه وضبطه وصحّحه:
محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة،
٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

١٨. تنبيه الطلبة على معاني الألفية، سعيد بن سليمان الكرامي السملالي السوسي
(ت ٨٨٢هـ)، تحقيق: د. خالد بن سعود بن فارس العُصيمي، دار التدمرية،
الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٩. توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الحُبّاز (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: د. فايز زكي
محمد دياب، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٠. الجنى الداني في شرح حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي المصري
(ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢١. حاشية الخُضري على شرح ابن عقيل، الشيخ محمد الخُضري (ت ١٣٨٨هـ)،
شرحها وعلّق عليها: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت -
لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

٢٢. حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبّان
(ت ١٢٠٦هـ)، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى،
١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٣ . الحذف والتقدير في النحو العربي، د. علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى.

٢٤ . الخصائص، أبو الفتح عثمان بن عبد الله بن جني الموصلي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

٢٥ . دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٦ . دعاء الإمام علي دراسة نحوية أسلوبية، محمد إسماعيل عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة بابل كلية التربية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٧ . رصف المباني في شرح حروف المعاني، الإمام أحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢٨ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، قابلها على المطبوعة المنيرية وعلّق عليها محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٩ . شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٠ . شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات ناصر خسرو، الطبعة السابعة، ١٤٢٤هـ.

٣١ . شرح التسهيل (القسم النحوي)، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد النبي محمد أحمد عبيد، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ.



٣٢ . شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيّد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٣٣ . شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي، راجعه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، حَقَّقَه وشرح شواهده: أحمد السيّد سيّد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٣٤ . شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسّسة الصادق، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٣٥ . شرح الكافية الشافية، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: أحمد بن يوسف القادري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٣٦ . شرح المفصّل، موفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: أحمد السيّد سيّد أحمد، راجعه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.

٣٧ . الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م.

٣٨ . عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور خليل إبراهيم خليل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٣٩. علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله الورّاق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود محمد محمود نصّار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤٠. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القيّومي، مؤسسة نشر الفهاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤١. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، تصحيح: الأستاذ أسعد الطيّب، مطبعة أسوة، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٤٢. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٣. كشف المشكل في النحو، علي بن سليمان الحيدرة اليمني (ت ٥٩٩هـ)، تحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، دار عمّار، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٤. اللّامات، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٤٥. اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٤٦. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، مراجعة: د. يوسف البقاعي، وإبراهيم شمس الدين، ونضال علي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/١٩٨٥م.

٤٧. المحرّر في النحو، عمر بن عيسى بن إسماعيل الهرمي (ت ٧٠٢هـ)، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور منصور علي عبد السميع، الطبعة الثانية، دار السلام



للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية مصر العربية - القاهرة، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

٤٨ . مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٨ م.

٤٩ . المسائل الشيرازيات، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.

٥٠ . المطوّل (شرح تلخيص المفتاح)، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)، ومعه حاشية السيّد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، صحّحه وعلّق عليه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

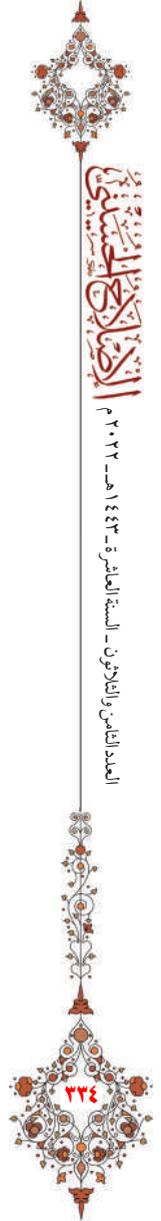
٥١ . معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٨ م / ١٤٢٩ هـ.

٥٢ . معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، خرّج أحاديثه: الأستاذ علي جمال الدين محمّد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٥٣ . معاني القرآن، أبو زكريّا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمّد علي النجار، دار السرور.

٥٤ . معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ضبطه وصحّحه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

٥٥ . مفتاح العلوم، يوسف بن محمّد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، تحقيق:



د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،
١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٥٦ . مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح، السيّد محمد كلانتر، مؤسّسة دار النشر
إسلام، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٧ . المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: كاظم
بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، جمهورية العراق، ١٩٨٢م.

٥٨ . المقتضب، أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد
الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٥٩ . مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي،
(ضمن شروح التلخيص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

٦٠ . موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، تأليف وتحقيق: لجنة الحديث في معهد باقر
العلوم عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثالثة،
١٤١٦هـ.

٦١ . نحو الفعل، الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى، مطبعة المجمع العلمي
العراقي، ١٩٧٤م.

٦٢ . النحو الوافي، عبّاس حسن، مكتبة المحمّدي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،
١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٦٣ . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ.





إِنَّمَا أُخْرِجْتُمْ لِطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّتِكُمْ

الإصلاح الحسني

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الْحَسَنِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ